وزارة الثقافة والاعلام

مديرية الاعلام العامة



تأليف

جمال الدين الآلوسي

السلسلة الاعلامية

١٢

وزارة الثقافة والاعلام
مديرية الاعلام العامة

السلسلة الاعلامية
١٢



تاليف
جمال الدين الآلوسي

مطبعة الجمهورية
١٩٧٠/١٣٩٠

الإهداء

الى ارواح المليون شهيد الذين سقوا بدمائهم الزكية شجرة الحرية والاستقلال لشعبهم البطل .

الى شهداء العروبة الذين بذلوا ارواحهم في معركة الشرف

في الاوراس ، في السويس ، في سيناء ، في القنيطرة ، في الكرامة ... اهدي كتابي

جمال الدين الآلوسي

مقدمة تاريخية

في سنة ٦٤٧م استلم القيادة العربية ، للقسم الشمالي الافريقي ، القائد العربي عقبة بن نافع وازال حكم الرومان ، من هذا الصقع ، وواصل زحفه حتى وقف على المحيط ، ونشر العرب التوحيد بين سكان هذا القسم ، الذين تقبلوا الدعوة الاسلامية ، والتحموا بالعرب لما رأوا من عدلهم ومساواتهم مما لم يالفوه من غيرهم ممن غزوا ارضهم من رومان ، وقرطاجنيين ، وتطوعوا في الجيش العربي وغزوا اسبانيا مع من غزاها من المسلمين أيام العامل موسى بن نصير وبقيادة احد مواطنيهم طارق بن زياد ، واصبحوا جزءا مهما من المملكة الاسلامية .

وكثرت هجرات القبائل العربية الى الشمال الافريقي ، وكان من اكثرها قبائل بني هلال وبني سليم ، وتاسست في هذا المغرب العربي ، حكومات استقلت عن مركز الخلافة كان من اوائلها بنو الاغلب ، ودولة (تاهرت) التي اسسها عبدالرحمن بن رستم القاضي وانتهى أمرها باستيلاء الفاطميين ، ولما انتقل مركز الخلافة الفاطمية الى القاهرة ، تولى أمر المغرب (بلقين بن مناد الصفهاجي) احد ولاة المعز ، فثار عليه الجزائريون وأسسوا حكومة بني « عماد » ومن أشهر ملوكهم الملك « الناصر بن علفاس » وفي عهد بني حماد كثر نزوح بني هلال الى الجزائر كما هاجر اليها الكثيرون من عرب الاندلس .

وقامت دولة الموحدين عام ١١٢٩م فقضت على بني حماد وحكمت الجزائر وتونس ، فلما دب فيها الضعف حكمت اسرة بني (زيان) وجعلوا تلمسان عاصمة لهم ، وعملوا على تحصين حدودهم

واظهار شخصية الجزائر ، وقامت حكومة (بني حفص) في تونس واستقلت بها ، واستقلت مراكش بقيام اسرة (بني مرين) التي أسست حكومة بالمغرب الاقصى ونشبت بين هذه الاقطار الثلاثة حروب طاحنة أدت الى انشطار المغرب العربي الى ثلاث حكومات وانماز كل قطر بحدوده وشخصيته ومدنه واناسيه ، بعد ان كان المغرب اجمعه قطرا واحدا ، واشتهرت تلمسان بحضارتها وغناها ومدارسها فقصدها العلماء والمتعلمون وظهر فيها عدد كبير من العلماء والفقهاء والشعراء ، منهم « الونشريسي » و « السندسي والثعالبي » و « المقري » وتعرضت الجزائر لهجمات القراصنة في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي من الاسبانيين والبرتغاليين ، فرد المجاهدان بابا عروج واخوه خيرالدين باشا هجماتهما ودمرا اسطوليهما ، والاخوان بابا عروج وخيرالدين هما اللذان انشآ اسطول الجزائر القوي وتغلبا على « بني زيان » وفرض خيرالدين نفوذه على البحر المتوسط واخذ الجزية من اصحاب السفن التي تمخر عباب ذلك البحر وغزا سواحل اوربا الجنوبية ، وغزا صقليا وايطالية ، وتفرد بالسلطان في السواحل الجنوبية والشمالية لهذا البحر المتوسط ، وفي اواخر ايامه ضمت الجزائر الى الدولة العثمانية كولاية ممتازة يدير شوءونها وال يعرف بالداي :

الجزائر ولاية عثمانية :

لم يكن في الواقع للخلافة العثمانية على الجزائر أي نفوذ او سلطة فعلية ، وانما كانت تتبعها شكليا والوالي (الداي) ينتخبه الجزائريون وله ديوان مؤلف من سراة الشعب الجزائري ومن اعيانه وذوو الرأى فيهم ، هم الذين ينتخبون الداي ويرشحونه الى السلطان ، والسلطان العثماني يؤيد هذا الترشيح ، اشبه ما كان يجري في مصر على زمن الخديو محمد علي وأولاده من بعده وتعرضت الجزائر خلال حكم الدايات لغزو الاسبان مرتين في سنة ١٥٤١ ، وفي سنة ١٧٧٥ انتصرت على الغزاة وغنمت العديد من سفنهم ومن رجالهم .

وفي معركة نافارين ــ المعركة البحرية المشهورة عام ١٨٢٧ حطم الاسطول الجزائري في عداد الاسطول البحري العثماني والمصري

بمكيدة استعمارية كبيرة تجمعت فيها الاساطيل الاوربية المتحالفة وضربت السفن المتجمعة العثمانية وبذلك تخلصت فرنسا وهولندا وايطاليا وغيرها من القوة المهاجمة والرادعة لكل عدو تسول نفسه غزو هذا القسم من الوطن العربي ، وكانت الجزائر تعتمد في دفاعها على اسطولها ولم يكن لها جيش بري يقوى على الحفاظ على استقلالها فاصبح القطر الجزائري بعد معركة ـ نافارين ـ منفتحا امام اطماع فرنسا التي كانت تتحين الفرص لغزو الجزائر الغنية وتختلق المبررات لهذا الغزو واتخذت من قصة المروحة مبرر للعدون ٠

قصة المروحة :

خلاصتها : ان الجزائر منذ عام ١٧٩٤ كانت تقرض فرنسا عروضا تجارية ، واموالا عينية منها : القمح ، والقنب والعنب والاغنام ، وبقيت هذه القروض على فرنسا الى سنة ١٨١٩ وكانت قد بلغت هذه الديون الواجبة الدفع قرابة ١٨ مليونا من الفرنكات ، وكلما طولبت بالتسديد تذرعت بمعاذير واهية منها ان القمح المستورد من الجزائر كان فاسدا ، وارسلت لجنة تحقيق ، انقصت هذا الدين الى اقل من النصف ، ومع ذلك تلكات في الدفع ٠

والح الداي على القنصل المقيم لفرنسا في الجزائر ان يكتب الى حكومته للاسراع باداء ما عليها للجزائر ، فكان يراوغ ويعد ولا يفي ، وفي يوم ٢٩ نيسان من عام ١٨٢٧ اعاد الداي المطالبة وامره ان يكتب لحكومته ، فاجاب القنصل بكل صلافة بان لا جدوى من الكتابة لانه ليس في نية الحكومة الفرنسية ان تدفع ما عليها من ديون ، وغضب الحاكم فطلب الى القنصل مبارحة المكان فرفض الخروج واحتد الداي وضرب القنصل بمروحة كانت بيده يروح بها على نفسه ، فكتب قنصل فرنسا الى حكومته التي كانت تبيت غزو هذا القطر الغني الجميل الواسع ٠ واتخذت من هذه القصة سببا لاعلان الحرب ومبررا لغزو شعب كان يعاون فرنسا وقت الشدائد وايام المجاعات ويمدها بالاموال في الازمات ولكن متى كان للاستعمار وفاء ؟! انه لا يعرف الا مصالحه ولا يرعى حقا لضعيف ٠

غزو فرنسا سنة ١٨٣٠ :

اعلنت فرنسا الحرب على الجزائر متذرعة بتلك الاهانة المصطنعة ، وقالت انها تنفذ رأي أوربا وموافقتها على احتلال هذا القطر المسالم ، بحجة نشر المدنية والحضارة في هذه الارض التي يعيش فيها البرابرة ، مع العلم ان الجزائر قبل غزوهم كانت مزدهرة بالصناعة والزراعة وفيها المدارس ، والمعاهد الدينية والمكتبات ، وفيها المساجد التي يؤمها طلاب العلم ليدرسوا على يد علمائها الاعلام ، ومن التجني على الحقيقة ان يقال ، ان الجزائر كانت في حاجة الى مدنية الفرنسيين ، وعلى يد الدخلاء المغتصبين وبوساطة المدفع وسفك الدماء ، لقد كان للجزائر اسطول وادارة وحضارة ، وكانت على جانب وافر من الرقي الاقتصادي والثقافي وفي الجزائر صناعة مزدهرة وفيها جامعات اسلامية يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب في تلمسان وقسنطينة وعنابة ومازونا ، ولم تكن يام غزوها أقل رقيا وتطورا من غيرها من الدول الاوربية ، قبل ان تأخذ هذه الدول ، باسباب الصناعة الحديثة ، واذا تخلفت الجزائر ، وبعدت الشقة بينها وبين الدول ذات الحضارة الالية ، فليس لذلك من سبب الا الاستعمار الفرنسي ،

ان الدافع الحقيقي لغزو الجزائر ، هو الطمع ، والسلب والاستغلال لخيرات هذا القطر الغني الذي يمتلك ارضا زراعية قل نظيرها في لعالم ، ويمتلك ساحلا يمتد الى مسافة ١٢٠٠ كيلو متر ، ويعد من اطول السواحل ، وتربة من اخصب اراضى الدنيا ...

ان فرنسا بعد ان فقدت مستعمراتها في اسيا وامريكا ، واندحرت امام الاسطول الانكليزي ارادت ان تخلق لها سوقا جديدة فكانت الجزائر ، بدء حركة استعمارية واسعة ، واستمر هذا الغزو ينمو في الشمال الافريقي ، ويمتد الى الداخل حتى باتت امبراطوريتها ، في العشرينات من هذا القرن تربو على ١٢٫٦٠٠٠٠٠ كم ، وتضم ٧٣ مليونا من بني آدم ، تسخرهم لاطماعها وتستغلهم وتستغل ثرواتهم النباتية والحيوانية والمعدنية لصالحها .

ان فرنسا كانت ترى الاقتصاد الجزائري مكملا لاقتصادها ، كانت الجزائر تزود فرنسا ، في أيام سلمها وحربها وفي عصر الثورة والقنصلية تزودها بالقمح والكتان ، وبالخيول والاغنام

والفواكه والعنب ، وبالقروض النقدية ، بعد حرب نابليون خرجت فرنسا منهوكة القوى ، وميزانيتها خاوية ، والمواد الاولية لا تكفي حاجتها لبناء صناعتها المتزايدة ، فهي بحاجة ملحة الى المواد الخام ، والى تصريف مصنوعاتها ، وهذا ما قصدته فرنسا من احتلال الجزائر .

اما ادعاء فرنسا انها تقصد تمدين – البرابرة – على حد زعمها – فهو ستار مهلهل لا يحجب الحقيقة ولا يغطي الواقع ، وما حادثة المروحة الا ذريعة لتنفيذ خططها الاستعمارية ، قال في تزييف حجتها هذه (مترنيخ) شيخ سياسيي القرن التاسع عشر ورئيس وزراء النمسا « لا يصرف ١٠٠ مليون فرنك ، ويعرض ٤٠ الف فرنسي للهلاك من اجل ضربة مروحة » ان ارسال اسطول مكون من ١٠٣ سفن و٢٢٥ – مركبا و٤٠ الف مقاتل ، وثمانية جنرالات ، لم يكن كل هذا الحشد من القوى والمعدات ، من اجل ضربة مروحة ، او اهانة لحقت بممثل فرنسا ، انما كان ذلك بدافع الاستعماروالتملك، ومرتبطا ارتباطا وثيقا بالنظام الاستعماري الاوربي لذلك القرن ، والذي كان يسود سياسة الامم الصناعية الاستعمارية ، وفي مقدمتها انكلترا وفرنسا وهولندا .. يفسر هذا الغزو الصريح الجنرال « جيرار » وزير حربية فرنسا انذاك ، قال فيه .. « ان هذا الغزو يقوم على احتياجات ، هي في غاية الاهمية لفرنسا ، وترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام العام في فرنسا واوربا ، وهي فتح المجال للزائد من عدد السكان ، وتصريف منتجات صناعاتنا ، وتبادلها مع منتجات غريبة عن بلادنا وارضنا وجونا » .

الغزو والاحتلال لساحل الجزائر :

بدأ الاحتلال بأنزال الجيش الفرنسي الى البر في نقطة تبعد عن العاصمة زهاء ٢٥ كيلو مترا يوم ١٦ حزيران سنة ١٨٣٠ ، وكانت القوة تزيد على اربعين الف جندي مسلح بأحدث الاسلحة ، فاكتسحوا القوات التركية الحكومية التي يقودها – الداي – وما كانت تزيد على ستة الاف رجل وبأيديهم سلاح عتيق وعتاد قليل ، وانتهت المقاومة الحكومية الهزيلة ونفي الباشا الحاكم حسين بشروط ضمنت له الحياة والمعاش .

المقاومة الشعبية :

وبدأت المقاومة الشعبية ، وبها بدأت متاعب فرنسا اثر دخول الغزاة العاصمة ، ووجه قائد الحملة الفرنسية الجنرال « بربون » نداءه الى الشعب الجزائري وقد جاء فيه : « ان حرية الطبقات المختلفة من السكان ، ودياناتهم وممتلكاتهم ، وصناعاتهم لا تمس بأذى ، وان القائد العام .. يتعهد بشرفه ان يصون حريات الناس » الى اخر ما بذل من وعود لا تعني شيئا ، ولا تنطلي على احد ، فهي شنشنة عرفها الناس من المستعمرين ... لا تمضى ايام الا وتبدأ متاعب البلاد التي تنكب بغزوهم .. وهو ما حصل للجزائريين ، فلم يمض شهران على تصريحاته حتى صدر امره بمصادرة الاراضى الاميرية ، والوقفية ، وهي اخصب اراضى الجزائر الزراعية ، ووضع الفرنسيون يدهم على أوسع جامع في العاصمة وحولوه الى كتدرائية بطريقة وحشية ، داهم الجنود الفرنسيون المصابين وبدأوا هدم اروقته على رؤوس اربعة الاف من المصلين ، وراح ضحية تلك الهمجية خلق كثير بين جريح وقتيل وسحيق ، ومكث الجامع مغتصبا ١٣١ سنة فلما كان اعلان الاستقلال اعيد من جديد وصليت فيه اول جمعة شهدتها العاصمة وكان يوما مشهودا وخطب الجماهير المحتشدة الامام المجاهد البشير الابراهيمي رحمه الله – فكانت خطبته حافلة بالذكريات تعالت فيه آيات الحمد لله والشكر للنصر المؤزر الذى كلل به جهاد الثوار الاحرار ، بعد تلك التضحيات الغالية عبر قرن وربع قرن .

مظالم المستعمرين :

اشتدت مظالم الفرنسيين بعد الاحتلال ، واشتطوا في اذلال الجزائريين الاباة ، واذاقوهم الوانا من العذاب ، سلبوهم ثرواتهم ومزارعهم ، وانتهكوا حرمات المساجد والمقابر ، وذبحوا سكان قرى كاملة ، وابادوا قبائل ابادة تامة ، لنستمع الى ما كتبته احدى لجان التحقيق بعيد الاحتلال يقول تقريرها :

« لقد جمعنا في الدمين – املاك المؤسسات الدينية ، وصادرنا ممتلكات فئات كثيرة من السكان ، كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها ، وبدأنا باستعمال سلطتنا بفرض غرامة كبيرة قدرها ١٠ ملايين فرنك كقرض

اجباري ، واجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هدم منازلهـــم ، ونفقات هدم احد الجوامع ، وانتهكنا دون خجل بيوت الله والمقابر والدور ، وكلها ذات حرمة عند المسلمين ، ولقد قتلنا رجالا يحملون منا ورقة الامان ، وذبحنا سكان قرى عن آخرهم لمجرد الشك فيهم ، ثم تبينت لنا بعد ذلك براءتهم ، ولقد حاكمنا رجالا يعرفون بالتقوى في البلاد ، رجالا محترمين لانه كانت لهم الشجاعة الكافية ليأتوا الينا ، ويتعرضوا لغضبنا ... لا لشيء سوى السعي من اجل اخوان لهم بائسين ، وقد وجد منا قضاة يحاكمونهم ، ورجال يعدمونهم ، ولقد جاوزنا في البربرية هؤلاء البرابرة ، على زعمنا ، الذين جئنـــا لتمدينهم » .

معركة المقاومة

من سنة ١٨٣١ ثورة الامير عبدالقدر الجزائري
الى سنة ١٩١٦ ثورة الاوراس

●

المقاومة الشعبية :

وعنفت المقاومة الشعبية ، في كل مكان وكلفت فرنسا الاف الرجال وملايين الفرنكات كل يوم ، وكان كل نصر يكسبه المقاومون الوطنيون ، وكل هزيمة يولي فيها الجيش الفرنسي الادبار يعقبهما انتقام فظيع ، يصبه الجيش على الآمنين ، حفاظا على هيبة فرنسا وسترا لهزيمة الجيش ، يغطون الهزيمة بالتدمير والتخريب والحرق والتقتيل لابناء القرى واهل القبائل والزراع ...

الامير عبدالقادر الجزائري

التف الجزائريون حول الامام المجاهد عبدالقادر الجزائري فبايعوه بيعة الرضوان ونصبوه باحتفال مهيب لامرة الموءمنين ، بيعة شرعية جماعية في مدينة عسكر والتف الشعب حوله بايعوه على

الكتاب والسنة يسمعون لامره ونهيه ، ويحمونه مما يحمون بـه أنفسهم وأهليهم وقدمت الوفود من سائر انحاءالقطر الجزائرى فبايعه رؤساؤهم ومرؤسوهم ، كبيرهم وصغيرهم بيعة كاملة شرعية بيعـة سمع وطاعة ، بيعة يعز الله بها الاسلام ، يمنعون عنه السوء بمـا يمنعون به انفسهم واولادهم واموالهم ، يطيعـــونه ما ساسهم بالشريعة ، وينصرونه في سلمه وحربه ، ويذودون عن الاوطان تحت قيادته ، فمن وفى ببيعته ، نال الرضا من الله ، والامن والدعة في ظل عدالة الاسلام ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه وخسر في يومه وأمسه(١) .

فقـاد السيد عبدالقادر بن السـيد محي الدين الحسـني رئيس الاشراف المقاومة ونظم حروب الكر والفـر وكان في حروبه الهجومية الخاطفة وانسحابه بخفة مدهشة ما اذهل الفرنسيين ، وكبدهم خسائر فادحة ، كان ينتخب فرسانه المغاوير ويقودهم الى المعارك فيوقع بالعدو افدح الخسائر وينسحب من الميدان قبل ان يفيق الجيش الفرنسي من الضربة ، وقبل ان تصل النجدات القوية الى عدوه ، واستمرت المقاومة على عنفها ونشاطها وتوالت انهزامات القادة وتعاقب القادة يخلف بعضهم بعضا ، يعزل قائد وينصب آخر وتتوالى امدادات الجيش حتى بلغت عشرات الآلاف ، وكلما حسبوا أن الحرب توشك ان تنتهي وان النصر قريب منهم ازداد عنف المقاومة وقوي جيش الامير وتعددت وقائعه بالعدو وتشعبت الثورة العارمة وامتد لهيبها في ميادين جديدة من ارض الجزائر .

وفي معركة « التافنة » انتصر القائد المظفر انتصارا سـاحقا وفقد العدو ٣٥٠٠ جندي ، وغنم المجاهدون معدات الحملة وقوتها ، وفي مايس سنة ١٨٣٧ تقدمت فرنسا بطلب الصلح وعقدت مـع السلطان عبدالقادر معاهدة (تافنة) وفيها اعترفت فرنسابأمارة الامير الجزائري على الجزائر القبائل والجبال والمدن وتكتفي هي بالساحل فقط وأسس الامير اول دولة عربية جزائرية شرعية ، فنظم الادارة وفرض الضرائب وقضى على المتمردين ونظم القضاء واهتم بالجيش وكان قوامه ٨٠٠٠ من المشاة ونحوا من ٢٠٠٠ من الفرسان وزوده

(١) من خطبة البيعة القاها في الوفود العلامة ابن حوا المجاهري ص١٦٣ـ١٦٤ تحفة الزائر .

بالسلاح والعتاد والمدافع التي بلغت حوالي ٢٤٠ مدفعا وانشأ مصنعا للبنادق والذخيرة وعين العمال وساس الناس بالحزم مع العدل ·

وبعد ان استجمعت فرنسا قوتها ووفرت العدد والعدد وأمنت منافسة أوربا انتدبت الجنرال ـ بوجو ـ وهو من اشرس القادة الذين عرفتهم الجزائر ، وكان من مؤيدي الاحتلال الكامل للقطر الجزائري ، فنقض المعاهدة وبدأ الحرب من جديد وسار بها الى نهايتها ، وطبق القائد الجديد حملات الابادة التي عرفت باسم « الرازيا » لقد كانت حملات الابادة معروفة من قبل ـ هذا القائد ـ بوجو ـ ولكنها لم تكن سياسة مرسومة ، بحجة ان « الجزائريين قوم يرفضون الاستسلام ، فلكي نقهرهم يجب علينا ان نحطم اقتصادهم ، يجب ان نقضى على زراعتهم وقراهم التي هي مصدر لا ينضب في مد المقاومة الشعبية بالرجال والمال » هذا منطق قادتهم ·

وكتب احد قوادهم « اما وقد عجزنا عن تطويع الجزائريين فلنرم بهم بعيدا كالوحوش الضارية التي تطرد من الاماكن المأهولة ، علينا ان ندفع بهم الى الصحراء ·· »

وكتب اخر يقول « ودون خروج على القوانين ، او ابتعاد عن الاخلاق يمكننا ان نحارب اعداءنا الافريقيين ، بالحديد ، وبالنار ، وبالجوع ، وباثارة الخلافات الداخلية ، وبالحرب بين العرب والبربر ، وبالخمر والرشوة والفساد ، وهذه أمور سهلة » اشهد ان الاستعمار اهل لها وله وسائل يستخدمها من غير ضمير او حياء ·

وكتب ثالث يقول : « ان مصادرة اراضي الاهلين ، هي الشرط الضروري للاستقرار وليس لدينا الوقت الذى نضيعه في مناقشات اخلاقية ، واعتبارات انسانية ·· لاننا اذا اردنا ان يستفيد الفرنسيون من ثروة الجزائر ، فيجب الا نتردد في مصادرة الاراضى للصالح العام الاوربي » ·

وبهذه الروح الاعتدائية وبهذه المبررات بدأت حملات التدمير والتخريب والابادة على يد بيجو وضباطه ·

كتب احدهم الى ذويه واصدقائه دون خجل بل بزهو وفخر لما يعمل من همجية :

« ان بلاد بني مناصر بلاد جميلة ، وهي من أغنى ما رأيت في افريقيا ، ان القرى متقاربة وعدد السكان كثيف ، لقد احرقنا كل

شيء ، ودمرنا كل شيء وقتلنا من كان امامنا » .

ويقول اخر : « كم من النساء والاطفـال والشيوخ التجات قوافلهم منهزمين الى جبال الاطلس فماتوا من البرد والجوع » .

وكتب ضابط اخر « كم هي جميلة حـدائق البرتقال التي سأبيدها ، سوف أحرق اليوم قرى وممتلكات بني القاسم وبني سالم » .

وجاءت قبيلة تطلب الامان ، ولكن الجنرال رفض طلبها لان الكولونيل الذى جاء جديدا لم يحظ بشيء من المجد ، فالقبيلة من حصته ، وبعد ان ينشر اسمه في الصحيفة العسكرية سوف يقبل الامان للباقين منها .

بكل بساطة تباد قبيلة لينشر اسم الضابط الشجاع بالجريدة العسكرية التي تسجل بطولات القادة المنتصرين على ابناء القبـائل المجـردين من السلاح . ومن أجـل ان يرغمـوا المحـاربين على الاستسلام ، فما وهن المقاومون ، ولا استكانوا بل زادت مقاومتهم حدة ، واندلعت ثورة قسنطينة وغيرها ، وامتدت الى جبهـات متعددة .

تجدد الحرب بين الامير وفرنسا :

حميت الحرب بين الامير عبدالقادر والجيش الاستعمارى ، وأخذت فرنسا تضاعف قواتها وتزيد من آلياتها واعادت الجنـرال بيجو وبلغ جيشه ما يزيد على ١٠٠ الف وقسم هذا الجيش الى فرق متعددة تتعقب تحركات الامير واحتلت معسكره واسرت عددا من ابناء أسرة الامير واحتلت مواقعه الرئيسية فأضطر ان ينتقل بالقتال الى مراكش وكان الشعب يريد القتال مع الامـير فأعلـن السلطان عبدالرحمن الحرب واعان الامير بجيش كبير وعلى رأسه ولي العهد ولكن لا غناء من ورائه فهو جيش غير مدرب ويعوزه السلاح ، فلم يصمد لاول وقعة وترك الميدان وانسحب وحاصرت الجيوش الفرنسية مراكش بحرا وبرا وضرب الاسطول مدينة طنجة وبعض المـدن الساحلية فنزل السلطان لعقد معاهدة مع الجيش الفرنسي تعهـد بموجبها الا يعين الامير ولا يفسح له المجال للجـوء الى الاراضى المراكشية .

وانسحب الامير الى أرض القبائل وظهر من جديد في القبائل الثائرة ، وحشدت فرنسا جيشا ضخما فتفوقت الكثرة والسلاح على الوطنية والتضحية ، ولاسيما بعد ان انفض اعوان الامير وانقلبت بعض القبائل ضده بفعل الرشوة والفتنة .

وعاد من جديد يريد الالتجاء الى مراكش ولكن القوات المراكشية حالت دون رغبته ، واخيرا جمع زعماء جيشه وخلصاءه واستشارهم وعرفهم ان الحرب لم يعد من ورائها رجاء للبلاد وما قام بهذا الامر الا رجاء خدمة الدين والوطن وقد بذل كثيرا طوال هذه السنين الست عشرة ، واعلن رغبته في التسليم الى اقرب قائد في جبهة القتال فقالوا الرأي لسيدنا ، فالذي يراه نحن معه ، فبعث رسولا في ذلك الى الجنرال (لامور سيير) القائد العام فقابل المبعوث الجنرال وابلغ رغبة الامير شفويا ، فاهتز للنبأ سرورا ، وبعث الى الامير سيفه وورقة بيضاء ختمها بختمه ، ليشترط الامير ما يرضى به من الشروط له ولاصحابه ، وكتب الى الملك مبشرا بتلك البشرى العظيمة وقال له في رسالة : « انني بهذه الدقيقة ممتطيا جوادي للذهاب الى دائرة عبدالقادر ، ولا يوجد عندي فرصة لابعث اليكم بنسخة التحرير الذي اخذته منه ، او جوابي له ، ويكفيني ان اقرر بانني قد اتفقت معه بانه هو وعائلته يذهبان الى عكا أو الاسكندرية او استانبول ، وهذه المحلات عينها هو في شروطه وصادقت عليها ، واني ملزم بان اقوم بما اشترط » .

وفي ٢٣ ايلول سنة ١٨٤٧ وبعد جهاد بطولي دام ست عشرة سنة سلم الى حاكم الجزائر ابن الملك وولي عهده ، سيفه واهداه بندقيته وفرسه ، وبكل تجلة واحترام عسكري نزل الى الباخرة التي اقلته واهداه ولي عهد فرنسا مسدسا وسيفا وكان يصحبه نحوا من ٢٠٠ من اهله واصحابه ، وبدلا من الوفاء بشروط الهدنة ، لم تسمح فرنسا للامير بالابحار الى الشرق وانما احتجزته في فرنسا ولم تفرج عنه الا بعد خمس سنين اي سنة ١٨٥٢ ايام نابليون لويس[٢] ، فسافر الى بوروسه وبعد اقامة قصيرة نقل اقامته الى الشام وعاش فيها مكرما معززا موفور القدر وفي الحروب الطائفية ١٨٦١ حمى النصارى والهيئات الدبلوماسية من موت محقق والتجأ

---

(٢) اقرأ سيرته في الفصل الذي عقدته للرواد الثلاثة .

الى داره ومزارعه اكثر من خمسة عشر الف لاجيء فنـــال بتلك الشهامة شهرة عالمية وجاءته اوسمة التقدير من جميع ملوك اوربا ومن الخليفة ومدحه الشعراء وسما في اعين خصومه وعاش عزيزا ممجدا مسودا الى سنة ١٨٨٣ - وبلغت سنه ٧٥ سنة رحمه الله وغفر له وفي سنة ١٩٦٦ نقل رفاته من الشام الى الجزائر باحتفال مهيب واعيد الى تربة وطنه التى زرع فيها غرسة الحرية والكرامة ، والامير بعد هذا وذاك عالم اديب وشاعر خطيب ومتدين وزاهد .

ضعف المقاومة : وصدور قوانين نزع الملكية :

اعقب خفة المقاومة وقتيا وضعفها نسبيا ان توالت القوانـين بانتزاع ملكية الارض الزراعية من اصحابها الشرعيين ، والزراعة تعتبر موردا رئيسيا للجزائر ، اذ كانت الجزائر قبل الغزو الفرنسى تنتج كميات هائلة من الحبوب للاستهلاك والتصدير ، بل انهـــا اشتهرت منذ القدم بانتاجها الواسع للقمح ، الامر الذى جعل مؤرخا يونانيا مثل « سالوست » يطلق عليها « مخزن الحبوب » .

وتبلغ الاراضى المستغلة في الجزائر ٢٠٫٨٠٠٠٠٠ هكتار اي ما يساوي تسعين مليون مشارة ولا يملك الجزائريون منها بسبب المصادرة المتوالية سوى ٧٫١٧٢٠٠٠ هكتار ، كلها من الاراضى القليلة الانتاج ، ففي ٣١ تموز سنة ١٨٤٧ صدر قانون ، يسلخ كل الاراضى التي لا يمكن اقامة دليل على ملكيتها قبل سنة ١٨٣٠ ، ومن اين للفلاح الجزائري انذاك ان يثبت ملكية لما بيده من الاراضى عن طريق المستندات ، لو طالبوه ان يثبت نفسه انه جزائرى لتعذر عليه وهكذا وبقرار للقرصنة واللصوصية اقرب منه الى الحق والقانون ، بذلـك القرار انتزع الاستعمار أجود الاراضي وحولها الى الملاك الجدد من الاقطاعيين الذين كانوا يشترون ويسرقون املاك الجزائريين ، وفي سنة ١٨٥١ صدر قانون يعلن ملكية الدولة لـ ٢٠٠٫٠٠٠ هكتـار من الغابات و ٦١٠٠٠ هكتار من اراضى العرش ، وسيطرت عـلى مصير مليون من الاهلين عن طريق مصادراتها للغابات وكانت غلة الغابات تبلغ زهاء نصف مليون فرنك ، وتطبيقا لهذا القانون ، صودر من ارض القبائل مليونان ونصف المليون هكتار على فترات

متراخية ، وتوالت قوانين السرقة والنصب الى مطلع القرن العشرين وتقدمت ملكية الكولون من ١١٥٠٠٠ هكتار سنة ١٨٥٠ الى ثلاثة ملايين هكتار تقريبا ، استردت بعد ثورة التحرير ، كان « ٥٠٠٠ » فرنسي من بين ٨٥٠٠٠٠ نسمة يملكون ٢٫٧٢٠٫٠٠٠ هكتار وتملك الدولة الفرنسية ١٠٫٤٠٨٫٠٠٠ فيكون مجموع الملكية الفرنسية ١٣٫١٢٨٫٠٠٠ بينما يملك ٥٣٢٫٠٠٠ جزائري من بين ١٢ مليون نسمة ٧٫٦٧٢٫٠٠٠ ويبلغ متوسط الملكية بين الفلاحين الجزائريين ١٤ هكتارا ولا ينتج منها اكثر من ٥ هكتارات ، ويسير استغلال الارض في الجزائر لا وفق حاجة السكان بل حسب ارباح الكولون ٣٨٠٫٠٠٠ هكتار من اجود الارض تستغل بالكروم وينتج منها ١٫٢٠١٫٨٠٠٫٠٠٠ لتر من الخمر يصدر اربعة اخماسه الى فرنسا وغيرها وتبلغ قيمة انتاج الخمور سنويا ٩٥ مليار فرنك اى ٩٥ مليون جنيه استرليني وتذهب هذه الارباح الى جيوب الاوربيين[٣] .

تجدد المقاومة واستمرارها

لم تنته المقاومة بانتهاء دور الامير عبدالقادر ، ولم تردع او تقمع بتعسفات فرنسا ومصادراتها للاراضي الزراعية ، وسرقة اموال القبائل ومواشيهم ، بل زادتها اندلاعا ولهيبا ، ففي سنة ١٨٥١ ، ثارت بلاد القبائل ، وفي ١٨٥٢ ، ١٨٥٥ ثارت واحات الجنوب وفي ١٥٨٧ ثارت منطقة جرجرة ببلاد القبائل ، وفي ١٨٥٩ قامت ثورة بني سناسن في وهران على حدود المغرب ، وفي ١٨٦٣ ثار اولادسيدي الشيخ في الجنوب ، وفي سنة ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ثار المقراني رئيس الاغوات والشيخ الحداد وفي سنة ١٩١٦ ثارت جبال الاوراس ، وكانت فرنسا كلما انتهت من ثورة اعقبتها بمصادرات وضرائب باهضة تفرضها على الشعب . بعد مقتل المقراني مثلا حكم على ستة الاف رجل بالاعدام انتقاما وفرضت غرامة تجاوزت ٣٦ مليون فرنك ذهب ونصف مليون من الاراضى ، ولم تنعم فرنسا بالاستقرار وان نعم الجيش والكولون بسرقة اموال الشعب الجزائرى عن طريق كبت الحريات ، وفرض الارهاب ، كيلا يفكر الشعب

---

(٣) انظر كتاب القضية الجزائرية اعدتها ممثلية حكومة الجمهورية الجزائرية في بغداد ص١١ـ١٢ سلسلة الثقافة الشعبية .

بالمطالبة بحقوقه المهدورة وارتكز نظام الارهاب على الاعتقال الاداري الكيفي ، والمصادرة للاملاك والاموال ، والمسؤولية المشتركة .

وحارب الاستعمار مظاهر القومية ، ورسم سياسة مخططة للقضاء على القومية العربية والدين واللغة العربية ، وسعى الى نزع الشخصية الجزائرية وتحويل الشعب الجزائري الى التفرنس ، كما أراد ان يقتلع منهم كل ما يربطهم بقوميتهم ، سيطر على أموال الوقف واتخذ من مرتبات موظفي المعابد سلاحا لاذلال رجال الدين وتسخيرهم لمآربه .

كتب مدير فرنسي لمكتب الشؤون الاسلامية في الجزائر : «لقد اذللنا رجال الدين الاسلامي ، وبلغ بنا الامر انه لا يعين امام الا اذا شارك في اعمال الجاسوسية الفرنسية ، ثم عليه كي يرتقي في الدرجة أن يثبت قدرا كبيرا من الحماس والاخلاص للادارة » .

لم يستسلم شعب الجزائر برغم سياسة الارهاب والقمع ، وانما واصل كفاحه من اجل استعادة سيادته وتحقيق استقلاله بالطرق السلمية ولكن فرنسا أبت الا أن تلطخ بالدم هذه المحاولات فدبرت بالاشتراك مع الكولون مذبحة ٨ أيار وقتل فيها ما لا يقل عن ٤٥٠٠٠ الف شهيد ، وكانت الايذان بميلاد جديد للشعب الجزائري ، الذي أيقن ان المحاولات السلمية لا تنفع وليس من ورائها الا التنكيل والاعتقال ، والسجن والتعذيب الوحشى ، فوطنوا انفسهم على الثورة وراحوا يعدون لها ، حاربت فرنسا التعليم لاعاقة الثقافة وابقاء الكثرة الكاثرة في الجهالة يتخبطون لان التعليم ينورهم ويدفعهم الى المطالبة بحقوقهم .

يقول الحاكم العام للمجلس الاعلى عام ١٨٨٦ « لا يزال يتضح لنا من الاختبارات ان المواطنين الذين نعلمهم التعليم الراقي ، هم الذين يبدون لنا الكثير من العداوة ، ويثيرون لنا القلاقل » .

ولا يخجل أحد قادتهم أن يصدر حكما منافيا للانسانية ويتنافى والمدنية التي يدعيها لفرنسيون قال : « ان الجزائريين العرب شعب غير قابل للتعليم وانهم لا يصلحون الا خداما للكولون في الغرب ، أو فعلة وبنائين » .

ويقول استاذ يعد الدكتوراه « بييرمورلان » « لا يجب ان ننظر الى المواطن الجزائري كانه ذو عقل شبيه بعقلنا ، واذا فكرنا في أن

التعليم يغيره تغييرا شاملا ، فاننا نخالف بل نتجاهل قانون التطور الثابت ، كلام جاهل متعصب .

وظن الاستعمار انه بهذه الاساليب يستطيع ان يقضي على الشخصية الجزائرية ويتيسر له ادماجها بالفرنسيين لابتلاع وطنهم ، فاذا بالشعب يستكمل خصائصه القومية ويكتسب وعيا وطنيا وقوميا يدفعه الى تحطيم الاغلال والى ثورة عارمة لها اهدافها المدروسة ولها فلسفتها الواعية ، وما هذا الانتصار الباهر والنجاح الظافر الذي أصابه التحرير الا بفعل قيادته الواعية واهدافها الواضحة وايمان شبابها وشيوخها بعدالة قضيتهم التي يحاربون من اجلها ، وكان من أهم اهدافها :

١ ـ بناء دولة جزائرية ذات صفة ديمقراطية اجتماعية في اطار من المبادىء الاسلامية .

٢ ـ احترام جميع الحقوق الاساسية للسكان دون تمييز عنصري او ديني .

٣ ـ تجميع وتنظيم كافة القوى الشريفة في الشعب الجزائري لاجل تصفية النظام الاستعماري ، وان اغراضها الخارجية هي تحقيق استقلال الجزائر وتحقيق وحدة شمال افريقيا في اطارها العربي .

مذبحة ٨ مايس سنة ١٩٤٥ :

كانت حكومة الاستعمار في الجزائر ، ترقب المد الشعبي ، وتحذر من تصاعد الوعي الوطني ، وقلقت لانضواء الجماهير لجماعة « اصدقاء البيان والحرية » التي تكونت من اتفاق جمعية العلماء المسلمين ، وحزب الشعب وأعوان عباس فرحات ، وتكاثر عدد الذين طلبوا الانضمام الى هذه الجمعية ، حتى بلغ زهاء نصف مليون ، وهو عدد ضخم لابد ان يحسب له الاستعمار حسابه . وكان شعار الجمعية الجديدة « لا وسيلة لتحقيق الاهداف السياسية الوطنية في ظل السيادة الفرنسية » .

وانه من حق الشعب ان يقرر في حرية تامة ، ما اذا رغب في الاستقلال التام أو يقبل بالوحدة الفيدرالية مع فرنسا .

أزعجت هذه التحركات الاستعمار والاوربيين ـ المثقفين ـ

فراحوا يدبرون خطتهم الجهنمية في الخفاء ، لاسكات صوت الجماهير والقضاء على الحركة الوطنية ، وفي ٨ مايس ١٩٤٥ وهو يوم اعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية ، خرجت مظاهرة شعبية احتفالا بيوم النصر واظهارا للفرح بعودة اولادهم من أوربا الذين عبروا البحر لمناصرة الحلفاء وطرد النازية من فرنسة .

وحمل فريق من المتظاهرين في مدينة « ستيف » الراية الخضراء ذات الهلال ، وحمل آخرون لافتتات كتب عليها « تحيا الجزائر المستقلة » و « يسقط الاستعمار » و « افرجوا عن المعتقلين » واذا بالبوليس يهاجم المتظاهرين وينتزع اللافتات ، ويكسر الاعلام ، واشتبك مع المتظاهرين ، ولعلع الرصاص من المخربين ومن مدبري الفتنة – الكولون – وانسحب رجال البوليس ، ولم يبق في الميدان غير الفتاك من الاوربيين المخربين من سجناء وقطاع الطرق واهل البطالة ، استاجروا لمثل هذه الفتنة الرعناء فعاثوا في المدينة قتلا وحرقا ونهبا ، واستمر التدمير والقتل اربعا وعشرين ساعة وبعد أن تمت المجزرة المدبرة آنذاك تنبه الامن والبوليس فنزلوا الى الشوارع وكانهم كانوا في سبات وكان لم يصل الى آذانهم دوي البنادق والرشاشات وكانهم كانوا معصوبي العيون لم يروا تلك الحرائق الهائلة التي وصل لهيبها عنان السماء ، واسفر الارهاب – في «ستيف» وغيرها من المدن الجزائرية عن خمسة واربعين الف قتيل كما تقدرها الاوساط الوطنية ويؤيد تقرير القنصل الامريكي هذا العدد، وكان هدف هذه المجزرة المروعة تلقين الوطنيين درسا قاسيا كيلا يعودوا الى المطالبة بالاستقلال، واتخذت الحكومة هذه الفرصة وسيلة فراحت تلقي القبض على الزعماء من جمعية البيان والحرية فاعتقلت منهم ومن غيرهم من الوطنيين حوالى ٤٥٠٠ وزجتهم بالسجون والمعتقلات وحكمت بالاعدام على تسعة وتسعين ممن سمتهم زعماء التمرد وبالاشغال الشاقة على أربعة وستين . وقد نفذت الاحكام فور صدورها وللاستعمار مثيلات لها سابقة طبقت في مصر وفي بغداد بعد فشل حركة ٢ مايس ١٩٤١ ليتخذها المستعمرون وعملاء الاستعمار ذريعة للتنكيل بخصومهم وليصنعوا الارهاب في المواطنين لتنفيذ ما يخططون من خطط استعمارية ، وقد دمرت مدافع الميدان اربعين قرية محتها من الوجود بينما راحت مدفعية الطراد « ديجواى تروان » ترمي مدينة

خراطة بقذائفها فدمرت اكثر احيائها على رؤوس سكانها[٤] .

صرح الجنرال « توبير » الذي رأس لجنة التحقيق ، صرح أمام البرلمان أن الادارة في الجزائر ، تركت الجماعة المسلحة من الكولون تنتزع لنفسها الحق في اعدام الاهلين دون ما عقاب » لتحول دون الاجراءات الاصلاحية ، ولتسكت الوطنيين من التمادي بالمطالبة بالاستقلال ، وراح المتوطنون يطالبون فرنسا بضرورة تطبيق سياسة البطش والارهاب ، وان تمتنع من تنفيذ الاصلاحات التي وعدت بها الوطنيين .

سئل الكاتب مالك حداد متى ولدت ؟ فقال ولدت يوم ٨ أيار وكذلك كان مولد الثورة ، كانت هذه المجزرة ، وما تبعها من سياسة القمع والمطل والتسويف قد أقنعت الوطنيين واستقر في روع الزعماء انه لم يبق امام الجماهير الشعبية سوى طريق واحد للخلاص من الاستعمار الا وهو طريق السلاح ، ولا يفهم المستعمرون غيره لغة وبدأ الشعب يتسلح ويتدرب في الخفاء وترقب الجزائريون ينتظرون القيادة القديرة لادارة المقاومة ، يرتقبون الحدث الخطير قيام الحزب الثوري الذي يتمتع بثقة الشعب ليدفع بالجماهير الى اتون المعركة حتى النصر وبدات الثورة في ١ تشرين الثاني ١٩٥٤ .

---

(٤) انظر كتاب عشت مع ثوار الجزائر لسعد زغلول فؤاد .

معركة الاستقلال

جبهة التحرير وجيش التحرير
الى معاهدة ايفيان

جبهة التحرير :

ان التربية السياسية للجماهير المكافحة ، لا يتم الا عن طريق الصراع ، وخلال الثورة ، وان سبقتها التنظيمات الحزبية ، الا ان الصراع المسلح هو الذي يقرر صلاح تلك القيادات ، أو عدم صلاحها ، وهذا ما حصل بالضبط ، فان قيادات حزب الشعب اختفت وقامت جبهة التحرير ، التي خلقتها الثورة من الشباب الواعي ، المومن بنفسه ، وبقوة الجماهير ، والذي هو اقرب الى روح الثورة والى روح الشعب الذي يتطلع الى الكفاح ٠

اذن ٠٠ فالجبهة وليدة الثورة ، وهي منظمة حربية ، أسس نظامها على اساس متين يخضع اعضاؤها للنظام ، ويلتزمون بالمقررات، ولا يحيدون عنها قيد شعرة ، وربما يكون في بعض الحالات اعضاء خلية لا تعرف خلية أخرى ، ويتصف الرؤساء المسؤولون بالحزم واليقظة التامة ، ويخضع جميع اعضائها للنظام ، ولا يقومون بأعمال تتنافى مع الخلق والضبط والربط ، بعيدين عن الانانية والاستغلال الشخصي ، ولا يتراخون أو يهملون تنفيذ الاوامر الصادرة اليهم ، ولا يتهاونون في عمل من الاعمال صغر أو كبر ، وقد عوقب عدد من المجاهدين ، وحكم عليهم بالسجن لعدة سنوات ، لمخالفتهم الاوامر أو التعليمات أو لانهم لم يعبأوا بأبسط قواعد النشاط السري ٠

ولما كان الاستعمار هو العدو لجبهة التحرير الوطني ، والذي هدفها ان تقضي عليه ، لذلك كان لزاما على المجاهدين ان يستخدموا كل الوسائل لتضليل البوليس السري عن الجبهة ، كي تقوم بالسهر على سلامة الجيش الوطني ، الذي كان من الواجب عليه أن يزودها بالمعلومات الضرورية عن العدو ، ويمدها باخباره ٠٠ فالمعلومات عن العدو : تحشداته ، وتحركات قواته لها أهمية كبرى للمحاربين وللقيادة العليا ٠

وجبهة التحرير الوطني : اتحاد شامل لكل قوى الشعب الجزائري الثائر ، لا يؤمن بالحلول السلمية التي كان يؤمن بها حزب (التحرير الديمقراطي) الذى كان يعتقد ان تحرير الجزائر ، يتم عن طريق حزب من الاحزاب السياسية ٠

جاء في بيان لجبهة التحير الوطني : « تعد العدة للكفاح والنضال ضد الاستعمار من أجل الحرية والاستقلال ، وعندما نقول ان الشعب الجزائري ، قد هب عن بكرة أبيه ليكافح الاستعمار ، فاننا نقول ذلك، لان الثورة القومية لم تقم عن طريق حزب سياسي او فئة قليلة معينة من « قطاع الطرق » أو الخارجين على القانون ، أو الارهابيين كما يسميهم اعداؤهم ولكن جبهة التحرير الوطني ، تكونت منذ ان بزغت شمس الثورة الكبرى ، ومن كافة أفراد الشعب باكمله بصرف النظر عن اختلاف ميولهم وطبائعهم ، وان جبهة التحرير التي يساندها الشعب ويعاضدها قد اصبحت السلطة العليا في البلاد » ٠

وكانت الجماهير الشعبية تساند الجبهة وتلبي طلباتها وتنفذ أوامرها ، ولذلك فان جيش التحرير استطاع أن يثبت أمام الجيش الفرنسي المدرب تدريبا فنيا والمجهز بأحدث الاسلحة ، وافتكها وقد تجاوز عدده في السنوات الاخيرة من الثورة ثلاثة أرباع المليون محارب، وخلفه الكولون يمدونه بالرجال والسلاح والمال والاعلام ٠

وبدأ جيش التحرير بعدد قليل لا يتجاوز في سنته الاولى ٣٠٠٠ مقاتل اما سلاحه فكان يغنم ٧٠٪ منه من اعدائه ، وكان الجنود الفرنسيون كلما غلبوا في موقعة شرعوا يصبون غضبهم وانتقامهم على السكان فراح أكثر من ربع مليون شهيد من الجزائريين ضحية القتل الجماعي ، واثبتوا للعالم انهم لا يختلفون عن الجنود الذين يقودهم ـ بوجو ، وكلوزيل ، وسانت ارمانه ، من القادة الذين شنوا

على الجزائريين في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حرب الابادة بحجة انهم يمدون الجماهير بالمؤن والرجال والسلاح ـ .

وراح ينخرط في صفوف جيش التحرير من كان يدعو الى الحل السلمي ، وآمن الشعب أن أساليب الاستعمار هي هي ولن يتغير أو يحيد عنها ، وما دعوة « جي موليبيه » الا أباطيل وخداع ولا طريق للاستقلال الا الكفاح حتى النصر الاخير ـ .

وتوالت الانتصارات للجيش المجاهد ، واصبح يتحكم باكثر من نصف البلاد ، واضحت للجبهة صحافة تنطق باسمها ، وادارة قوية تدير البلاد ، وجيش من المجندين الذين كانـــوا تحت ادارة الفرنسيين راحوا يتركون فرقهم وينضمون الى اخوانهم يفـــرون بسلاحهم وعتادهم وتمرد ضباطهم ايضا وانظموا الى الثوار .

وغدا جيش التحرير مع الايام قويا ومسلحا ، ويحتفظ بالسبق وبقدرته على المبادرة فهو اذا هاجم اعداءه على غرة نال منهم . واذا هوجم لم يجد اعداؤه أمامهم أحدا ، وكلما مضت سنة زادت مصاعب فرنسا وكثرت الاحتجاجات عليها من كل الاحرار حتى من ابنائها ، وامـا جيش التحرير فكانت تأتيه المعاونات من الداخل والخارج ويقبل عليه المتطوعون من الجزائريين فيزداد قوة ويتضاعف نشاطه ، وانهالت الضربات والانتصارات على الجيش الفرنسي وغيرت وزارة واعقبتها أخرى وجاء قواد مكان قواد والموقف يزداد حراجة ، وقامت مظاهرات داخل فرنسا تريد ايقاف القتال وكان المتظاهرون يطالبون حكوماتهم المتوالية ان تنهي حرب الجزائر بالاعتراف بحقوق الجزائريين .

منهج الجبهـــة :

حددت الجبهة برنامجها السياسي بما يلي :

١ ـ انشاء دولة جزائرية ذات صفة ديمقراطية ، في اطـــار من المبادىء الاسلامية .

٢ ـ احترام جميع الحقوق الاساسية للسكان دون تمييز عنصري ، أو ديني .

٣ ـ تطهير الحركة الوطنية الثورية من آثار الفساد ، والاتجاهات الاصلاحية التي كانت السبب في التاخر الحالي .

وان اغراضها الخارجية :

آ ـ تدويل مشكلة الجزائر .

ب ـ تحقيق وحدة شمال افريقيا ، في اطارها العربي الاسلامي الطبيعي .
ج ـ تاكيد عطف الثورة على كل دولة تؤيد كفاحها التحريرى، في داخل هيئة الامم المتحدة ، وان وسائل كفاح الجبهة تطبيقا للمبادىء الثورية ومع مراعاة الظروف الداخلية والخارجية ، استمرار الكفاح بجميع الوسائل الى حين تحقيق اهداف الجبهة .

وسعيا لحقن الدماء ، واثباتا لرغبة الجبهة في استبعاد التفسيرات الخاطئة للحركة الوطنية ، فهي تعرض شروطها للمفاوضة مع فرنسا اذا صدقت رغبتها في الاعتراف بحق الشعوب في تقرير المصير . وهذه هي شروطها :

١ ـ تتم المفاوضة مع الممثلين المفاوضين للشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية الكاملة .
٢ ـ خلق جو من الثقة ، بالافراج عن كل المعتقلين السياسيين ، والغاء جميع الاحزاب الاستثنائية ووقف كل نشاط معادي .
٣ ـ الاعتراف بالجنسية الجزائرية ، بقرار رسمي ، يلغي الاوامر والمراسيم والقوانين التي تعتبر الجزائر ارضا فرنسية ، بالرغم من التاريخ والجغرافيا واللغة والدين ، وتقاليد الشعب الجزائري .

وفي مقابل ذلك تعرض الجبهة :

١ ـ احترام المصالح الثقافية ، والاقتصادية الفرنسية المشروعة ، وكذلك احترام الافراد والاسر .
٢ ـ يكون لجميع الفرنسيين الراغبين في الاقامة في الجزائر ، الخيار بين جنسيتهم الاصلية فيعاملون كأجانب بالنسبة للقوانين السارية ، واختيار الجنسية الجزائرية ، وعندئذ ، يعاملون كجزائريين في الحقوق والواجبات .
٣ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا والجزائر في اتفاق خاص بين البلدين يقوم على أساس المساواة والاحترام المتبادل .

واشار البرنامج الى الوحدة الوطنية ، وقد نجحت الجبهة في تحقيقها نجاحا كبيرا واهتمت بالتنظيم ، فجعلت لكل المواطنين الحق في الانضمام اليها بشرط التنازل عن عضويتهم في الاحزاب السياسية،

وهي بذلك أقرب ما تكون الى الحزب الواحد منها الى جبهة بين احزاب، ونظمت الاعضاء طبقا للقواعد السرية في خلايا تتبع مسؤولين ، وجعلت للأعضاء الجدد فترة ترشيح ،يتلقون فيها التربية السياسية ويثبتون جدارتهم ، ثم يقبل الصالح منهم بعد ذلك في جيش التحرير ، ولكل وحدة قيادتها العسكرية ، كما ان لها مسؤولها السياسي الذي لا تتصرف بدون أذنه ٠٠ ويسود في الجبهة مبدأ القيادة الجماعية(١).

الوحدة الوطنية :

يقول : عباس فرحات الذي يمثل حزب البيان في جملة ردوده للحاكم العام الفرنسي في الجزائر « نحن جميعا من الثوار ، أما ذوو الشجاعة من بيننا فقد حملوا السلاح ، واما من تنقصهم الشجاعة فهم يتحدثون الى الحاكم العام » ٠

كانت الاحزاب السياسية في الجزائر ، تتوجس الخوف أو الفشل ، أو قل تنقصها الشجاعة للانضمام الى الثورة ابان نشوبها ، حتى ان الحزب الشيوعي ، وقف منها موقف المعارض ، وهاجمها ، مما يدل على انعزاليته عن تفكير الشعب ، وعدم تقديره لواقع الثورة ولكن بعد نجاح الثورة في معاركها مع الاستعمار ، عاد فايدها ، وأخذ اعضاؤه ينضمون الى جبهة التحرير ، وكان من نتيجة ذلك ان حل الحزب الشيوعي الجزائري نفسه في ايلول سنة ١٩٥٥ ، أي بعد سنة من اندلاع الثورة ، واستطاع أن يؤثر الى حد على الطبقة العاملة التي من اصل أوربي ، وعمل على اجتذابهم الى الثورة ٠

وأعلن اعضاء حزب البيان : ان الثورة هي دلالة على يأس الشعب من الحكومة الفرنسية وانضم كذلك الى الجبهة ممثلو اللجنة المركزية لحزب الشعب ، وانضمت اليها ايضا جمعية العلماء يتقدمهم المجاهد توفيق المدني (وزير الاوقاف السابق وسفير الجزائر في بغداد) ٠

وكان الامام الشيخ بشير الابراهيمي يعمل على تاييدها ومدها بالعون في الاقطار العربية وكان لخطبه وكتاباته التاثير النافذ على الرأي العربي والشعوب العربية لمناصرة الثورة ، واستقال النـــواب المسلمون من المجلس النيابي احتجاجا على الارهاب والمذابح التـي يقترفها الجيش الفرنسي في الجزائر ، وسواء أكانت استقالتهم عن رغبة أو رهبة من الثوار فانها دعمت الثورة من دون شك ٠

---

(١) انظر بيان الجبهة في كتاب ثورة الجزائر لعلي الشلقاني ٢٣٥-٢٣٨ ٠

اما الكولون : أصحاب المصالح المستغلون فقد انتابهم الذعر خوفا على مصالحهم واملاكهم فراحوا يقاومون الثورة ويعملون على الانتقام من الحركة الوطنية ، وكان الجيش السري من صنعهم وتدبيرهم ، وكان هذا الجيش يفتك بالمواطنين تحت توجيهاتهم . وباموالهم قام كيانه ، وراحوا ينادون بضرورة القضاء على « الارهابيين من الخارجين على القانون » كما كانوا ينعتون جيش التحرير .

وقامت في فرنسا وزارة تتبنى المبادىء الاشتراكية ، واعلن رئيسها انه سيعترف بالشخصية الجزائرية وسيعمل على انهاء الحرب ، ولكنه يشترط أن يسود الهدوء ويوقف الثوار هجماتهم وبعد ثلاثة شهور تبدأ المفاوضة ، وان مستقبل الجزائر يتحدد بين ممثلي الجزائر وفرنسا ، فلم ينطل هذا الخداع على جبهة التحرير ، ولم تظهر أية بادرة من حكومته لاحلال السلام بل حصل العكس فان حكومته قد والت ارسال الجيوش والاسلحة حتى بلغ الجيش في عهده ٧٥٠ الف مقاتل واستمرت الحرب لان قوى خفية كانت من وراء كل حكومة تتولى الحكم في فرنسا وهذه القوى هي التي كانت تسخر جنرالات فرنسا وتزجهم وجنودهم في الحرب رغم عدالة مطاليب جبهة التحرير .

جيش التحرير :

كانت الصحافة الفرنسية في الجزائر والمؤيدة لسياسة القمع والارهاب تصم المجاهدين الاحرار من رجال الجيش الجزائري الثائر، بالارهابيين وقطاع الطرق والسفاكين ، كما كان يطلق عليهم الكولون وبهذه النعوت كان ينعتهم الحكام الفرنسيون وهذه النعوت هي الصق واليق بالجنود الجناة والمؤيدين للاستعمار وذوي الاطماع من ارباب الاقطاع .

أما جيش التحرير الوطني فيضم خيرة شباب الجزائر من مثقفين وعمال وزراع وكسبة ثاروا لانقاذ بلادهم من مظالم الاستعمار ، وتحرير أوطانهم من يد الغاصبين ، جيش التحرير لا تقل قدراته وقياداته ، عن أي جيش وطني تحرري في العالم ، كانت له هيأة قيادية من ضباط محنكين مدربين ، مارسوا ادارة الحروب والمعارك في جبهات اوربا ضد النازي ، وكانت له تنظيمات عسكرية خاصة به ، وقد أعلن متحدث رسمي فرنسي في الايام الاولى من نشوء الثورة

الوطنية يقول : ان الهجمات التي شنت تدل دلالة واضحة ، على ان هناك عمليات حربية ذات طابع تكنيكي عظيم » .

ان رؤساء الوحدات المحاربة كانت لهم خبرات واسعة بفنون القتال ، اكتسبوها اثناء وجودهم في البلاد الاجنبية وحاربوا مع الفرنسيين لتحرير فرنسا من اذلال النازي لها ، والبعض منهم قد تولوا مناصب مهمة في الجيش الفرنسي ، فلما رأوا تمادي فرنسا في غيها وعنفها مع اخوانهم وبني عمومتهم تركوا مناصبهم وانحازوا الى صفوف جيش التحرير . ان ٩٩٪ من قوات هذا الجيش الباسل ، تتكون من المزارعين الاقوياء ، ومن آباء ذوي عوائل واطفال ، وشبان من المدن لم يكونوا من المسجونين أو الهاربين ، أو ممن لايملكون شيئا يخافون عليه كما كان الكولون يروجون الدعايات المغرضة عنهم وظلت الصحافة الاستعمارية ، في الجزائر ، تدمغ هذا الجيش الوطني بالعمالة والخدمة الاجنبية ، ويقصدون العمالة « لموسكو » والقاهرة ، والله يشهد انهم طلاب حق ، يحاربون من اجل الجزائر ، وبقيادات جزائرية ، والقاهرة وبغداد ودمشق والرياض لامفر لهامن وقوفها بجنب الجزائر ومد يد العون لها بكل وسائل العون بالمال والرجال والسلاح وهو فرض لا يجوز التخلي عنه ، لان ثورة الجزائر هي ثورة العرب قاطبة ووشائج القربى والدم والدين واللغة والنزعة التحررية كل هذه تفرض على هذه الاقطار أن تتجاوب مع الثورة وتمد جيشها بما يكسبه النصر ، انه مفخرة الامة فقد رفع كرامتها وأعلى قدرها وما كان يقود الحرب ولا يخطط للمعارك الا ضباط وقادة جزائريون.

نداء جبهة التحرير الى الشبان الفرنسيين :

أصدرت جبهة التحرير ، نداء الى الجنود الفرنسيين ، والى شبانهم الذين غرر بهم ، وجاءت بهم السياسة والمصالح الاستعمارية ، كذبت به تلك الدعاية المفضوحة ، وشرحت لهم قضية الجزائر العادلة وان الحرب التي يخوضها الشعب الجزائري ما هي الا في سبيل تحرير بلادهم من المستغلين ...

« اننا نؤمن بانه من العدل ، والصواب ، بل من الواجب ان نسالكم وانتم توشكون أن تحملوا السلاح ، لتحاربوا الجزائريين ، من واجبكم الذي لاجله جئتم الى الجزائر ، ما من شك ان الدعاية المغرضة قد وصفتنا لكم باننا ـ ارهابيون ـ و « سفاكون »

و « خارجون على القانون » وتدفعنا بعض البلاد الاجنبية على الثورة ·

ونحن نؤكد لكم ان هذا كله غير صحيح ·· ان الجزائريين الذين يحملون السلاح في سبيل الحرية ، قد تركـوا بيوتهـم ، وعائلاتهم ، لانهم يجاهدون ليحرروا بلادهم من اغلال الذل والعبودية، ووضع حد لهذا الاستبداد المماثل للاستبداد النازي الذي يعرفـه بعضكم ··· وما من شك في انكم تعلمون ، ان واجبكم ، هو الدفاع عن مصالح بعض الاقطاعيين ، الذين يستغلوننا ويهدرون دماءنا دون شفقة أو رحمة ، يطالبانكم بالدفاع عن مصالهم هذه المهددة بالضياع·

ومن البديهي : ان مصالح فرنسا الحقيقية ، ليست تقوم على تدعيم النظام الاستعماري الذي يتنافى مع ابسط مبادىء الاخـلاق والضمير العالمي ·· ولكن مصالحها تكمن في ايجاد صداقة بين شعبينا المتساويين في السيادة ·

ايها الشبان : يجب ان تعلموا انكم تخوضون غمار حـرب استعمارية حقيقية حرب ليست مبنية على أساس من العدالة ·· ، توجه ضد حريتنا واستقلالنا ، ضد الحرية التي طالما دافع عنهـا آباؤكم واجدادكم ، ·· يجب أن تعلموا ان الجزائريين ينظـرون اليكم ، كما كنتم تنظرون أنتم وآباؤكم الى جنود هتلر منذ فتـرة وجيزة ، كما يجب أن تعلموا ان من يجاهد في سبيل المثل العليـا ، لا يمكن أن يستسلم أبدا ، انكم تحاربون عن سلامة مصالح ـ بورجود وبلاشيت ـ وغيرهم من الرأسماليين ، وتجار العبيد والخمور الذين يسخرون في نهاية الامر من الجزائر كما يسخرون من فرنسا ·

ايها الشباب : ـ اننا نعلم علم اليقين ، ان في استطاعتكم ، ان تعارضوا بشدة الاشتراك في هذه الحرب ، التي تعلمون انها حرب استعمارية ظالمة ، تخدم مصالح « الكولون » قبل فرنسا ، كمـا نعلم انكم تستطيعون ان ترفضوا التضحية بدمكم ·· ومن اجـل ذلك وجهنا نداءنا لكم ، وقد ادرك بعض مواطنيكم حقيقة موقفنـا فقد تبينوا انهم يدافعون عن نظام استعمارى بغيض ، يباشـر في ظله التعذيب والتنكيل الجسماني ، والنفساني اكثر من قرن ، كما عمل على نشر الجهل والجوع والبؤس بين ملايين الناس ، فقاموا بعدة مظاهرات ، في محطات باريس وليون ، وفي اماكن اخرى ·· اعلنوا استنكارهم ، وعدم رضاهم على المظالم والمجازر الجارية في الجزائر وهذا عمل عظيم قد توقعناه من احراركم ونتوقعه الان منكم

ومن كل فرنسى مخلص ... فعندما تتبينون ان جهـادنا واجب علينا ، واننا لا نحارب الا لنحيا حياة حرة شريفة سيكون بامكانكم ان تقولوا لحكومتكم اننا لن نشترك في حرب ضد الجزائريين ... » ولكن (لقد أسمعت لو ناديت حيا) .. ماتت ضمائرهم بدافع الحقد وبنتيجة قلب الحقائق وبدافع الاغراء والدعاية المظللة .

ان امل الشعب الجزائري تجسد في جبهة التحـرير الوطني وجيشها الباسل ، ولا يوجد ما يعارض ايجاد تعاون سلمي ، يقـوم على تبادل المنافع الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وفرنسا .

ان الجزائر ليست ارضا فرنسية ولا شعبا فرنسيا ، انمـــا هي شعب جزائرى كسائر شعوب شمال افريقيا ، له ارضـــه وشخصيته ، واستقلاله ، واقتصاده ، وخيراته وتاريخه ومعاهداته، وتبادله التجارى مع فرنسا وغير فرنسا الى ان احتلت ارضهم فرنسا ظلما وعدوانا ، وفرنسا هي المسؤولة امام التاريخ لما قامت به من تحطيم ما كان للجزائر من كيان له كل مقومات الدولة الحديثة .

الكولون وراء حرب الجزائر

الفرنسيون ويتبعهم بعض الاوربيين المسـتوطنين في الجزائر هم الذين يطلق عليهم « الكولون » او المعمـــرون ، هم من ارباب الاقطاع والرأسماليين واصحاب المعامل ومعاصر الخمر ، كانوا هم المسيطرين على الحكم وعلى قادة الجيش في الجزائر ، وهم السـبب الحقيقي في عجز فرنسا ان تجد حلا سلميا لمشكلة الجـزائر ، وايقاف تلك المذابح الوحشية التي راح يمارسها الجيش السـري الذى اوجده الكولون باموالهم ومن اتباعهم ، برغم ان مطـالب المواطنين في غاية العدالة والوضوح ورغم بيان جبهة التحـرير وتعهدها بالمحافظة على من يرغب من المستوطنين الاوربيين في البقاء على جنسيته او اذا اختار الجنسية الجزائرية تحـافظ على أموالـه ومصالحه ، ولكن اصحاب الامتيازات الخاصة والاقطاع الواسـعة ما كان يروق لهم ان تحل قضية الجزائر وفق مطاليب الجزائريين.

ولما تولى الحكم (جي موليبيه) وكان قد اعلن قبل تسـلمه الوزارة : انه يعد الفرنسيين بان حزبه سيحل القضية الجزائرية حلا سلميا ، وسيدخل مع الجزائريين في مفاوضات تحقق السلام وتنهي الحرب .

فلما تولى الحكم قامت في الجزائر مظاهرات عنيفة نادت بسقوط وزارته ونعتته بالخيانة ، وحين قام بزيارة الجزائر قابله الاوربيون والضباط المتقاعدون والمحاربون القدماء بمظاهرات صاخبة ، ورموه بالبيض الفاسد وبالفواكه المتعفنة ولما عين الجنرال - كاترو - وزيرا مقيما في الجزائر واعلن سياسته المبنية على التفاهم والتفاوض مع جبهة التحرير واعلن ضرورة وضع حد لهذه المذابح البشرية ، قابله الكولون بالمظاهرات وعارضوا خطته ، وشاركت مواكب من الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية ، يجوبون شوارع الجزائر ، يعلنون بشدة معارضتهم لما يسمونه .. « تراجع حكومة باريس امام قطاع الطرق والارهابيين » .

وحين جاء رئيس الوزارة الى الجزائر « جي موليبه » ثانية لتهدئة الحالة قوبل بثورة شتم فيها وضرب بالحجارة وبالفاكهة الفاسدة ، ونزعوا التاج الذى توج به النصب التذكارى للجنود الذين قتلوا في الحرب ، وصاحوا « اطرحوه ارضا اننا لا نريدك ولا نريد ان نراك يا جي موليبه »

ورضخ الرجل الاشتراكي للفئة المتحكمة في الجزائر ونزل عند رغبتهم وعين احد زعماء الاستعمار وزيرا مقيما بدلا من كاترو وانقلب الرجل الاشتراكي الى صف الكولون واخضع الشعب الفرنسي لارادة الاستعمار والى المنتفعين من الكولون وقادة الجيش الذين استغلهم الاقطاعيون ، ومضت الحرب تخترم النفوس والانتصارات يحرزها جيش التحرير المظفر ونال اعجاب العالم وحظيت قضية الجزائر باهتمام انصار الحرية والشعوب المحبة للسلام وانهالت على الاحرار المساعدات المالية والمعنوية وانتصرت لقضيتهم المحافل الدولية وناقشتها منظمة الامم بجهود الدول العربية والكتلة الاسيوية والافريقية .

وكان الشعب التونسي يعلن تضامنه وعونه للجزائر مهما طالت والمسيو خروشيف يتعرض للقضية الجزائرية امام المجلس الاعلى والشعب الليبي يقيم مهرجانا بمناسبة الذكرى الخامسة ومؤتمر البترول العربي المجتمع بجدة يوصى بمقاطعة الشركات البترولية التي تعمل في الجزائر والرئيس احمد سيكوتورى يثير قضية الجزائر اثناء مقابلة ايزنهاور ، ويخطب امام الجمعية العمومية

لهيئة الامم المتحدة ويتكلم باسم الشعوب الافريقية ويقول : « ان أمن بلدان افريقياوسلامة استقلالها متوقفان على وحدة هذه القارة في الميدان السياسي والاقتصادي والثقافي .

وصرح كريشنامينون ـ مندوب الهند ـ امام اللجنة السياسية ان اصرار فرنسا على تفجير قنبلتها الذرية جريمة ضد الانسانية جمعاء .

وافتتحت في دمشق ندوة ممثلي الحكومة الجزائرية في البلدان العربية ودامت الندوة اربعة ايام ، والوفود العربية لدى هيئة الامم المتحدة تجتمع لدراسة تطورات القضية الجزائرية قبل الشروع في مناقشة القضية في هيئة الامم المتحدة .

وصرح خروشوف بقوله : بانه يتعين على فرنسا القيام بعمل ايجابي يمكن الجزائريين من حق تقرير المصير .

والحكومة العراقية تعلن عن انها ستمنح الحكومة الجزائرية اعانة مالية زيادة على مبلغ المليونين المقررة في الميزانية ، وامداد جيش التحرير بالسلاح والعتاد .

الوفود العربية تتولى عرض ومناقشة قضية الجزائر على ضوء تصريحات ديكول ...

ممثل الحكومة العراقية يخطب في هيئة الامم المتحدة ويطالب بضرورة انهاء هذه الحرب الوحشية وان تقرر فرنسا حق تقرير المصير للجزائريين .

والحكومة الجزائرية الموقتة تصدر بلاغا تؤكد فيه « انه لا يمكن ان يتم وقف القتال بدون اتفاق على الضمانات اللازمة لتطبيق مبدأ تقرير المصير تطبيقا سليما .

وصادقت اللجنة العليا لحزب المؤتمر الهندي على عريضة اعربت فيها عن اسفها لبقاء الشعب الجزائري فريسة للاستعمار الفرنسي ، الذى يلحق به وباستمرارالوانا وأشكالا من الهوان والعذاب وذلك من اجل استقلاله وحريته واعلنت عن مساندتها وعطفها على الشعب الجزائرى المكافح .

كما القت السيدة انديرا غاندى خطابا قالت فيه عن الجزائر

« ينبغي ان يكون الاستقلال الشرط المسبق لاى نوع من انواع وقف اطلاق النار[٢] .

ساعة الصفر قد دنت

برهنت الاحداث التي تجرى في القطر الجزائرى ، بعد امتداد الثورة ، الى اكثر من نصف الجزائر ، وقد هزم الجيش الفرنسى في كثير من المواقع ، ولم يقدر ان يقضى على الثورة ، كما كان يدعي انه سينهيها بساعات ، وبرهنت الاحداث على ان الذين يصرون على استمرار هذه الحرب هم المعمرون وذوو المصالح ، وانهـــم قد اشتروا ذمم الجنرالات وذمم بعض الحكام والساسة ، فقضـــوا بوســـائل الاغراء حينا والتهديد والارهاب حينـا اخر ، عـــلى الروح الانسانية وعلى كل ضمير حي وعلى الدعوات الخـــيرة التي كانت تتعالى من اصحاب الضمائر والمثقفين من الفرنسيين انفسهم في القطر الجزائرى وفي فرنسا .

قضوا على الروح الانسانية والتربية العســكرية التي كان يتلقاها الضابط والجندى في مدرسته ، خدعوا افراده بفكرة الدفاع عن فرنسا ، والتمسك بالروح الصليبية والقومية الفرنسية ، في حربهم ضد شعب الجزائر العربي المسلم ، وراح هؤلاء المنتفعون يغرون الجيش الا يخضع « لاوامر الساسة الجبناء » ، ويعلمـــوه الاستهانة بحكومة فرنسا وان يضربوا بقراراتها عرض الحائط ، وان يمضوا بمذابحهم الوحشية ويستمروا بالحرب حتى يقضوا على الثوار الارهابيين ، وكانوا يدبرون مع الجنرالات لقيام انقـــلاب عسكرى في الجزائر ضد الجنرال ديكول الذى راح يعمل لانهـــاء الحرب ويرغب في التفاوض مع جبهة التحرير وفرنســـا تزداد اوضاعها سوءا يوما بعد يوم والمظاهرات تتوالى مسيرتها تطـــالب بوضع حد لهذه المجازر .

اما الجبهة وجيش التحرير فيسير في كفاحه المقدس لا يتوانى ولا يتأخر ولا ينخدع بأقوال الساسة ومطلبه الرئيسى الاســتقلال وكل مفاوضة ان لم يكن هذا المطلب هدفها فلن تلتفت اليها جبهـة

---

(١) انظر كتاب القضية الجزائرية تدخل عامها السابع من ٣٤-٤٢ .

التحرير · وقد اكتسبت مناعة بهذه الانتصارات وقويت عزيمة قادتها وجندها لما كانوا يرونه من تأييد شعبي وعلى مستوى عالمي وادركوا ان الفجر آت وان النصر اصبح وشيكا ، وما تصريحات « لاكوست » الحاكم العام الفرنسي في الجزائر والجنرالات من ورائه الا حشرجة المذبوح ، فكانوا بين حين وآخر يطلقون هذه التصريحات تهدئة للخواطر مفادها (ان المعركة قد انتهت وانها في النزع الاخير) ·

ولم تكن تصريحاتهم وتقديراتهم الا سرابا خادعا ، ولم تفدهم عبرا تجربتهم في الهند الصينية التي خرجوا منها يجرون ذيل الهزيمة بعد تلك التبجحات والاستهانة بقوة خصومهم ·

وقفوا نفس موقفهم الماضي في الجزائر وبالغوا في تقدير قواتهم واستهانوا بقوة الشعب الجزائرى وسخروا من جيش التحرير ، واذاعوا ان الحرب في ربع الساعة الاخير ·

لقد حطمت حرب الجزائر فرنسا عسكريا واقتصاديا وسياسيا وهذا شاهد من اهلها هو ·· « جان باتشيه » الذى كتب كتابا بعنوان « انهيار الجيش » قال فيه :

« لقد حاربت فرنسا عشرين عاما تقريبا دون توقف ، فمنذ عام ١٩٣٩ ، وفرنسا تعتبر في حالة حرب ، وطوال عشرين عاما لم تتمكن فرنسا من تدريب قواتها العسكرية تدريبا منتظما ، او تتحسن اسلحتها واستراتيجيتها ، ونلاحظ ان اكثر من نصف المعارك الحربية التي خاضها الجيش الفرنسي في هذين العقدين كانت حروبا استعمارية ···

فمنذ عام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٤ اشتركت مئات الالوف من الجنود في حرب الهند الصينية والان نجد ان (٧٠٠٫٠٠٠) جندي او قرابة نصف جيشها كله يحارب في الجزائر واثر الحروب الاستعمارية في معنوية الجيش اشد خطرا من اى عامل آخر ، ان الفرنسيين حاربوا في الهند الصينية امس ويحاربون في الجزائر اليوم ، وذلك في سبيل اهداف يعرفون انها غير عادلة ، لا تؤمن بها غالبية الامة والجيش ، وفضلا عن هذا فانهم يشعرون ان هذه الحرب الاستعمارية قضية فاشلة ، لقد ضاعت الهند الصينية من ايديهم وقريبا ستضيع الجزائر منهم ايضا ، فماذا تكون النتيجة عندما يحارب احد الجيوش اعواما من اجل اهداف لا

يؤيدها ، ولا يؤمن بها ، ويخوض حربا يعلم انها خاسرة ، وانه لن ينتصر فيها ، وان الجنود يحاربون بروح منهارة وينتشر بينهم شعور المعادي للحرية واصبحت حوادث الهرب وتأليف العصابات وانتشار الفساد والسرقة امرا مألوفا بين الجنود الفرنسيين[٣] » .

وفي عشرين شباط ١٩٥٩ نشرت وزارة الشؤون الجزائرية الفرنسية تقريرا رسميا ، عن تكاليف الحرب ، ويقسم التقرير ، هذه التكاليف الى ثلاثة اقسام .

القسم الاول : هو اعتمادات الميزانية وتبلغ ٢٣٠ مليار فرنك ولكن هذا المبلغ لا يضم غير المخصصات الخاصة التي تنفق في الحرب ، ويتجاهل واضعو التقرير ان جزءا كبيرا من الميزانية العامة ، يعتبر مما ينفق على الحرب الجزائرية وانهم اقتطعوا من هذه الميزانية المخصصات الخاصة بالمبالغ التي اعتادت فرنسا ان تنفقها على قواتها في الجزائر قبل نشوب الحرب .

والقسم الثاني : الخسائر الناتجة من انخفاض الانتاج ويقدر بحوالى ١٢٦ مليار .

والقسم الثالث : يشمل الخسائر التي سببتها التغييرات في ميزان التجارة الاجنبية ، وقدرت هذه الخسائر ب ١٤٩ مليار فرنك[٤] .

وهذه الارقام في الواقع تمثل الحد الادنى للخسائر فقد قدرت مجلة (كاييه دى لاربيليك) الناطقة بلسان حزب منديس فرانس قدرت الخسائر الاجمالية بمبلغ ٢٥٠ مليار فرنك اما اللجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة فقد قدرت الخسائر ب (٧٠٠) مليار فرنك في العام ، ان حرب الجزائر خلقت موقفا شاقا في فرنسا جعلتها تنقسم الى معسكرين فريق يطالب بالسلام ويؤيد ضرورة انهاء الحرب ويناصر هذا الرأى الوطنيون الفرنسيون وقد وقف الجنرال ديغول يؤيد رأى الوطنيين هذا ، وما كان غيره من الحكام يجرؤ على ان يجابه اولئك الاحتكاريين والجنرالات الفاشلين .

وفريق يؤيدون مواصلة الحرب وهم المرتبطون برجال الاحتكارات والاقطاع واصحاب المصانع ولكن واقع الحرب وثبات جيش التحرير وتأييد الرأي العام العالمي اجبرهم على التسليم بمطاليب الوطنيين

---

(٣) انظر ص ٣٣-٣٥ من كتاب اضواء على الاستعمار الفرنسي بقلم مسعود مجاهد

(٤) المصدر نفسه .

فشل برامج الجنرالات في انهاء حرب الجزائر

كان الغرور العسكرى الفرنسي يسير الجندية الفرنسية ولم يرد الجنرالات المتكبرون ان يعترفوا بالحقيقة التي حجبوها عن المواطن الفرنسي ، وظلوا يرددون قولهم بان الثوار مجموعة من الخارجين على القوانين ومن قطاع الطرق ولا خبرة لهم بفنون الحرب وما هم الا عصابات ثائرة على وشك ان تخور عزائم افرادها وتنضب مواردهم ويكون مآلهم الى التسليم ... ولكن الثورة تمضي في نجاحاتها وتصبح انتصاراتها في كل الجبهات باهرة وخسائر الجيش الفرنسي تزداد يوما بعد يوم ، وفشلت خطط الجنرالات وغيروا البرامج وزادوا قواتهم وضاعفوا من عتادها ، وكانوا كلما عجزوا عن حقيق خطة من خططهم ارسلوا الى حكومة باريس لطلب المزيد من الجنود والعتاد حتى اصبح مجموع القوات يزيد على سبع مئة الف مقاتل مزودين باحدث اسلحة حلف الاطلسي واشدها فتكا .

وافاق القادة الفرنسيون في الجزائر وادركوا الحقيقة التي يواجهونها ، وهي انهم يحاربون جيشا منظما بل شعبا ثائرا وليس بعصابات ثائرة اوشكت على الانهيار وجربوا خطة عرفت بخطة « الكادرباج » اى القتال على طريقة المربعات ، وتستخدم في هذه الخطة جميع القوات الفرنسية وتشمل جميع المناطق وتنتشر على طول مواقع الثوار من غربي الجزائر اى من وهران حتى عنابة في الشرق على طول الحدود التونسية مع ضرورة تقارب المراكز الفرنسية من بعضها حتى تسهل نجدة المراكز لبعضها عند الحاجة ويرمى هذا البرنامج الى القضاء على جيش التحرير فيمختلف مواقعه مرة واحدة ، هكذا أوحت للقادة فكرتهم المبتكرة ، ولكن هذه الخطة باءت بالفشل والخسائر الفادحة لان جيش التحرير راح يشن اعنف الهجمات على قوات الفرنسيين بسبب تجزئتهم وكانوا يركزون هجومهم على احد المواقع ويتركون قوات صغيرة تشاغل المواقع المجاورة لمركز الهجوم كي لا تستطيع نجدة الموقع الذي ركز عليه الهجوم ، وقد سهل انتصار جيش التحرير تشتت القوات الفرنسية وبعثرتها في ارض الجزائر الواسعة المترامية الاطراف .

وكان هذا البرنامج يقضي بان توجد بعض القوى والمدن داخل نطاقه ، مما سهل على جنود الثورة التسلل اليها والاندماج بالسكان ولم يكن باستطاعة الفرنسيين التمييز بين الاهلين والمجاهدين بعد ان تجردوا من زيهم العسكري وارتدوا ملابس اهل القرى او المدن ، وبذلك كثرت عمليات النسف والتخريب واقتناص الجنود وسلب اسلحتهم واضطرت القيادة الى اخلاء مناطق العمليات من الاهلين وحشدهم داخل معسكرات تحيطها حراسة مشددة ضربت حولها الاسلاك الشائكة لضمان عدم تسلل الفدائيين الى هذه المراكز ، وبلغ تعداد الذين كدسوا في هذه المعسكرات زهاء مليون غير ان اكثريتهم من الاطفال والنساء والشيوخ العاجزين فتفشت فيهم الامراض من الجوع وتدهور الصحة فسبب احتجاج الراي العام العربي والعالمي وثبت ان من بين كل ألف طفل يفقد اثنان يوميا .

واصبح المجال لهجمات الثوار واسعا وانطلقوا بحرية يهاجمون قوات اعدائهم لانهم لا يخشون ان يصيبوا مواطنيهم بعد ان عزلوا عن ميدان القتال .

وثبت من جديد لجنرالات فرنسا في الجزائر ان خطة (الكادر باج) فاشلة وانها كبدتهم خسائر كبيرة في الارواح والمعدات الى جانب الفضيحة التي ارتكبوها بجمع الجزائريين في هذه المعسكرات التي تنقصها وسائل الحياة ، وزاد من سوء سمعة فرنسا ومرغ شرفها في الوحل وضج العالم الحر واحتجوا لما يجري داخل هذه المعسكرات من قتل جماعي وتعذيب وتجويع ومرض عرض الاطفال والشيوخ الى الموت بالجملة ، لانهم تركوا عرضة للجوع والمرض ولولا احتجاجات الفرنسيين انفسهم لمات مليون انسان بسبب هذه الاجراءات العسكرية الطائشة(٥) .

وعاد القادة الفرنسيون في الجزائر يعصرون رؤوسهم ويفكرون ويجهدون في التدبير والتفكير فتوصلوا الى برنامج « شال » والجنرال شال هو القائد يومئذ وراح يعلن عن برنامجه وانه بهذا البرنامج سيقضي على جيش التحرير ويسحق الثورة ويستأصل شأفتها ولن يبقي لها اثراً يذكره الفرنسيون ، وطبلت الصحافة الاستعمارية وزمرت لهذا البرنامج وهولت الدعاية الاستعدادات التي قام بها

---

(٥) اقرا تقرير اللجنة التي ارسلت من فرنسا للتحقيق عن هذه المعسكرات في كتاب (عشت مع ثوار الجزائر) لسعد زغلول فؤاد ص ٢٧١ وما بعدها .

ـ شال ـ لجيشه ولبرنامجه وانه لن يستغرق القضاء على الثورة سوى اسابيع قليلة ٠

ويقضي برنامجه ان تقوم القوات الفرنسية بالهجوم على مواقع جيش التحرير كل على حدة وتطهير منطقة بعد أخرى مجاورة للاولى وهكذا تطهر كل المناطق ولا يبقى للثوار باقية في ارض الجزائر وبدأ شال عملية الهجوم في وهران على الحدود المراكشية وزحفت قواته على امتداد الولاية دون ان تجد ثائرا أو جنديا واحدا من جيش التحرير واعتقد القائد الهمام ان البرنامج قد نجح وان الثوار قد انتقلوا الى ولاية أخرى وتطهرت منطقة وهران منهم نهائيا وراح الجنرال ديكول يهنىء قائده النشيط لانتصاراته الوهمية ، وما وجه شال قواته الى الولاية الرابعة حتى هب جيش التحرير نشيطا في في الولاية الخامسة « وهران » واخذ يهاجم قوات شال من الخلف وعاد جيش التحرير وكانه نبع من الارض فاذهل القائد المنتصر ووقعت القوات الفرنسية في مأزق وهاجمها الثوار من كل مكان وتبعثرت من جديد وفشل برنامج شال من جديد كسابقه ، بعد ان جربه في وهران والونشريس ثم الحضنة وفي منطقة القبائل وطوال اشهر تطبيقه كانت هجمات الثوار تتوالى بعنف مما جعل الجيش الفرنسي ينقسم على هذه الولايات ويعود مشتتا وبذلك لم يحقق انتصارا ولو محليا ، وفكر الجنرالات بخطة جديدة وتوصلوا بعد كد عقولهم المتعبة الى برنامج جديد عرف بعملية « جوميل » ٠

واختصت عملية جوميل هذه بالعمل على « تطهير » منطقة القبائل من جيش التحريرونطاقها شغل مساحة تمتد بمحاذاة الساحل من « دللس » الى شرقي « بجايه » وتسير جنوبا الى « البويرة » حتى « قنزات » واستخدمت في هذه العملية قوات كبيرة لم يسبق لها مثيل في العمليات الماضية ٠

وقد بدأت العملية بمحاصرة القبائل ونقلت الطائرات العمودية جنود المظلات الى جبل « اكفادور » وهو جبل يبلغ ارتفاعه ١٦٠٠٠ متر وتكثر فيه الغابات الكثيفة ، ووضع القناصة المختصة بتسلق الجبال عند المسارب والدروب الجبلية واشتركت اربعة الاف سيارة مصفحة ومئتا دبابة حاصرت الطرقات والمنعطفات وحاصرت مئات القرى والمدن الواقعة في نطاق العملية وحرمت الدخول اليها او الخروج منها ، وفتشت جميع المنازل والاكواخ لضمان حرمان جيش

التحرير من التموين وكان الجنرال « شال » يباشر العملية بنفسه ويساعده الجنرالات · فور ودبلبير ، وبوني ·

وقد فوجئت القيادة الفرنسية بهذا الفراغ الهائل الذى وجدته امامها ، وراحت الطائرات تفتش عن مكامن الثوار يوميا اكثر من ست عشرة ساعة بحثا عن مواقعهم وبرغم الفرق العديدة المنبثقة هنا وهناك ، فلم تتوصل الى اكتشاف مواقع جيش التحرير ولم تتمكن من اجباره على خوض معركة حاسمة فقد كان جيش التحرير يشاغل الفرنسيين بفرق صغيرة تخرب مواصلاتهم وتهاجم معسكراتهم وتقتنص دورياتهم تأسر منهم وتأخذ سلاحهم ، وكان من خطة جيش التحرير انه هو الذي يختار زمان ومكان المعركة وفق الظروف الملائمة له فاذا رآها غير ملائمة يختفي وهذا ما حصل فعلا للفرنسيين اثناء عملية «جوميل» ولم تجد امامها من وسيلة تفعلها سوى ان تضرم النيران في القرى والغابات بقنابل النابلم وتسلط على المدنيين اعمال الانتقام ، التي دأبت على ارتكابها ، القتل بالجملة وسوق الالاف الى السجون والمعتقلات واحراق البيوت بعد نهبها ، وعادت العملية بالفشل ورجع الجنرالات يصرحون بقولهم « الواقع ان عملية جوميل ليست شيئا خارقا للعادة وانها ليست الا استمرارا لعمليات اخرى ، وظروف الحرب بالجزائر تفرض علينا ان نغير في كل يوم نفس العمل الذي قمنا به أمس ، وهذه الحرب تتطلب أن يكون السكان في معونتنا ، واذا لم نحصل على تأييد السكان ومعونتهم لنا فان هذه الحرب لن تكون لها نهاية » ·

وأراد « ديجول » أن يزور الجزائر ويرى بنفسه مدى ما أصاب القائد ـ شال ـ في برنامجه من نجاح ذلك البرنامج الذي عولت عليه القيادة وظنت انه ينهي الحرب ويطهر البلاد من القتال ·· واجتمع بالقادة وبالضباط المشرفين على عملية ـ جوميل ـ ووجد مظاهر الفشل اكثر من مظاهر النجاح وقد مر على اجراء العملية شهران دون أن تحصل على أي تقدم أو نجاح ويجيب الجنرال شال على اسئلة « ديكول » بقوله :

« ان الجزائر هذه هي الخريطة ، وكلما نجحنا في تهدئة جهة من الجهات طوينا الجانب الذي تقع عليه هذه الجهة ، ولهذا نظمنا برنامج شال بحيث يسير من الغرب ء لى الحدود المراكشية الى الشرق على الحدود التونسية · ونضمن بذلك عدم عودتنا الى الوراء مطلقا ··

فاذا ما وصلنا الى الحدود التونسية تكون التهدئة قد نجحت ونستطيع أن نعلن للعالم انتهاء الحرب ، واحاط « ديكول » بمدى الفشل الذى أصاب برنامج شال لان نشاط الثوار قد عاد الى وهران والونشريس أعنف مما كان سابقا وان جنرالا كبيرا – الجنرال جاره – واثنين من ضباطه الكبار قد قتلوا اثناء زيارة – ديكول – وعملية جومبل تعاني الفشل في منطقة القبائل وفي اليوم الذي غادر فيه « ديكول » الجزائر تلقى تقريرا عن العمليات الحربية وجد فيه هجمات جيش التحرير تغطي كل الجبهات ووجد « شال » وضباطه يطالبون بالمزيد من الامدادات العسكرية والمالية فقال ديكول « لا يزال الطريق طويلا امامنا » .

صدى ثورة الجزائر في الاقطار العربية :

لقد كان تجاوب الشعوب العربية ، لثورة الجزائر قويا وذا أثر فعال في شد ازر جيش التحرير وحكومته الموقتة ، وتبني القضية في الاوساط الدولية

لقد اهتزت لقيام الثورة قلوب الجماهير العربية وتفاعلت مع احداثها، وغطت اخبارها سواها من الاحداث المحلية أو العالمية ، ووقفت الدول العربية على المستوى الشعبى والحكومى لدعم الثوار ، ومدهم بالمعنويات العسكرية والمالية ، مما يشد ازر جبهة التحرير ، ويقوي جيشها البطل ، ولقد ذعر الغرب واثار دهشة ساسته ، موقف الحكومات العربية المشرف الذى دل على ان الامة العربية وحدة وجسم واحد اذا « اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وانتفض مسرعا يحمي ذلك الجزء مما داهمه من عدوان أو خطر ، بشعور من ضميره وبدافع من أحاسيسه التي تنبعث من ايمانه بقوميته ودينه وتاريخـه .

فانهالت المساعدات من الشقيقة الكبرى الجمهورية العربيـة المتحدة والعراق والكويت والسعودية وليبيا والمغرب وتونس وسوريا مساعدات مادية ومعنوية ، وما ذلك بالامر المستغرب فليست الجزائر الا جزءاً من أهم أجزاء الوطن العربي ، ولن يتخلى عنها اشقاؤها وجدير بحكوماتها ان تبذل كل عون مادى ومعنوى لدعم ثورتهم ضـــد الاستعمار ، وضد الضغوط التي كان يستخدمها ساسة الغرب على هذه الدول ، وكانت صر تتحمل العبء الاكبر في تقديم العون لانها كانت الدولة المتحررة من الاحلاف والاستعمار ، ومن الاعتراف بالواقع

وتسجيل الحقيقة، ان نقول ان الحكومات العربية ولاسيما المجاورة للجزائر مثل المغرب وتونس وليبيا قد ساهمت مساهمة فعالة بمناصرة الثورة فكانت تفتح بلادها للابطال المجاهدين وتسهل تحركاتهم ، ولم تبال المغرب وتونس بتهديدات فرنسا ، وتعرضتا لغزوها ، بل تقصدتا ذلك للتخفيف عن جيش التحرير ٠

وكان العراق سباقا بتقديم العون ماديا ومعنويا وكان يرسل مساعداته العسكرية شهريا الى الثوار في ليبيا ، هذا قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ، فلما قامت الثورة انهالت التبرعات من العراق شعبا وحكومة، واصدرت حكومة الثورة مرسوما بتخصيص مليوني دينار سنويا لحكومة الجزائر المؤقتة ، وقدمت الى جيش التحرير السلاح ومدافع البازوكا ، والعتاد ، وكان الشعب العراقي يرقب باهتمام بالغ سير المعارك ويهلل لانتصارات جيش التحرير ، وكانت الصحافة العراقية ووسائل الاعلام الاخرى من اذاعة تلفاز تغطي اخبار الثورة وتمنحها الاولوية ، على جميع الاحداث الاخرى داخلية أو خارجية ، ولا انسى تلك المظاهرات الضخمة التي كان يستقبل بها بعض ابطال الجزائر يوم يزورون العراق ، ولا انسى تسابقهم للتبرعات السخية كلما أقيمت حفلة لمناصرة الجزائر وتبرع الوزراء براتب شهر واحد كما تبرع الموظفون بنسب من رواتبهم ، وما هذه المساندة والعون اللذان قام بهما العراق الا جزء ضئيل من الواجب يؤديه بدافع من وجدانه بل هو فرض عين على كل عربي وللتاريخ والقدوة الحسنة ادرج بعض هذه المساعدات ٠

المبلغ رقما	وكتابة	السنة
٢٥٠٫٠٠٠	مائتان وخمسون الف دينار	١٩٥٨
١٠٫٠٠٠	عشرة آلاف دينار	١٩٥٨
٢٫٠٠٠٫٠٠٠	مليونان من الدنانير	١٩٥٩
٢٫٠٠٠٫٠٠٠	مليونان من الدنانير	١٩٦٠
٢٫٠٠٠٫٠٠٠	مليونان من الدنانير	١٩٦١

هذا وقد تبرعت بثلاثة آلاف دولار كمصاريف لوفد الجزائر في هيئة الامم المتحدة وساهمت الحكومة بالمواد الحربية فقد قدرت حتى حزيران ١٩٦٠ بمليون وربع مليون وساهمت بالمواد الغذائية الى اللاجئين والى جيش التحرير ٠

النوع	الكميـــة

النوع ـ والكمية
الرز ـ ١٠٠ طن مائة طن
دبس ـ ٥٠ طن خمسون طن
أقمشة ـ ٥٠ طن خمسون طن
بطانيات ـ ٢٠٠٠ الفا بطانية عراقية
صابون غسيل ـ ١٠٠٠ صندوق
تمر ـ ١٥٠ مائة وخمسون طنا

وهناك مساعدات ارسلت من المواد الطبية والملابس قد تبرع بها الشعب العراقي برغبة صادقة(٦) .

وحين أسجل هذه المعاونات لا اقصد من ابرازها اظهار المنـــة أو الجميل فليس فيما قدمنا الا جزء من واجب لبلد تجمعنا وايـاه وشائج الدم والدين واللغة وهدف مشترك هو التحرر وطرد الاستعمار من أرض العروبة .

هذا وان ساسة العرب وفي مقدمتهم الجمهورية العربية ، أبت عليهـم عروبتهم أن يقبلوا المساومة في قضية الجـزائر ، ورفضوا العروض المغرية من قبل وسطاء الغرب كي تكف هذه الحكومات من تأييد الجزائر المجاهدة ، وراح ممثلوها في المنظمات الدولية ، وفي مجلس الامن يوالون تقاريرهم ، ويرفعون طلباتهم لادخال مسألـــة الجزائر في جدول اعمال المنظمة لانهاء المشكلة وكانت الردود العنيفة من ممثلي الحكومات العربية تتعالى بكل قوة ، واستنكار على الذين كانوا يقولون : بان قضية الجزائر قضية داخلية ، وليس لمجلس الامن أن يتدخل بحلها لانها تخص فرنسا والجزائر فرنسية ، منطق مغلوج ، لا يسيغه الا الاستعمار ، والا فما تاريخ الجزائر بغائب عن امريكا ولا انكلترا وغيرها ، وهم الذين كانوا يعقدون المعاهدات مع الجزائر قبل الغزو الفرنسي بل ويؤدون ضرائب الحماية لسفنهـم التي كانت تخشى سطوة القرصان ويبرمون بنود المعاهدات والاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع الجزائر ، وكانت لها شخصيتها الرسمية والشعبية واستقلالها وحدودها وقوميتها بل وحروبها طوال القرن الماضي في سبيل حريتها واستقلالها .

(٦) كتاب : القضية الجزائرية تدخل عامها السابع ص ٩ـ١٠ .

وردت صحافة البلاد العربية طافحة بالغضب العارم على اولئك الذين صموا آذانهم عن سماع الحق ، وغضوا ابصارهم عما يجري في ارض الجزائر من المجازر يعلقون مشكلة شعب وانسانية معذبة على مفاوضة الدولة المعتدية ، وما مفاوضاتها الا الخداع ، والامـل الضائع ، بغية كسب الوقت لعل جبهة التحرير يعتريها الوهن أو ينفع معها الاغراء والوساطات أو يفيد معها الوعيد بسلاح حلف الاطلسى أو يخيفها ما يفعله الجيش السرى من الفظائع ، وظلت الجمعية العمومية تؤخر طلب الوفود العربية بتأثير امريكا والدول الاستعمارية كانت الوفود العربية الى منظمة الامم المتحدة في كل دورة تثير قضية الجزائر وتنادى الضمير العالمى وتهيب بالهيئات الدولية وممثليهـا أن يضموا أصواتهم لناصرة العدالة والمسارعة لايقاف هذه المجـزرة البشرية التي ترتكبها فرنسا ولكن الدول الكبرى كانت تصم آذانها بتأثير امريكا التي تسيطر عليها الشركات الامريكية ذات النفوذ على الحكومة والجيش واستطاعت هذه الشركات أن تنوم الضمير الامريكى وأن تحصل من الحكومة الامريكية راعية الحلف الاطلنطى على السماح لفرنسا باستخدام الاسلحة التي يزود بها هذا الحلف في حربها للجزائر وراحت تسد العجز في تمويل فرنسا ضد الجزائر الوطنية ·

ولم تكتف بمعاوناتها فحسب وانما عمدت الى ان تستخدم نفوذها في اروقة الامم المتحدة لتقاوم الجهود التي تبذلها الدول العربية والكتلة الاسيوية الافريقية لتنال الجزائر حريتها وتحقق استقلالها في تقرير مصيرها اسوة بما حدث مع جيرانها المغرب وتونس واستطاعت الدوائر الغربية بتأثير الولايات المتحدة أن تعلق المسألة الجزائرية بحجة التفاوض بين فرنسا وجبهة التحرير وهذا الارجاء والمفاوضة لن تطول وامدها مهما امتد فانه ينتهي الى امرين اثنين لا ثالث لهما ·

اما اجابة المطاليب التي اعلنتها جبهة التحرير وفي مقدمتهـا الاعتراف باستقلال الجزائر واما استمرار الحرب حتى النصر واخذ الاستقلال بالقوة وكان الاجدر بفرنسا أن ترضخ لهذه المبادىء التي تقدمت بها جبهة التحرير وتسلم للامر الواقع ولا ترتكب تلـك الخيانة البشعة بالقائها القبض على الزعماء الخمسة وهم في طريقهم الى تونس للمفاوضة وكان القبض عليهم احراجا للملك محمد الخامس وللرئيس الحبيب بورقيبة ويذكر العالم باجرام العصابات وقطاع الطرق ولا تليق بحكومة لها شرفها العسكري · ان الحكومة الفرنسية

التي يسيرها أصحاب الامتيازات بدافع من ارباب النفوذ بارتكابهـــا هذه اللصوصية قد عقدت المسألة وزاد هذا الحادث من صلابة الثوار واثار سخط العالم أجمع ما عدا دول الاستعمار فتعالت احتجاجات الشعوب العربية وتعرضت فرنسا لاقسى محنة تمر بها عبر السنوات السبع التي قطعتها ثورة الجزائر ، فأعلنت قيادة جبهة التحـــرير وحكومات الدول العربية استنكارهم وحملت فرنسا مسؤولية حياة الزعماء واعلنت الجبهة البيان التالى :

١ ـ ان القاء القبض بتلك الصفة الدنيئة السافلة على خمسة من زعماء الجيش والجبهة لا يمكن ان تؤثر على سير العمليات العسكرية ولا على الاتجاه السياسي للجبهة .

٢ ـ ان هذا العدوان الصارخ على الكرامة لا يزيدنا الا ايمـانا على ايمان بان هؤلاء المستعمرين الفرنسيين لا يحترمون عهدا ولا ميثاقا ، وان لغة القوة وحدها هي اللغة التي ترجعهم الى الصواب ومن أجل هذا فالمؤتمر يقرر مواصلة الكفاح الى نهايته المشرفة ويعتبر الاعتقال كأن لم يقع .

٣ ـ ان جيش التحرير الوطنى ، وجبهة التحرير الوطنية يعلنان ان المطالب الاساسية التي اعلناها منذ فجر الثورة انما هي باقية على حالها لا يمكن ان تتغير أو تتبدل وهي اعلان الاستقلال واطلاق سراح المعتقلين السياسيين والمفاوضة مع حكومة وطنية جزائرية موقتة من أجل وقف اطلاق النار .

٤ ـ ان جبهة التحرير الوطنية وجيش التحرير يعتبران ان حياة وراحة الزعماء الخمسة امانة في عنق العرب اجمعين وعنق الرجال الاحرار في كل انحاء العالم ، وقد كتبت السلطات الاستعمارية بيدها أخس صفحة في تاريخ فرنسا ، باختطافها الزعماء الجـــزائريين الخمسة .

بيد ان فالها خاب فان المد الثوري الجزائرى ماض في طريقه حتى يتحقق انتصار الجزائر انتصارا كاملا ، وحماقات الاســـتعمار الفرنسى كثيرة ولكن أخسها وابشعها اختطاف الزعماء الخمسة وغزو مصر مع اليهود ومع الانكليز سنة ١٩٥٦ والذي دفعها لتلك الحماقة الانتقام من الجمهورية العربية أملا أن تنقطع عن مؤازرة الثورة الجزائرية وذلك بتغيير نظام الحكم الجمهورى وابعاد القادة الاحرار وعلى رأسهم عملاق القومية العربية جمال عبدالناصر ، فكانت الخيبة

التي منى بها المخالفون اشد قسوة وارتباكا لفرنسا واثارة لسخط العالم اجمعه عليها ·

وجرت على تكبد الخزانة الفرنسية ملايين بل مليارات الفرنكات فزادها ارتباكا ونقصا واثار مظاهرات صاخبة على حكومة ذلك العدوان كان هدف الاستعمار تحطيم القومية العربية في غزو مصر فاذا توصلت الى غرضها تبقى الجزائر وحدها فلا تقوى على الصمود أمام فرنسا ولكن خاب فالها وطاش سهمها وتحطمت قواها وقوى حليفها وجن باعثها وها هو يعيش فى جوميكا يجتر ندمه على حماقته ،

مؤتمر خارجية الدول العربية :

عقد في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٦١ في بغداد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية ، واشتركت فيه : الجمهورية العربية ، والعراق ، وتونس ، والمغرب ، وليبيا ، والاردن ، ولبنان ، والسودان ، وحكومة الجزائر الموقتة ، وناقش المؤتمرون قضية الجزائر ، واصدروا القرارات التالية :

١ ـ ان تقوم وفود الدول العربية ، لدى الامم المتحدة بالتعاون مع المجموعة الاسيوية ـ الافريقية ، وسائر الدول الصديقة بتتبع تنفيذ قرار الامم المتحدة ، في دورته الحالية بشأن الجزائر ·

٢ ـ تقديم المزيد من العون المادى ، والمالى ، الى الحكومة الجزائرية ، بالاضافة الى تنفيذ القرارات السابقة لمجلس الجامعة العربية·

٣ ـ امداد الحكومة الجزائرية بمزيد من الاسلحة ، فى اقرب وقت ممكن ·

٤ ـ ان تسمح كل دولة عربية لرعاياها ، بالتطوع في جيش التحرير الجزائرى ، كما تسمح بان يعبر اراضيها متطوعون وطنيون ، وتوفر وسائل نقلهم داخل اراضيها في طريقهم الى الجزائر ·

٥ ـ ان تضاعف الدول العربية جهودها لدى الحكومات الاجنبية ، للحصول على مزيد من التأييد السياسى لقضية الجزائر ·

٦ ـ تؤكد الدول العربية من جديد ، تأييدها وحدة الجزائر ، وسلامة أراضيها ·

٧ ـ تؤيد الدول العربية ، ما عرضته الحكومة الجزائرية ، في يوم

١٦ من اكتوبر سنة ١٩٦١ من اجراء مفاوضات ثنائية لتأمين الشروط ، والضمانات اللازمة ، لممارسة الشعب الجزائري حق تقرير مصيره .

٨ ـ تعيد الدول العربية النظر في علاقاتها ، السياسية ، والاقتصادية، مع فرنسا اذا استمرت هذه في حربها ضد الجزائر .

٩ ـ تواصل الدول العربية ، التي تقوم في اراضيها ، قواعد اجنبية، العمل بجميع الوسائل ، للحيلولة دون استخدام هذه القواعد لتزويد العمليات الفرنسية في الجزائر .

١٠ـ تشديد الحملة ، على الدول ، والمنظمات العسكرية ، والسياسية، التي تؤيد فرنسا سياسيا وعسكريا وماليا .

١١ـ مناشدة الدول الاسيوية الافريقية ، وسائر الدول المؤيدة ، للكفاح القومي في الجزائر ، تأييد القرارات ، وخاصة ما ورد في البند الثاني .

وفي ٢ مارت سنة ١٩٦١ أعلنت حكومة الجزائر ان وقف اطلاق النار لن يحدث الا نتيجة لمفاوضات مباشرة ، مع فرنسا ، وقد جاء هذا التصريح ، ردا على ما اذاعته ، وكالة الانباء الفرنسية ، شبه الرسمية ، من ان الحكومة الفرنسية : تشترط ، وقف اطلاق النار في الجزائر قبل بداية أية مفاوضات مع ممثلي الحكومة الجزائرية .

وفي ٨ مارت من سنة ١٩٦١ صرح محمد بايزيد وزير الاستعلامات في الحكومة الجزائرية : اننا نقبل اجراء مفاوضات رسمية ، مع الحكومة الفرنسية ، بدون اى شرط متقدم على هذه المفاوضات ، ونحن مستعدون لبدء المفاوضات ونعرف ما نريد ، واين نذهب ، وتؤيدنا فى موقفنا ، حكومتا المغرب وتونس وشعباهما ، كما يؤيدنا العالم العربى ، وافريقية وآسيا ، والشعوب الاخرى المحبة للسلام ، تأييدا مطلقا .. واننا لنعلم كذلك ان جانبا كبيرا من الرأي العام الفرنسى يقف الى جانبنا ، وهذا أمر لا يقل أهمية عن غيره .

واكد وزير الاستعلامات ، ما أعرب عنه أعضاء حكومة الجزائر ، من أنهم غير راضين عن الاتصالات السرية ، وانهم يطالبون باجراء مفاوضات مفتوحة على مستوى عال لتحقيق السلام فى الجزائر(٧) .

---

(٧) انظر هذا البحث بتفصيلاته في كتاب ، الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة من ص ١٠٧ـ١١٢ .

واعلن الجنرال ديكول ، استعداده ، لفتح مفاوضته مع الجزائريين للوصول الى تفاهم وعلى فتح استفتاء الشعب في الجزائر، وقبلت حكومة الثورة المفاوضة ولكن طلبوا اجراء الاستفتاء في الجزائر تحت اشراف هيئة الامم المتحدة .

وصرح ديكون بان الجزائر للجزائريين

وقبلت حكومة الجزائر ، أن ترسل وفدا الى باريس للتفاوض ، في شروط عقد المؤتمر الفرنسي - الجزائرى ، اى اعداد جدول اعمال هذا المؤتمر .. ولكن فشلت عروض التفاوض ، وفى ٢٢ كانون الثانى من سنة ١٩٦٢ اتخذ مجلس تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية بالاجماع قراراته التي جاء فيها ، بشأن الجزائر : انه قرر مطالبة جميع الشعوب والحكومات المستقلة في افريقيا واسيا تطبيق المقاطعة لفرنسا ، والاعتراف بالحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية وهاجم المجلس المساعدات التي تقدمها منظمة حلف شمال الاطلسى، لاستمرار الحرب الاستعمارية التي تشنها فرنسا على الشعب الجزائري ، وأيد اقتراح الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية باجراء المفاوضات مع الحكومة الفرنسية ، على الشروط والوسائل التي تمليها ممارسة حق تقرير المصير بحرية .

وفي ١٧ مارت سنة ١٩٦١ اعلنت حكومة الجزائر موافقتها على العرض الذى قدمته فرنسا رسميا ، باجراء مفاوضات من الجانبين لاقرار السلام في الجزائر وقال وزير الاعلام الجزائرى: ان حكومة الجزائر الوطنية ، لن تعدل عن قرار الغاء المفاوضات ما لم تقبل حكومة ديكول شروط الحكومة الجزائرية وفي مقدمتها الافراج عن زعمائها الخمسة الذين اختطفتهم فرنسا عام ١٩٥٦ ، ثم الاعتراف بان الحكومة الجزائرية هي الهيئة الوحيدة الممثلة للشعب الجزائرى .

واعلنت فرنسا على لسان المسؤولين ، انهم ماضون في الاستعداد للمفاوضات في اليوم المحدد لها وان الوفد الفرنسى رياسة « لويس جوكس » سيذهب الى ايفيان .. ليسجل طلب الوفد الجزائري .

وفي ٢٢ نيسان ١٩٦١ حاول اربعة من جنرالات فرنسا في الجزائر المعارضين لسياسة حكومة الجنرال ديكول ، وهم

« موريس شال » و « ادموند جوهر » و « اندريه زيلر » و « روؤل سالان »حاولوا القيام بانقلاب في الجزائر بدافع اسقاط ديكول ، ولمنع اجراء اية مفاوضات بين فرنسا والجزائر ، وكادت هذه الحركة تقضى على الجمهورية الخامسة وتنهي مهمة ديكول في انهاء الحرب الدائرة في الجزائر التي عرضت فرنسا الى الدمار .

المفاوضات

وفي ٣٠ مايس ١٩٦١ حضر وفد الجزائر المؤلف من ثمانية رجال ، كما حضر الوفد الفرنسي ، وفتحت لمفاوضات رسميا في « ايفيان » واعلنت الحكومة الفرنسية وقف اطلاق النار ، من جانبها مدة ثلاثين يوما ، واطلاق سراح ٦٠٠٠ ستة الاف جزائري ونقل الزعماء الخمسة الى اقامة محددة في قصر « تور » واوقفت فرنسا محادثات الجزائر الى اجل غير محدود حول امور ثلاثة :

١ – تسليم الجزائريين بقيام وضع خاص للجالية الاوربية في الجزائر

٣ – توقيع اتفاق وقف اطلاق النار .

وفي ٣٠ تموز من السنة نفسها عادت ففتحت المفاوضات من جديد ، ثم تعثرت مرة ثانية حول موضوع الصحراء الكبرى ، وفي تشرين الاول كانت طائرة فرنسية تنقل القادة الخمسة من مراكش الى تونس ، فاعترضتها طائرات فرنسية وارغمتها على الهبوط في مطار الجزائر واعادت فعلتها البشعة السابقة ، التي اعادت الى الاذهان فصل القرصنة واللصوصية ، فاضرب الزعماء الخمسة عن الطعام واضرب معهم الاسرى الجزائريون ، واحتج الملك محمد الخامس على هذا الاعتداء واعتبره اعتداء عليه ، وقامت ضجة في العالم العربي وفي المجال الدولي ، وتدخلت المغرب واعتبرتها اعتداء عليها ، وقامت ضجة في العالم العربي وفيالمجال الدولى ، وتدخلتجمعية الامم وطلبت الى الحكومة الفرنسية منح الخمسة المأسورين صفة الاسرى السياسيين ، انتهت التسوية بنقلهم الى مركز للاستشفاء تحت رعاية طبيب مراكشي واشراف مندوب خاص من قبل الملك محمد الخامس رحمه الله وفي ١٩ مارت عام ١٩٦٢ توقف القتال بين قوات الاستعمار الفرنسى وقوات جيش التحرير ، بعد ان تم

الاتفاق بين الحكومة الفرنسية وحكومة الجـزائر الموقتـة اثر مفاوضات ناجحة في ايفيان ، واطلق سراح الزعماء الخمسة ٠

الاتفاقية : اهم نصوصها

١ ـ الاعتراف للشعب الجزائري بحقـوق السـيادة على اراضيه ٠

٢ ـ تكوين فرقة بوليسية من ٦٠٠٠ عسكري عربي لتوطيد الامن في الفترة بين وقف اطلاق النار والاستفتاء ٠

٣ ـ تكوين هيئة من اثنى عشر شخصا ، اتفق عليهم لتتولى سلطة الحكم في الجزائر اثناء هذه الفترة ٠

٤ ـ ان الصحراء جزء من الجزائر ، وبهذا احتفظت الجزائر مع حق الاستقلال ، ووحدة التراب الجزائرى ٠

نص الاتفاق لمعاهدة ايفيان

اذاع رئيس الوفد الجزائرى البيان التالى :

قال : ان وقف اطلاق النيران يضع حدا للعمليات العسـكرية والقتال المسلح في شتى انحاء الجزائر ابتـداء من اليـوم ، وان الضمانات الخاصة بتقرير المصير ، وتنظيم السلطة العـامة في الجزائر ، اثناء فترة الانتقال ، قد حددت في اتفاق مشـترك ، وان قيـام دولة مستقلة ، امر يتفق مع الحقائق الثـابتة في القطـر الجزائرى ٠

وقال البيان : ان استفتاء تقرير المصير الذى سـيجري عقب فترة الانتقال ، سيساعد الناخبين على ان يوضحوا : هل كانوا يريدون ان تصبح الجزائر مستقلة ؟ وهل كانوا في هذه الحالة يرغبون في ان تتعاون فرنسا والجزائر ؟ وفقا للشروط التي تم توقيعها ؟

وقال : فيما يتصل بتنظيم السلطة العامة في الجزائر في اثناء فترة الانتقال ، انه سينشأ مجلس تنفيذي موقت ومحكمة للنظـام العام ، بمجرد ان يصبح وقف اطلاق النار نافذ المفعول ٠

وقال البيان : ان فرنسا سيمثلها في الجزائر مندوب سـام يحل محل سلطة الجمهورية الفرنسية في الجزائر اذ انه سيوجه سير الادارة هناك ، وستكون من مسؤولياته العمـل على ان يشـغل الجزائريون مناصب مختلفة في فروع الجهاز الادارى ٠

وسيقوم المجلس بحفظ النظام العام ، وستوضع تحت تصرفه في سبيل اداء هذه المهمة ، خـدمات قوات البوليس والامـن التي ستخضع لسلطته ، ويقوم المجلس ايضا بالاعداد لاستفتاء المصير ٠

ويوضح البيان ان المعتقلين في فرنسا والجزائر سيفرج عنهم خلال عشرين يوما من تاريخ وقف اطلاق النار ، وان العفو العـام سيعلن فورا وسيطلق سراح جميع المعتقلين واشتمل الجزء الخاص بالمسائل العسكرية في البيان على عدد من المبادىء لحل هذه المسائل مع الاخذ بفكرة الجزائر وتعاونها مع فرنسا ٠

وستنقص القوات الفرنسية بصورة مطردة بعـد وقف اطلاق النيران ، وستنسحب من مناطق الحدود الجزائرية في اللحظة الـتي يتم فيها تقرير المصير ٠

وستنخفض القوة الفعالة للجيش الفرنسي في الجزائر الى ٨٠ الف رجل في مدى ١٢ شهرا بعد تقرير المصير ، على ان تتم اعادة هذه القوة الى فرنسا في نهاية فترة ثانية مدتها ٢٤ شهرا ، ويتم تسـليم المنشآت العسكرية في مدة تتفق وهذا المعدل ٠

وتمنح الجزائر فرنسا حق استخدام المرسى الـكبير لمدة ١٥ سنة على اساس التأجير ، على ان يكون ذلك التأجير قابلا للتجديد ٠

وبالمثل تسمح الجزائر لفرنسا باستخدام مطارات معينـة وبعض المواقع والمنشآت العسكرية التي لا تعد لازمة لها ٠

وجاء في القسم الخاص بالتعاون بين فرنسا والجـزائر ، ان العلاقات بين البلدين ستكون على اساس الاحترام المتبادل لاستقلال كل منهما وتبادل المنفعة ٠

واوضح البيان ان الجزائر ستكون جزءا من منطقة الفـرنك وسيكون لها عملتها الخاصة الدينار ـ ويساوي فرنك فرنسي ـ كما وانها ستحتفظ بنقدها الاجنبي الخاص ، اما فيما يتصـل بموارد الجزائر الطبيعية فقد قال البيان :

ان تعاون فرنسا والجزائر ستضمنه هيئة فنية في اسـتغلال الصحراء الكبرى وسيكون هذا التنظيم على اساس من المساواة بين الجانبين ٠

كما ان الدولة الجزائرية ستمنح فرنسا امتيازات فيما يتصل

بالتعدين مستندة الى سيادتها الكاملة مع ضمان مصالح فرنسا[8] .

نداء الحكومة الموقتة الى الجزائريين

لقد اذاعت الحكومة الجزائرية في ١٣ حزيران عام ١٩٦٢ بيانا سياسيا دعت فيه أفراد الشعب الجزائري والمستوطنين الفرنسيين للاشتراك في استفتاء تقرير المصير يوم أول تموز ودعا البيان المستوطنين للمساهمة في بناء صرح الجزائر الجديدة وقال :

ان حكومة الجزائر تؤكد ان اتفاقيات ايفيان ستكون اساسا للدولة الجديدة ، وان شعب الجزائر سيحترم بدقة الضمانات التي نصت الاتفاقيات على توفيرها للمستوطنين وعلى هؤلاء الا يستمعوا الى اقوال الجيش السري الذي يحاول تخرب الجزائر ويقودهم الى الدمار .

وقال البيان :

انه عندما تصبح الجزائر دولة مستقلة في اول - يوليو - - تموز - سيأخذ الزعماء الشبان في ايديهم مصير البلاد وسوف تدعم القوى الشعبية المكاسب التي اسفرت عنها حرب التحرير في وسيؤدي الاستقلال السياسي الى ثورة اجتماعية والى استئصال الاقطاع وبقايا الاستعمار والعنصرية والتعصب "

وستكون المهمة الاولى للدولة الجديدة الاخذ بنظام الاصلاح الزراعي ، وتنفيذه لمصلحة الشعب والفلاحين ، ولخدمة الاجيال القادمة .

وصرح رئيس الحكومة الجزائرية السيد يوسف بن خده :

« ان حكومة الجزائر ترفض ان تمنح المستوطنين الاوربيين في الجزائر ضمانات اضافية خارج نطاق اتفاقيات ايفيان . ونحن نرى الان سلسلة من المناورات تستهدف احباط هذه الاتفاقيات او تعديلها من اجل منح المستوطنين هذه الضمانات الاضافية والجزائر في حاجة الى التاييد الكامل لها من جانب حليفاتها حتى تتمكن من مواجهة الاخطار والمناورات التي ستهدد استقلالها .

وقال في تصريحاته « ان السلطة التنفيذية الموقتة في الجزائر لا تتمتع الا بسلطة ضئيلة . وان الاجهزة التي قضت الاتفاقيات

---

(٨) الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة من ص١٤-١٢٠ .

بانشائها لم تحصل على الوسائل اللازمة لحفظ الامن ، ومن الواضح ان في بعض الدوائر الفرنسية من يتواطئون مع غلاة المستعمرين[9].

وقد وزعت قيادة جيش التحرير في الجزائر منشورات دعت المستوطنين للوقوف في صف شعب الجزائر لتدعيم استقلاله بعد ان ثبت للعالم اجمع ، بل ولاعضاء المنظمة السرية انفسهم ان اشد الاستفزازات وابشع الجرائم لا يمكن ان تحطم وحدة الشعب الجزائري وشعوره بواجبه وان الجزائر المستقلة لتضمن للمستوطنين الاوربيين مكانهم وطمانينتهم فيها ، وعلى هؤلاء الا يدعو بين صفوفهم مكانا للارهابيين وللتجمعات السياسية المضرة بسلامتهم وبمستقبلهم .

اللجنة السياسية لميثاق الدار البيضاء الافريقي

صدرت اللجنة السياسية لميثاق الدار البيضاء بيانا قدمته بتحية حارة لكل القوى التي ساهمت في انهاء الحرب . وتفاديا للاخطار التي تثقل كاهل الجزائر في مرحلتها الراهنة اعلنت في هذا البيان :

١ ـ تعلن مساندتها التامة للحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية في نضالها من اجل التنفيذ الامين لاتفاقيات ايفيان .

٢ ـ وتقرر استخدام جميع الوسائل التي يسمح بها حكام الميثاق لضمان وحدة اراضى الجزائر .

٣ ـ وتتعهد بتقديم اكبر عون للجزائر المستقلة لمواجهة الاعمال التخريبية الموجهة ضد الهيكل الاقتصادى والاجتماعي .

٤ ـ وتوجه النداء لكل الدول الافريقية باستقلال الجزائر وبالحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية في اعلان الاستفتاء .

٥ ـ وترى ضرورة انشاء لجنة يعهد اليها بمتابعة تطورات الموقف في الجزائر حتى تستطيع دول الميثاق مواجهة كل احتمال .

٦ ـ تتعهد بطلب قبول الجزائر المستقلة عضوا في الامم المتحدة بعد اعلان نتائج استفتاء تقرير المصير .

وفي ١٩ حزيران وجه رئيس الحكومة بيانا جاء فيه .

---

(٩) المصدر السابق ص ١٢٣ـ١٢٤ .

« ان المشكلة الاولى هي اضطراب الامن في الجزائر والثانية هي ان الاستعماريين لم يتخلوا بعد عن فكرة تقسيم الجزائر ، وان هذه المشكلة الخطيرة تتجلى في وهران خاصة وقال : ان الفرقة الاجنبيـــة اعلنت العصيان ضد الجزائريين مما يعد خرقا واضحا لاتفاقيات وقف اطلاق النار التي عقدت في ايفيان ، وفي وهران والمرسى الكبير تنادى العناصر الاستعمارية الاوربية المتطرفة باقامة منطقة تجميـــع ، وهي تتلقى المساعدة العلنية احيانا والخفية احيانا اخرى من جـانب بعض الجماعات في الجيش السرى .

وقال رئيس الحكومة الجزائرية : ان هذا كله يظهر بوضــوح مدى الاخطار التي تحدق بالجزائر ويظهر ان الاستعماريين لم يتخلوا حتى الان عن فكرة تقسيم الجزائر .

« وقال : في هذه الفترة الحاسمة التى تمر بها الجـــزائر الان ستظل الحكومة الموقتة مصممة من جانبها على ان تطبق بنزاهة اتفاقيات ايفيان التي توصلت اليها مع الحكومة الفرنســية وتتضمن هــذه الاتفاقيات بصفة خاصة وحدة التراب الجزائرى وســلامته ، غير ان التطورات الحالية تتطلب مزيدا من الحذر واليقظة .

« ولمواجهة المرحلة القادمة فاننا سنمضى ونحن متأكــدون من التاييد الكامل من جانب رؤساء دول ميثاق الدار البيضاء ، وان جميع اخواننا وجميع حلفائنا مستعدون فى كل الاوقات لان يقفوا معنـا فى مواجهة كل احتمال » .

وفي هذه الفترة ازدادت هجمات الجيش السري على الاحياء المجردة من السلاح وقتلوا الكثيرين وخربوا كل ما يقع تحت ايديهم بقصــد تدمير الجزائر وكانت تطالب رجالها بالاستمرار على القتـال ، ولـكن ذلك لم يجدها نفعا وايقن رؤساء المنظمة بان استقلال الجزائر قد تم ولا مجال للوقوف ضده وان المصير المخيف ينتظرهم ان هم مكثوا مدة اطول مما بقوا فليهربوا عن اي طريق يجدونه ضامنا لسلامتهم فمنهم من اتخذ سبيل البحر ومنهم من اتخذ سفن الهواء طريقا للوصول الى فرنسا أو سويسرا وتبعهم الكثيرون من الكولون الذين اجرموا بحق الجزائر وكفروا بقدسية المواطنة ، هربوا خوفا من القصاص الذى ينتظرهم ، وانهارت مقاومة المنظمة في وهران والجزائر وان زعماءهـا

اخذوا يتسللون الى الخارج حاملين ثروات طائلة مما سرقوا ومما نهبوا .

واذاع عبدالرحمن فارس رئيس الهيئة التنفيذية الموقتة بيانا دعا فيه جميع الجزائريين للتصويت بكلمة - نعم - في استفتاء المصير تعبيرا عن تأييدهم الكامل لاتفاقيات ايفيان ، وتم تصويت الشعب على الاستقلال ، وكان هذا الاتفاق نصرا سياسيا عظيما للشعب الجزائري وللامة العربية ووضعت اتفاقيات ايفيان حدا للنظام الاستعماري وللسيطرة الاجنبية .

نهاية حرب الاستقلال

آمن الجزائريون بربهم وبدينهم ووطنهم وعروبتهم وآمنوا بحقهم في تقرير مصيرهم وآمنوا بتربة ارضهم انها لهم وحدهم وليس لفرنسا ولا لغير فرنسا ان تسلبهم هذه الارض وآمنوا انها عربية ويجب ان تظل عربية لا ينازعهم عليها منازع وان يتمتعوا بخيراتهم وحدهم ويورثوها لاولادهم واحفادهم من بعدهم وان يظفروا باستقلال الجزائر استقلالا ناجزا غير مشروط فهم احرياء بهذا الاستقلال بعد ان جربوا مواعيد فرنسا في حربين عالميتين بذلوا لها المعاونة الفعلية وشاركوها بالحرب في اوربا وافريقيا ، وبذلوا خيرات ارضهم في سبيل انتصارها بأمل ان توفي لهم بوعودها فما كان من فرنسا الا ان قلبت لهم ظهر المجن وعادت الى سالف عادتها مع الاحرار سجنا وقتلا وتشريدا ونفيا ومصادرة للاملاك فوطنوا النفس ان يقاوموا الاستعمار بكل ما يملكون من طاقة بعد ان عنف اضطهاد المستعمرين الفرنسيين واستخدموا كل أنواع القمع من شنق وتشريد وابادة فما زادهم هذا القمع الا ايمانا بحقهم وتمسكا بدينهم ووطنهم وهو ايمان عميق يمتد جذوره التاريخيه عبر قرن وثلث قرن فلم يهنوا ولم يضعفوا بل زادهم الارهاب صلابة واستبسالا وتضحية واقداما ، ايمان يستمد طاقاته من مبادىء الاسلام ومن مقومات العروبة ويستند على المبادىء الانسانية التي تمثلها مقررات منظمة الامم والتي تتمثل في حقوق الانسان التي اقرتها الامم المتحدة واكدتها المؤتمرات الدولية والشعوب الافريقية ، مثل هذا الايمان ومثل هذه الدوافع الانسانية لا يمكن ان يتخلى عنها شعب كافح في القديم ويكافح في الحديث لا يمكن ان تخبو ناره او يهمد

اوراه او تفتر عزيمته مهما امتدت الحرب ومهما طالت على الزمان ولهم عون اخوانهم وبني عمومتهم والرأي العام العالمي المدد الذى لا ينضب . والجزائر اليوم لا تقف وحدها كما كانت من قبل بل ان الدول العربية المستقلة تساندها وتشاركها في الكفاح بل الضمير العالمي الذى يمثل الخير للانسانية يقاوم نزعات الاستعمار ويناضل ضد الاستعباد ، ان فرنسا تتجاهل ان الاستعمار يلفظ انفاسه الاخيرة ولكن تجاهلها هذا وعنادها لم ينفعها في خضم هذه الحرب الضروس التي صمم الجزائريون ان يوقدوها في كل مكان في الجبال والسهول ، في المدن وفي القرى وفي فرنسا نفسها ولن يركنوا للسلم حتى ينالوا استقلال بلادهم ، ولا ينفعها تعقيد المسألة الجزائرية بادعائها ان ارض الجزائر ارض فرنسية وان وجود مليون فرنسي مستوطن سيضيع ان استولى الوطنيون على السلطة وان الجزائر هي المتنفس الوحيد لزيادة عدد السكان في فرنسا وان اقتصادها يعتمد الى حد كبير على الثروة الجزائرية المعدنية والزراعية والحيوانية .

ان هدفها من اصرارها على قمع الثورة كان تحطيم الروح القومية واخضاع الوطنيين الى جبروتها وفاتها ان عهود الامبراطورية والامبريالية الاستعمارية قد ولت وان قوتها وجيشها واسطولها لن تكسبها الغلبة على كفاح الشعب الجزائري المناضل وسيتحطم جبروتها لا محالة على صخرة هذا الصمود.. هؤلاء احرار فرنسا وكتابها راحوا يتصايحون ويتظاهرون ضد سياسة العنف والدعوة لاستمرار الحرب ان صيحات الاستنكار من الشعوب الحرة كانت من عوامل وهن فرنسا وكانت قوة للمحاربين الثوار لانهم طلاب حق ، وان السفاكين الفرنسيين من الجيش السري والسياسيين الطغاة لم يتركوا وسيلة للارهاب والتعذيب مع الشعب الجزائري في هذه الثورة التي استخدموها ، وهذا احد كتابهم (بيير هنري سيمون) يقول في كتابه ضد التعذيب : « لم يصبني ملل من الحياة كما اصابني في الجزائر فان الالمان النازيين في وحشيتهم القاسية ليسوا الا اطفالا صغارا امامنا ، رأيت بعيني اجراءات المكتب الثاني لجنود المظلات الذى كان يعذب الوطنيين الجزائريين بابشع الوسائل لارغامهم على الكلام وذلك بوضع ماسورة في فم الوطني تحت ضغط الماء حتى

يخرج الماء من جميع منافذ الجسم والايدي مكتوفة وراء الظهر ، ثم يعلق من راسه حتى تخرج المفاصل من مواضعها وحينئذ ينهال جنود المظلات بضرب لا هوادة فيه ولا رحمة وبعد ذلك فان لم يعترف بما يرضيهم ارتكبوا معه اشد الاعمال فظاعة بتسليط الكهرباء على راسه ورجليه حتى يقرب من الموت واخيرا يطعن بالخنجر بين كتفيه، ومع ذلك التعذيب فالضمير الغربي الامريكي والانكليزي ومن سار في ركابهم قد اصابه الشلل بل مات موتا ظاهرا للعيان امام ما يجري من وحشية في الجزائر لم يحرك ساكنا ولم يتحرك حتى في منظمة الدول وظلت امريكا ومن سار في فلكها تحجب صوت العرب والاحرار من دول العالم وتصر على ان مسالة الجزائر داخلية وانها ارض فرنسية وهم يعلمون علم اليقين ان الفرنسيين غزاة مستعمرون ليس لهم اي حق بارض الجزائر وان الشعب الجزائري له مقوماته ومؤهلاته وشخصيته القومية والدينية والتاريخية وان الجزائر نالت حقها عن طريق صمودها وقد سلم ساسة فرنسا لهذا الحق بمعاهدة افيان ١٩٦٢ .

بدأت الثورة الجزائرية الكبرى ببضع مئات وعمت تدريجيا القطر الجزائري من ادناه الى اقصاه ، قاومت مليون اوربي اضافة الى ثلاثة ارباع المليون من افراد الجيش الفرنسي ، بعتاد الحلف الاطلسي ومدفعيته ودباباته ، وقاومت جيش المقاومة السري الذي لقي منه ابناء المدن الجزائرية العربية ابشع القتل والتعذيب واستمرت الحرب الضارية سبع سنين دأبا اشترك فيها شباب الجزائر وكهولها ونساؤها ورجالها ابدت المرأة الجزائرية من الشجاعة والبطولة والتضحية مما رفع اسمها عاليا وخلدها في اهازيج الشعر واغاريد الغناء ، ضحت الجزائر في هذه الحرب بمليون ونصف المليون من ابنائها الابرار ، في سبيل السيادة والحرية ، ونالت اعجاب العالم ورفعت كرامة العرب واصبحت قدوة للشعوب التي تنزع الى التحرر والاستقلال .

وحققت بموجب معاهدة (ايفيان) المعقودة في ١٩ مارت ١٩٦٢ استقلال الجزائر ، واسست اول جمهورية ديمقراطية شعبية، كتب لها النجاح والتقدم وها هي آخذة بالنمو والازدهار والاستقرار ، واضعة نصب عينيها الحفاظ على ما حصلت عليه بفضل تلك

التضحيات ، جاهدة وراء التغلب على التخلف ساعية لمزيد مـــن المكاسب والانجازات في مختلف مناحي الحياة ، الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتمعية والعمرانية ، ليتمتع الشعب بالامن والرفاهية والحرية والسلام ·

معركة البناء والانشاء

والجزائر هي الان تخوض معركة البناء والانشاء والعمـران ، معركة المجتمع السياسي والاقتصادي معركة المجتمع الخارج من معركة طويلة الامـد والمجتمع الذي اغتصبت خيراته واستعبدت جماهيره وأمتصت ثراوته ، معركة الوطن الجزائري بكل طاقاته وامكانياته ، لرفع مستواه من التخلف والفقر والجهل والمرض ٠

من تلك الامكانات توزيع الاراضي الزراعية التي تزيد عـلى عشرة مليونات هكتار كانت بيد الحكومة الفرنسية في الجزائر وثلاثة ملايين هكتار – كان الكولون يستغلونها ويزرعونها وفق ما ينفعهم ويدر عليهم الربح الوفير لا وفق ما تحتاجه البلاد ٠

والتسيير الذاتي في حقل الزراعة والصناعة سائر نحو النمو والتحسن والازدهار واذا اعترض طريق الجزائر بعض التلكآت والمعوقات بعيد الاستقلال فذلك امر طبيعي يعقب كل ثورة وينشأ اثر كل حكم وطني خلف ادارة اجنبية ، لا لان الادارة الاجنبية اصلح للحكم وأكفأ بل لان متطلبات الشعب في الحكومات الوطنية وغيرها مع المستعمر ، ولكن هـذه المرحلة ودخلت في مرحلة الانشـاء وبناء دولة قوية تضـمن هذه المرحلة ودخلت في مرحلة الانشاء وبناء دولة قوية وضـمان الاستقرار ، وتنقـل الشعب من حـالة التخلف الى حالة التطور والنمو والاشتراكية وقد اعلن بومدين سياسة حكومته بصراحـة فقال :

« ان الحكومة مقرة العزم على تعويض الحكم الفردي بالمركزية الديمقراطية والادارة الجماعية ، واكد ان الشعب الجزائري الشعب الذى صهرته ١٣٠ سنة من المقاومة وسبع سنوات ونصف من الحرب الوحشية له الحق ان يكون له حزب في مستوى تضحياته ، حزب ثوري طلائعي قادر على تبني الثورة وجدير بدوره كقائد اعلى للامة ، حزب في استطاعته تجسيم المبادىء الثورية » .

وبفضل برنامج البناء الوطني الذى صادق عليه مجلس قيادة الثورة ، وتلاحم جبهة التحرير والحكومة فان الجزائر تنشىء نفسها من جديد وتبني مجتمعها وفق الاشتراكية والعدالة الاجتماعية النابعة من تقاليدها العربية والمفاهيم الاسلامية ، وهي ستتغلب بعون الله على كل الصعاب وتزيل من طريقها مخلفات العهد الماضي البغيض .

معركة اعادة تنظيم الحزب :

تواجه الثورة معركة من اخطر المعارك ، هي معركة تنظيم الحزب او بنائه ، وتطعيمه بدماء جديدة وافكار موجهة ، وذلك لان استمرارية الثورة متوقفة الى حد كبير على نجاح هذه المعركة،ويلاحظ من تصريحات المسؤولين ، ان الذين قد طلبوا الانتماء الى الحزب او طلبوا تجديد هوياتهم الحزبية ، واكثريتهم من العمال والفلاحين ، ولا شك ان اقبال العمال والفلاحين على الانخراط في صفوف الحزب تمده بطاقات بشرية ثورية ، وهل قامت الثورة الا على سواعدهم في الاغلب ؟!

وهناك ظاهرة غير مشجعة بل تخلق خطرا تتمثل هذه الظاهرة بنفور الموظفين وهم الطبقة المثقفة ، وهذه الحالة لم تحصل للجزائر وحدها وانما تحصل في اغلب اقطارنا العربية ، اما تخوفا منهم على مستقبل وظائفهم او الاشفاق من الحزبية ان تجرهم الى ما فيه الاذى ، او انهم يحسبون قيامهم بوظائفهم هي الخدمة التي يقتضيها الواجب تجاه شعبهم ووطنهم ، وخطر ابتعاد المثقفين والموظفين عن الحزب يتجسم بحرمان الحزب من كفاءات وتجارب لها قيمتها في تحمل المسؤوليات الادارية والصناعية والثقافية ، والاهم التوجيه المبني على الدراية والتجربة ، وان ابتعاد هذه الطبقة عن النضال يجعلها طبقة متميزة ، دأبها الانتقاد والارجاف والتخذيل وهو ما يجب ان تبتعد عنه اية ثورة ولا سيما ثورة الجزائر التي ما زال

اعداؤها تتحلب افواههم الى خيراتها وما زالوا يروجون حولها الاراجيف ويشيعون الاتهامات الباطلة ويترقبون فرصة تسنح لهم للانقضاض والهجوم · يقول الرئيس بومدين في تصريح له بهذا الصدد :

« المشكلة الرئيسية التي تواجهنا من هذه الناحية هو تصور الناس لفكرة الحزب واقتناعهم بطبيعته ، كهيئة سياسية لحماية الثورة ، فهذه الفكرة يجب ان تنغرس في الاذهان قبل كل شيء اي انه يجب تدعيم الحزب كخطة وجهاز وفلسفة في افكار الناس وعقول المناضلين » ·

وافضل اسلوب لرضى الجماهير عن الحزب العامل ان يتجنب اعضاء الحزب الانتهازية والاستغلال والنفعية على حساب الحزب ، من حقه ان يعتمد الحزب في المسؤوليات على منتسبيه ، ولكن بشرط ان يكون ذلك في اطار المصلحة العامة ، فلا يصح بحال من الاحوال ان يحمل الحزبي على اكتاف المصلحة اية مصلحة وهو ليس بكفء لها ففي ذلك ضياع تلك المصلحة وضياع سمعة الحزب نفسه ونفور الناس من وجوده بل يؤدي في الاكثر الى قيام التكتلات عليه ·

من واجب الحزب اي حزب ان يستبعد من صفوفه كل النفعيين والانانيين والمستغلين من واجب الغيارى على الحزب مراقبة اعمال الموظفين الحزبيين بعين يقظة كيلا يفسح المجال لهم لان ينزلقوا وراء المنافع الذاتية على حساب الحزب ·

فاذا ما غفل الحزب عن المستغلين او تسامح للمناضلين في ان يحلوا محل الطبقة المتحكمة القديمة ويؤسسوا لانفسهم امتيازات تؤدي الى ثرائهم والى استعلائهم على الاخرين ، تكون النتيجة فشل الحزب في نهجه ولا يكون قد أدى خدمة الا انه بدل طبقة بأخرى مثلها بالنتيجة ويكتشف الناس ان الثورة لم تنفعهم سوى حملت طبقة كانت مناضلة كما تسمي نفسها حملتهم على اكتاف الجماهير دون ان يقدموا خدمة ما للبلاد ·

وهذا ما لا يمكن ان يحصل في الجزائر واذا حصل فبنطاق ضيق ، ذلك ان جماهير الشعب قد ساهمت في الكفاح المسلح على نطاق واسع كما ، نجد ان عناصر القيادة ذات منبع شعبي برزت من

بين صفوف الطبقات الكادحة »[1] .

وثانيا : نلاحظ انعدام طبقة برجوازية وطنية بمعنى الكلمة في الجزائر لان الاستعمار حال دون ذلك فكانت الطبقة الحاكمة والمستغلة طبقة اجنبية من الاوربيين تخلصت منها البلاد بعد الاستقلال وهذا المعنى لا ينفي خطر قيام طبقة جديدة بالجزائر ، وهناك اكثر من تجربة تؤكد ان العناصر ذات المنبت الشعبي كثيرا ما تنحرف اذا لم تواجه باجراءات وتدابير تحول دون الانحراف » .

تاميم وسائل الانتاج :

وشملت معركة البناء وتأميم وسائل الانتاج ، اي مشاركة العمال والفلاحين في تسيير الثروات واعطائهم مزيدا من السلطات الاقتصادية ونسبا من الارباح معينة .

وهذا بحد ذاته يعتبر عاملا حاسما وضمانا قويا من شأنه ان يمنع نمو طبقة ذات امتيازات مجحفة ، وتشمل هذه المعركة توزيع الميزانية بين مختلف جهات القطر الجزائري وتوفير نسب ضخمة من ميزانية المشاريع للخطة الاقتصادية الى المناطق المحرومة والتي ما زالت تعيش متخلفة بكل شأن من شؤون الحياة فمثلا خصصت لهذه المناطق سنة ١٩٦٩ ثلاثين مليارا لورقلة و ٤٠ مليارا للاوراس، و «٥٥»[2] مليارا لتيزي أوز وهذا التوزيع والعناية بالمحرومين وبالعمالات المتخلفة من شأنها ان تمنع تكديس الثروة من جهة واحدة ولطبقة واحدة من المقاولين والرأسماليين ، وهو ما لا وجود له في في الجزائر .

مجانية الكتاب

وشملت معركة البناء : توفير الكتاب ومجانية اللباس والاكل لاطفال المدارس الذين ينتمون الى عائلات فقيرة ، وهي عملية تمس ستمائة الف طفل ، واعادة النظر في التشريع الخاص بالضمانات الاجتماعية على اساس يفيد العمال والفلاح[3] ، بغية توزيع الثروة

---

(١) انظر تصريحات بولدين في المجاهد ـ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

(٢) الدينار الجزائري يساوي مائة فلس .

(٣) نظام الضمانات أو الاعالة في الجزائر تشمل الموظفين والمستخدمين فلكل مولود نسبة لاعالته وكذلك للزوجة وهذه تعطي من غير حد لعدد الاولاد .

الوطنية على ابناء البلاد توزيعا عادلا بقدر الامكان .

ويقول الرئيس بومدين عن الخبرة الفنية : ومن الواضح ان تحقيق هذه السياسة يتطلب أولا خوض معارك اقتصادية ضخمة ، وهو ما عملناه ، ويتطلب ربح هذه المعارك الاقتصادية الاجتماعية معا، وهنا وجدنا انفسنا امام مشكل هام : وهو الادارة الفنية التي ننتصر بها في هذه المعركة ، فمن المعروف ان التعاون الفني رغم ضرورته ، لا يمكن ان يكون حاسماً في الموضوع ، ولهذا بذلنا عناية خاصة بالفنيين الوطنيين ، وحاولنا توفير الحد الادنى من الظروف المادية لهم ، حتى لا يفروا الى الخارج ولا نفقد خبرتهم .

صحيح ان الشباب الجزائري في مجموعه واع ومتحمس ، لكنا نريد تعزيز هذا الحماس بتوفير بعض الشروط المادية ، ونحن نعتقد ان هذه العناية الخاصة بالفنيين ضرورية لربح المعارك الاقتصادية التي تهدف الى تحقيق التحولات الاجتماعية التي تجسم شعار الثروة « من الشعب والى الشعب » .

ويدخل في اطار معركة البناء ايضا :

الضرائب والرسوم

لقد فرضت الضرائب في اتجاه تصاعدي على الكماليات وتخفيض من اسعار المواد الاستهلاكية ويسير التخفيض في اتجاه تنازلي الى اليوم الذى تصبح المواد الضرورية في متناول جميع المواطنين ، والاتجاه الحالي بعد تحسن الوضع المالي هو التخفيف التدريجي والمستمر على المواطن الفقير ، وذلك بالتخفيف من بعض الضرائب او الغائها .

والاتجاه الثاني هو استخلاص الضرائب من القطاعات القادرة على دفعها وفي هذا المجال لا بد ان يتحمل القطاع المنتج العبء الاكبر في تزويد خزانة الدولة فالتاميم لم يكن غاية في حد ذاته ، بل هو يهدف الى ضمان التنمية الوطنية لصالح الشعب(٤) .

التسيير الذاتي :

ومعركة البناء تهدف فيما تهدف اليه : قضية التسيير الذاتي وما يعتوره من مشكلات تواجه الحكومة الجزائرية ، واهمها مشكلة

---

(٤) المصدر السابق تصريحات الرئيس بولدين .

التسويق الى الخارج ، وقبل البدء فيها يجب رفع مستوى الانتاج ، وضبط هذا الانتاج وما هو فائض عن الحاجة وما هو ينقص عن الحاجة ، وأسباب تعثر التسيير الذاتي ، وضرورة ضبط الحلول له ثم الالتفاف الى موضوع التسويق ، ومناقشة القضايا الاساسية مناقشة علنية وصريحة ثم تضبط الحلول الناجحة لها حتى لا تبدد المجهودات التي بذلت لحل المشاكل الاخرى المتعلقة بالتسيير ، وهي خطة تعلق بالتنمية الاقتصادية وعليها ترتكز معركة البناء والاعمار .

التعريب :

وكانت تصريحات الرئيس عن التعريب واضحة وجدية لذلك فاني اقتبس ما قاله عن هذا الموضوع الذى يجابه الجزائرين حكومة وشعبا ، وكل زائر يحس هذه المشكلة المهمة ، قال :

« قضية التعريب قضية معقدة ، وتمثل مشكلا من اهم المشاكل التى تواجهها الثورة في تطورها المستمر ، ان التعريب في نظرنا ليس وطنيا فقط ، ولكنه ايضا هدف وطني وثوري ، رغرق بين المطلب والهدف ، فالمطلب قد لا يتحقق ، أما الهدف فلا بد من تحقيقه لانه يمثل جزءا من الثورة ، مثله مثل الثورة الزراعية وغيرها من الاهداف المقدسة التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من الثورة ،

لكن التعريب عملية صعبة لاسباب معروفة ،

فهناك السبب التاريخي : الاستعمار كاد يقضي على العربية في الجزائر ، ومحاولاته التي بذلها طيلة مئة وثلاثين سنة ، لا يمكن ان تزول آثارها بسهولة ، وانها لمعجزة ان تظل العربية موجودة في الجزائر مع عملية الابادة المنظمة تلك .

وفعلا فهي لم تبق موجودة الا عند حفاظ القرآن الكريم ، وعند نخبة قليلة جدا حالت دون القضاء الكامل على العربية .

وهناك ثانيا سبب موضوعي ، فالتعريب لا بد له من معربين، وتكوين المعربين يحتاج الى مجهود ، والى وقت .

وهناك ثالثا سبب يتصل بطبيعة المعركة التي تدور حول التعريب » .

فالتعريب بوصفه جزءا من الثورة ، يتعرض الى حرب حقيقية من طرف اعداء الثورة وقد زاد هذه النقطة تعقيدا ، ان الذين يحاربون التعريب اصناف ثلاثة الصنف الاول هم الاجانب ، الذين

ينظرون بقلق الى انتشار اللغة العربية في بلادنا ، لان محاولات فرنسا وتنصير الجزائر تركت آثارا عميقة عند الاجانب .. وعند قسم من الجزائرين ، وهذا هو الصنف الثاني من اعداء التعريب الذي يتمثل في مجموعات من الافراد ، لم يستطيعوا ان يتخلصوا من تأثير الفكر الاستعماري والدين ، وهناك صنف ثالث يحارب التعريب لا عن وعي ، ولكن لانه يتصور خطأ ، ان تحقيق التعريب معناه القضاء على رزقه وخبزه ، وهذا الصنف يمكن كسبه بالاقناع والتوضيح والكشف عن طبيعة العملية ، وانها مرتبطة باسترجاع واستكمال شخصيتنا الوطنية ، يجب ان يعرف كل جزائري صادق في جزائريته ان الاعتزاز بلغة الاجنبي ، نقص في الوطنية ، والذين يحاربون التعريب عن وعي نضعهم في صف واحد مع الذين يحاربون الاشتراكية ، او يعارضون الثورة الزراعية مثلا .. على ان هناك نقطة ضعف توجد في صف انصار التعريب وهي تتمثل في المطالبة بتحقيق التعريب بسرعة دون الاسهام الجدي في تحقيق ذلك ..

اننا نلاحظ من هذه الناحية لفظية طاغية دون ان يصحبها عمل جاد ، فاين هي دروس التطوع ، يجب ان تكون هناك مجهودات لا لا تقتصر على العمل في الميدان الرسمي فقط ، ولكن يجب ان تتعداها الى العمل في الميدان الشعبي أيضا » ، انهم يستطيعون استعمال المساجد كمدارس لمحو الامية وتعليم الكبار ، فلن يكلفهم ذلك سوى العزم والتطوع المخلص . اما الدولة فقد قامت بخطوات هامة في التعليم ، فعملت على تعريب السنة الاولى والثانية ، وها هي مواد اللغة العربية تنتشر تدريجيا ، وتصبح اجبارية ، حتى في التعليم العالى ، وها هي دور المعلمين تخصص لتكوين المعربين ، وقد اصبحت العربية لغة التدريس والعمل في جزء هام من الجيش الوطنى الشعبي ، كما دخلت العدالة ، (المحاكم) وأصبحت هي المعتمدة في الصحراء ، ان كل ذلك يشكل مجموعة من الاجراءات ، تتوالى في حركة مستمرة ، قد يقال انها حركة بطيئة ، ولكنها على كل حال حركة دائبة السير الى امام ، ولا يمكن ان تنتكس الى خلف ، .. ونحن نسعى في الوقت الى فرض العبية في أجهزة الدولة ، واتخذنا الاجراءات اللازمة لذلك ، وسنتخذ عما قريب قرارا جديدا يقضي بأن تصدر النصوص

تصدر النصوص الاساسية للدولة بالعربية أولا ، ثم الفرنسية ، ابتداء من السنة القادمة ١٩٦٩ ٠

وذلك يستلزم احداث مصالح للترجمة في كل الوزارات ، كما يستلزم فرض اللغة العربية في المدرسة الوطنية للادارة ، وقد صدرت التعليمات بهذا الشأن ، وقد اتخذنا زيادة على ذلك القرارات لتشجيع الكتاب العربي ، وصدرت التعليمات باعفاء الرسوم الجمركية التى كانت مفروضة على الكتاب ، حتى يباع بنفس السعر الذى يباع به في الشرق ٠

وفي اجتماع القضاة الاخير رفعنا شعار «العدالة بلغة الشعب» على اننا لم نكتف بذلك ، بل نحن بصدد دراسة الموضوع لاتخاذ التدابير اللازمة لكن ما يجب ان يذكره المواطن ، والمواطن المثقف على الاخص ، هو ان يتحمل هو ايضا مسؤوليات محددة في هذا المجال ، ولن يعفيه من ذلك محاولة ارجاع المسوءولية على الدولة ٠

الاعتماد على النفس

والاعتماد على النفس من أهم الاسس التي وضعتها الثورة نصب عينيها ، في معركة البناء والانشاء ، وهذا لا يعني الاستغناء عن التعاون الخارجي والاستعانة بذوى المهارات ، ولا يعنى التقوقع على النفس ، ولكن معناه ـ عدم الاعتماد الكلي على الخارج في بناء الاقتصاد ، « ذلك لان بناء الاقتصاد الوطني مربط ببناء المجتمع الجديد ، ومن ثم فلا بد من ابراز حرية البلاد واستقلالها في هذا المجال ، اى ان سياسة الاعتماد على النفس تتطلب امتلاك البلاد لاستقلالها الاقتصادى ، لان الاقتصاد يعتبر من المجالات لاساسية التي يظهر فيها الاستقلال الوطني وشخصيته ، وهذا لا يعني أبداً اننا نرفض التعاون مع الخارج ، او الاستغناء عنه[٥] »

وقال ـ « ان المشكلة التى وجدنا امامها انفسنا بعد الاستقلال كانت تتلخص بما يأتي :

اما ان نعتمد على مواردنا الخاصة في بناء المجتمع الجديد ، واما ان نعتمد على رأس المال الاجنبي ، ولم نتردد في اختيار سياسة الاعتماد على النفس ، لان الرأس المال الاجنبي ، يستغل بحكم

(٥) المصدر السابق من تصريحات الرئيس بومدين ٠

طبيعته ، ولا يمكن ان يخدم المصلحة الوطنية العليا فقد لمسنا بوضوح ان رأس المال الاجنبي لا يوافق على تصنيع البلاد حتى لا يخسر سوقا مهمة ، وهذا لا يعني ان انتهاج سياسة الاعتماد على النفس امر سهل بل انها سياسة صعبة لانها تتطلب مواجهة الضغوط الخارجية المختلفة ، ولكن رأس المال الاجنبي لن يتزحزح من الميدان بسهولة ، لكنا كنا مضطرين لخوض المعركة كما اضطررنا لخوض معركة الاستقلال السياسي بالامس ، لاننا ادركنا ان الاعتماد على رأس المال الاجنبي معناه تحكيمه الى حد ما في توجيه سياستنا وذلك يتنافى مع السيادة الوطنية ، التي دفعنا من أجلها الكثير ، ولذلك سارعنا الى تاميم البنوك والموسسات الاقتصادية الهامة .

وقال :

« اما التعاون مع الخارج فنحن لا نعارض فيه ، اذا كان قائما في حدود واضحة على اساس المصلحة المشتركة . اما سياسة الصداقة او الصداقة المجردة فلا وجود لها في الميدان الاقتصادى .

وفيما يعتمد على الخبرة الفنية فالمسالة بسيطة لانها عبارة عن شراء ما نحن في حاجة اليه .. فهناك الان سوق عالمية للخبرة الفنية ، فنحن نشترى من هذه السوق ما نحن بحاجة اليه ، وندفع ما يلزم لذلك من ثمن ، في انتظار تكوين خبرة فنية ، والحرص على تكوين الخبرة الفنية الوطنية ، في آجال معقولة ، هو بالضبط الذى دفعنا الى التربية الوطنية في المرتبة الاولى من اهتمام الحكم ، لاننا مدركون لاهمية التحرر الفني .. على اننا في انتظار تحقيق الحد اللازم من الخبرة الوطنية ، حرصا على تنويع مصادر التعاون الفني ، لكي نستفيد من جميع الخبرات من ناحية ، ولكي لا نقع تحت رحمة جهة واحدة من جهة اخرى .

وتجدر الاشارة في هذا المجال الى وجودمصالح مشتركة ، بين بعض الدول الصديقة مما يشكل مصدرا اخر هاما من مصادر التعاون الفني على اشتراك المصالح ... »

الخدمة الوطنية او التجنيد الاجبارى

في منهاج الحكومة وضمن برنامج معركة البناء والانشاء اعلان قانون الخدمة الوطنية كما يسميها اخواننا الجزائريون ـ وهي

تسمية صالحة ـ افضل من تسميتها بالتجنيد الاجباري ولهذاالغرض تكونت لجنة وطنية ، واصدرت مشروعا ستقدمه الحكومة الى الحزب والمنظمات الوطنية ، ليناقش ، ثم يعاد الى القيادة لتدرسه من جديد مع ما يضاف اليه من ملاحظات وبعد ان تتم جميع المراحل اللازمة لهذه الدراسة ، يصاغ في شكل مواد ونصوص ، وستكون هذه النصوص مصاغة على اسس العدالة ، لان هذه الخدمة ضريبة عرق ومجهود ، يتعين على كل جزائرى ان يدفعها من اجل بناءجزائر الجميع ، لقد بذل ابناء الجزائر ضريبة الدم طواعية وبسخاءوتضحية طوال قرن وثلث القرن من اجل تحرير الوطن من ربقة الاستعمار ، حرى بالمواطن اليوم ان يدفع هذه الضريبة من اجل الحفاظ على الوطن ومن اجل بنائه ، وكرامته وصيانة استقلاله ..

وقد ضبطت الخطة العامة للخدمة الوطنية على اساس تدعيم الوحدة الوطنية ، وضمان احتكاك المثقف بالفلاح والعامل وجميع الفئات المحرومة ، وعلى اساس انشاء مشاريع وطنية عامة ، اعتمادا على المجهود البشرى التى نواجهها الان .. ، مثلا توجد بالجزائر مناطق محرومة من الاطارات الفنية والخدمة الصحية الخ .. فتطبيق الخدمة الوطنية الاجبارية سيؤدى الى تزويدها بالحد الذى تحتاجه ، وبذلك نحقق جانبا من سياسة التوازن الجهوي(٦) .

مشكلات السكن

مشكلات السكن في الجزائر من اهم ما يواجه الجزائر بعد الاستقلال ، وهي وان حصلت على عقارات كثيرة وعمارات سكنية في مختلف العمالات ولا سيما في الجزائر ورثتها عن الاوربيين الذين هجروا القطر الجزائرى بعد الاستقلال وقد وضعت الحكومةالوطنية يدها على هذه العقارات واسست لها وزارة خاصة تشرف عليها ،ولم تكتف حكومة الثورة بهذه العقارات فراحت تبنى المساكن المجمعة على نظام الشقق وقد رأينا العديد منها قامت وانجزت خلال هذه السنين القصيرة ، والاجور السكنية زهيدة وتتوفر فيها وسائل السكن الصحي ، «وسياسة الحكومة في البيوت السكنية لا بد ان

---

(٦) الجهوي : نسبة الى الجبهة ـ او المناطق او سائر العمالات .

تمر بمرحلتين تتناول كلاهما املاك الدولة ٠ الاولى تتمثل في حصر املاك الدولة حصرا دقيقا من حيث الحكم ، ومن حيث القيمة الحقيقية في ان واحد ٠٠

« والمرحلة الثانية : ـ استخلاص الاجور لتمكن من صيانتها ، واذا كانت هذه المرحلة لم تتم فالملاحظ ان مداخيل املاك الدولة تتحسن باستمرار ، في حين لم تكن شيئا مذكورا قبل ١٩ جوان ٠

وتأتي المرحلة الثالثة ، وهي وضع سياسة سكنية بعيدة المدى وقد فكرنا بصدد هذه المرحلة ، وندرس الان تحقيقها على اساس مبدأ واضح وبسيط هو كل جزائري له الحق في سكن ، كما اننا نريد تطبيق هذه السياسة على اساس القضاء على الاكواخ والاحياء القصديرية » ٠

ورأينا كما قلت المجمعات السكنية المنشأة حديثا وبعضها بدور الانشاء ليس في المدن او العاصمة فقط وانما تقوم الحكومة ببناء القرى للعمال والفلاحين ، وهناك مساعدات مالية لمن يريد ان يقيم مسكنا لنفسه ومعركة البناء في الجزائر طويلة وشاقة وتحتاج الى وقت ومال وصبر كي تتغلب حكومة الثورة على الانجازات التى تتطلبها البلاد من ذلك ٠

اعادة المغتربين

تبذل الجزائر قصارى جهدها لاقناع المغتربين الجزائريين الذين يشكلون عددا ضخما يقارب نصف المليون في اوربا وحدها ، وفيهم عدد وافر من ذوي العقليات الفنية والمهارات الصناعية ، وقد وجهت حكومة الثورة نداءا حارا ملحا لهم تدعوهم الى العودة وان بلادهم بأمس الحاجة الى سواعدهم والى مهاراتهم ، وهناك اتصالات مباشرة بهم في جبهات مختلفة من العالم لاقناعهم ، بضرورة العودة ولا تحول تكاليف النقل ومصروفات العودة لهم ولذويهم دون عودتهم ، وابلغتهم الحكومة انها مستعدة لدفعها على كل حال ، والقضية تتعلق بايمانهم بمستقبل هذا البلد الناهض ، وخاطبتهم لاسيما الفنيين منهم ان مكانهم ليس في الخارج وانما في الجزائر ارضهم وارض ابائهم ٠

كما ان حكومة الثورة عن طريق الامتيازات الخاصة تعمل لمنع هجرة اصحاب المهارات ٠

بناء دولة قوية

ان العمائر والخطوات والبناء والانجازات التى قامت بها الحكومة وتنوير القيام بها كل ذلك مشاهدة على خلق دولة قوية ترتكز على الصناعة والزراعة والثقافة ، ودعمت التسيير الذاتي لتضمن بذلك مشاركة الشعب في تسيير شوءونه بالقطاع الزراعي.

وهي متهجة الان الى اشراك العمال في تسيير الموءسسات الاقتصادية ، حتى لا يبقى العامل مجرد اجير ، وحتى يصبح شريكا في التسيير ، وقد خطت خطوات هامة في جعل الموءسسات الادارية بين ايدى الشعب ، قامت بالانتخابات البلدية في ٥ شباط ١٩٦٧ ـ فضمنت هذه التجربة مشاركة الجماهير في توجيه وتسيير شوءونها المحلية وقد اعطت الحكومة للمجالس البلدية سلطات واسعة ، في المجال الاقتصادى والثقافي تضمن هذه المشاركة وتحمسها ، وبالنية ان تقيم هذه السنة ١٩٦٨ مجالس عمالية منتخبة تزود بسلطات اوسع لتتمكن الجماهير من تسيير شوءونها في مستوى اعلى من المستوى البلدى ، وقد لا تطول المدة ليتولى الشعب اختيار ممثليه في الموءسسات الوطنية العليا ، وعملت حكومة الثورة على تنظيم الشعب في منظمات وطنية مثل اتحاد العمال ، وتنظيم الشبيبة تحت اشراف الحزب تلك بعض الخطوات التى اتخذتها حكومة الثورة لتوفق بين الدمقراطية الشعبية وبين الثورة كحركة وطنية(٧) .

---

(٧) اقرأ تصريحات رئيس الحكومة بمناسبة ١ تشرين الثاني ذكرى الثورة في عامها الخامس عشر فيمجلة المجاهدالعدد ٤٣١ ـ ٢٤ تشرين الثاني ٩٦٨

انطباعاتي عن الجزائر

توطئة :

دعيت الى الجزائر مع الاستاذ العلامة الكبير محمد بهجة الاثري ، من قبل سيادة السفير الجزائري المجاهد الشيخ توفيق المدني ، لحضور الاحتفال الذي سيقام في الجزائر احتفاءاً باعادة تجديد جامع سيدي أبي عبدالملك مروان البوني وبمناسبة مرور ألف عام على تشييده في مدينة عنابة (ابونة) قديما ، والجهة الداعية وزارة الاوقاف ، فلبيت الدعوة شاكرا مبتهجا ، لما للجزائر في نفسي من اعجاب ببطولات اهلها ، ولما لثورتها الجبارة في نفوسنا نحن العراقيين من اعزاز ومكانة .

وصلنا القاهرة يوم ١٦ـ١١ـ١٩٦٨ ولم نمكث فيها سوى اربع وعشرين ساعة .

وفي الساعة الثانية عشرة من يوم الخميس ركبنا الطيارة الجزائرية وكنا ٩٧ مسافرا .. ومررنا بطرابلس وتونس وفي كل مطار منهما كنا نمكث زهاء الساعة ، ووصلنا الجزائر يوم الخميس الساعة السادسة بتوقيت الجزائر اى الثامنة بتوقيت القاهرة أو التاسعة بتوقيت بغداد وكان في استقبالنا جماعة من موظفي الاوقاف ، رحبوا بنا وعنوا براحتنا ، وتولوا انهاء معاملة الجوازات واستلام حقائبنا ، وبعد ان انهوا ذلك غادرنا المطار بسيارات كانت معدة لكل وفد مع موظف ، وكان من حظنا ان رفيقنا هو الاخ أحمد الدرر ، شاب تعلم في تونس ـ الزيتونة ـ واكمل تحصيله العالى في حقوق الشام ، خفيف الظل دمث الاخلاق غضيض الصوت رقيق المشاعر ،

خفيف الظل دمث الاخلاق غضيض الصوت رقيق المشاعر ، وما كان أجمل الطريق ليلا بين المطار والمدينة ، تظهر الجزائر بأنوارها المتلالئة ، ومرتفعاتها واستدارتها حول البحر ، منظر يخلب اللب ونزلنا فندقا ضخما اعد للمدعوين ويعد من افخم فنادق العاصمة فندق التسي ، وبعد العشاء اوينا الى غرفنا لان سفرا ينتظرنا مبكرين الى عنابة مكان الاحتفال وقد سبقنا اليها قسم كبير من الوفود مع الوزير العربي سعدوني وزير الاوقاف ، وحصلت لنا نكتة سببها اننا حسبنا الفرق بين بغداد والجزائر ساعتين قياسا على وسط اوربا فاذا هي ثلاث ساعات ونزلنا الى بهو الفندق ، فاذا به خال من كل انيس وبقينا نتساءل فاذا الساعة عندهم الرابعة وحسبناها السادسة ، فكانت غلطة كلفتنا انتظار ثلاث ساعات قضيناها بملل الى ان حان مجيء الاخوان المرافقين بسياراتهم لتقلنا الى المطار ٠

الاحتفالات باحتضان
رفات الشهداء المغتربين

في يوم الخميس ١٧ تشرين الثاني وهو يوموصولنا الجزائر احتفل الشعب الجزائرى المناضل باليوم الوطني للهجرة ، واستقبلت الارض الجزائرية الطيبة رفات ابنائها البررة الذين قادوا النضال ، من اجل استقلال الجزائر ومن اجل انتصار ثورتها على الاستعمار ، وهم عنها في ديار الغربة ، وضحوا في سبيلها باموالهم وعرقهم وبدمائهم وارواحهم ، ولا امل لهم الا ان يروا وطنهم وقد تحرر من الظلم والطغيان المسلطين عليهم وعلى مواطنيهم ومن الاستغلال والفقر اللذين بسببهما خرج المهاجرون من بلادهم باحثين عن الرزق ، أحيت الجزائر هذه الاحتفالات في جو من الهيبة والخشوع وقد تميزت هذه الاحتفالات بالحفل الرسمي الكبير الذى رأسه الرئيس بو مدين رئيس مجلس الثورة والحكومة ٠٠ في مقبرة العالية التي احتضنت رفات الشهداء الابرار الذين سقطوا في ميدان الشرف من أجل ان تحيا الجزائر حرة كريمة ، وحضر هذا الاحتفال اعضاء مجلس الثورة وممثلون عن المنظمات الوطنية ووفود اسلامية وعدة شخصيات علمية وادبية وعائلات الشهداء وجمهور غفير من المواطنين ، وبعد وضع

اكاليل الزهور على توابيت رفات الشهداء العائدين الى تربة الوطن عزف النشيد الوطني من فرقة تابعة للجيش الوطني الشعبي وتلاوة الفاتحة من المحتفلين ثم القى الرئيس كلمة مؤثرة اشاد ببطولة الشهداء الذين سقطوا في ارض اجنبية ، من اجل الدفاع عن حرية الوطن قال فيها :

أيها الاخوة ..

اذا كان احتفالنا بيوم المغتربين ، يندرج في اطار تمجيدنا لثورتنا وابطالها على مختلف المستويات فان في رجوع هذه الرفات الطاهرة ، كل التجسيم لتقدير الامة كلها للدور الديناميكي الفعال الذي قام به مغتربونا لخدمة بلادهم وذلك طيلة عشرات السنين.. في الخارج عامة وفي الربوع الاوربية بصفة خاص بل اخص .. وانه لشرف عظيم لنا .. ان تنحني اليوم باسم مجلس الثورة والحكومة وباسم الامة كلها امام هذه التوابيت التي تحمل رفاة زكية تعلوها ، ارواح طاهرة .. ارواح مناضلين اوفياء .. ضحوا بانفسهم .. بعيدا عن البلاد والاهل والاصدقاء .. فداء لهذا الوطن المقدس .. وتجسيدا لتضامنهم مع من سبقوهم منشهدائنا الابرار .. خلال تاريخنا الطويل .. لتحيا الجزائر حرة مستقلة ذات سيادة تامة ، وتسترجع بذلك عزتها وكرامتها ، وتستعيد مكانتها في المجال الدولى بين الامم .. ثم خاطب الشهداء ..

ايها الشهداء الابرار .. لقد عبرتم البحار بغية العمل ، من أجل هدف اضيق من الذي استشهدتم من اجله ، ذهبتم لتدرسوا أو في أغلب الاحيان سعيا وراء ضرورات الحياة ، لتقوموا بالتزاماتكم العائلية ، وتبحثوا عما تسدون به رمق ذويكم من العجز والنساء والاطفال ولهذا الهدف ايضا غادر الوطن من سبقوكم ، الى مواطن غربتكم ، منذ اكثر من نصف قرن بنفس الباعث ، ومدفوعين بعين الضرورة الملحة والحاجة القصوى ..

ولكن ضرورة اخرى اعلى واشمل وهي الضرورة الوطنية ، جعلت منكم ومنهم قبلكم مناضلي القضية الوطنية وجنود الكفاح السياسي الثورى ، واخيرا شهداء الكفاح التحريرى الجبار ، الذى اودى بالعهد الاستعمارى البغيض ، الذى كان السبب في اغترابكم اذ خلق الاوضاع الشاذة التي جعلتكم تبعدون عن الوطن ، ليحل محلكم اجانب أفاقون من كل حدب وصوب ، يستغلون

ثروات بلادكم ويستنزفون دماء اخوانكم ، ويبنون سعادتهم على عرق وشقاء مواطنيكم في عقر دارهم ، وفي ارض اجدادهم واسلافهم .

لقد عانيتم في غربتكم من اجل تضامنكم مع الوطن .. كل صنوف التعذيب والاهانة وذقتم جميع انواع الحرمان والاذلال ، وتحملتم اوجها مختلفة من سوء المعاملة ، كثيرا ما تشبه مظاهر التمييز العنصري السافر .

ولكنكم صمدتم وصبرتم وكانت احدى فضائلكم الجلد ، والتغلب على النفس ، ومضيتم في امدادكم النضال الثورى ، ثم الثورة المسلحة بالمال والرجال ، وكان لدوركم الديناميكي الاساسى في امدادها بالمال والاطارات اثره المباشر الفعال .. في الاحتفاظ بالجذور الوطنية وهي التعريف بالجزائر ، وآلام الجزائر وآمال شعبها في الخارج وفي التهيئة لقيام الحرب التحريرية الكبرى حرب فاتح نوفمبر الخالدة — ١ تشرين الثاني — .

ولم يقف دوركم عند ذلك بل استمر اقوى واشد مما كان عليه في اى يوم مضى والا فمن الذى لا يتذكر ما قدمتموه لكفاحنا التحريرى المسلح من اعدادات مالية جبارة ومن رجال مخلصين اكفاء قدموا لكفاحنا المقدس جليل الخدمات في مختلف مراحله حتى النصر الكبير الخ .. »

ان المغتربين من الجزائريين قدموا للثورة الاموال والسلاح والرجال كي تصبح ارضهم بيد اهلها فلا يبقى استغلال ولا تجويع يضطرهم الى الهجرة ولا يبقى مستعمرون يمتلكون المصانع الفنية والمزارع الواسعة الخيرة يعمل المواطنون اجراء بأجور لا تسد جوعة جائع وخيرات الارض تذهب الى جيوب الغرباء ليعيشوا عيشة البطر والترف ، والقسم الاخر يضطر الى الهجرة ليجد لقمة العيش وليوفر لمن خلفه سد عريه ورمقه .

ها هي الجزائر حرة مستقلة على راسها حكومة آمنت بالاشتراكية لتوفر للعامل والفلاح العيش في وطنه ولا يضطر الى الهجرة ، وما هذه الاجتماعات التي تعقدها الحكومة الساهرة لدراسة انجع الوسائل للتسيير الذاتي الا لتكون بمستوى تضحيات شهدائهم وآمالهم ولا شك ان الخطة الاقتصادية والتنمية التي تنتهجها في الصناعة والتعدين والزراعة والتصدير والاكتفاء

الذاتي قدر المستطاع وتاميم للشركات والمعامل والمصالح الاجنبية لا شك ان هذه السياسة الثورية المنتجة ستساهم مساهمة فعالة في تشغيل اليد العاملة الوطنية وستوفر الرزق للمواطنين فلا تترك لهم مجالا للحاجة التي من اجلها يضطرون الى الهجرة بل نتوسم ان تسعى حكومة الثورة لارجاع المهاجرين الذين تحتاجهم البلاد ولا سيما أصحاب الامخاخ وارباب المهارات .

في عنابة :

في يوم الجمعة وهي اليوم الثاني من وصولنا الجزائر سافرنا بالطائرة الى عنابة موضع الاحتفال ، وهي عمالة – تقع في القسم الشرقي من الجزائر ، و لاتبعد عن الحدود التونسية الا قرابة خمسين كيلو مترا ، وتبعد عن العاصمة ١٢٠٠ كيلو متر قطعتها الطائرة باقل من ساعة ، وحين وصلنا المطار – وكان معنا الدكتور محمد البهي ، ووفد الهند وسوريا ، والمغرب ومالى والفليبين واندونوسيا وغيرهم ، – استقبلنا جمهور من اخواننا الجزائريين وممثل عامل عنابة وممثل الحزب ، والمعنيون بالاحتفال من موظفي وزارة الاوقاف وانتظم ركبنا تتقدمنا ثلة من راكبي الدراجات حتى وصلنا المدينة .

والاحتفال في هدفه الاساسى ، وجه من وجوه الطابع الاسلامي الذى يتميز به الجزائريون ، وهو الطابع الاصيل لهذا الشعب المناضل والذى لم تستطع فرنسا ان تؤثر عليه بكل مغرياتها ومفاسدها ووسائلها القمعية التي استخدمتها مع الجماهير العربية المسلمة ، وكان موكبنا يشق طريقه في شوارع المدينة الجميلة الزاهرة الخضراء ، بين الاشجار الباسقة ويحيطها البحر بقوس بيضوي أو هلالي ، بحكم ما يحيطها من جبال الاطلس الفرعية ، وكان الاهلون يحتشدون على افاريز الطرق تحت ظلال الاشجار اللفاء ، فوصلنا دار العمالة المبنى الفخم ، واستقبلنا الوزيران – وزير الاوقاف ووزير الصحة والعامل – وجماعة من الشخصيات المشتركة بهذه الاحتفالات ممن سبقونا في اليوم الاول ، وبعد استراحة قصيرة عدنا الى الفندق المعد لنزولنا لنتهيأ لصلاة الجمعة بالمسجد المحتفى به .

وكان قبل وصولنا بيوم قد ازيح الستار عن اللوحة التذكارية في احتفال مهيب باشراف الوزير ، وحضر المهرجان

جمهور كبير من ابناء الجزائر ومن الوفود التي حضرت عنابة ومن البلديات والمدن المجاورة من ابناء العمالة ، واصطفت الكشافة وحملة المشاعل وطلاب المعهد الاسلامي والقيت الخطب من المفتش العام للاوقاف ومن العلامة النعيمي والشيخ عبدالحميد السائح وزير الاوقاف بالمملكة الهاشمية الاردنية ، واختتم الاحتفال ليوم الافتتاح بخطبة الوزير العربي السعدوني وهذا نصها :

نص كلمة السيد العربي سعدوني
وزير الاوقاف باحتفالات
العيد الالفي لبناء مسجد أبي
عبدالملك مروان البوني

« الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ·

اصحاب الفضيلة ، ضيوف الجزائر الكرم ،

ايها المؤمنون :

يجب ان نعترف بان هذا اللقاء قد تاخر عن موعده بضع سنوات ، ففي الوقت الذى تكاملت فيه عشرة قرون على انشاء هذا المكان الطاهر ·· في هذا الوقت ·· كان ظلام الطغيان يخيم على الجزائر ·· لا يمزق سدوله الا أضواء تلمع في القلوب المؤمنة توحي بالفجر القريب وكان كابوس الاستعمار يرزح فوق الصدور يكاد يخنق الانفاس ، ولكن دون ان يستطيع منع صلوات خافتة ، كانت تتردد في صدور المومنين ، ما لبثت ان ارعدت ورددت اصداءها السهول والجبال ·

وقد بذل شعبنا الصامد ، اكبر ثمن دفعه شعب على الاطلاق من اجل استرجاع ارضه ·· ورفع رايته الوطنية ·· فتشبعت الارض بالدماء الزكية الطاهرة ، وحلقت ارواح الشهداء في جنان الخلد مع ارواح شهداء بدر والخندق ·· وتم النصر لهذا الشعب هكذا نلتقي اليوم في هذا الجامع الذى فرض نفسه مكانا للقاء لكي يوحي لنا بالمعنى العميق الذى يجب ان نحس به ، والفكرة التي يجب ان تسيطر على كل اعمالنا كان هذا الجامع في وقت واحد ·· حصنا يدافع عن الوطن ·· ومسجدا يذكر فيه اسم الله وحلقة دراسية يتعلم ابناء المسلمين فيها حقائق دينهم ودنياهم ·

ايها المؤمنون : وفي مثل هذا اليوم الذى نحتفل به ·· اسرى

الله عز وجل بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وفي هذا اليوم اجتمع الانبياء في اولى القبلتين وثالث الحرمين .. وفيه تمت واحدة من معجزات رسول الله عليه الصلاة والسلام ..

وفي نفس المكان الطاهر الذي بورك فيه تجتمع اليوم عصابة من شذاذ الافاق .. فرضوا انفسهم بضعفنا لا بقوتهم ، وجعلوا من مدينة السلام مركزا للظلم والطغيان .. وعاصمة لدولة توسعية غادرة . ومن القطر العربي المسلم ، قاعدة امامية للاستعمار .. وبؤرة جرثومية تنفث سمومها في العالم الثالث كله ..

ايها المؤمنون :

يتحتم علينا ان نعيد الى المسجد دوره الحقيقي الذي يجب ان يقوم به ، والذى تعبر عن كلمة الجامع ، ونحن على ثقة مما نقول .. حين نؤكد انه لا تعارض مطلقا بين التفكير العلمي .. والالتزام الديني ، فالعلم والدين وجهان لعملة واحدة ، هي المجتمع ، ومجتمع بلا دين ، هو آلة صماء ... لا تلبث ان يدركها العطب والفناء ... كما ان مجتمعا بلا علم هو شجرة بلا ثمر ولا اغصان ...

غير ان هذا الشعار ، لا يجب ان يكون مجرد عنوان لكتاب ضاعت صفحاته ، او لحنا نعزفه لنشعر بالرضا على النفس .. بقدر ما يجب ان يكون .. ايمانا وقر في القلب .. وصدقه العمل ..

لقد قررت الشعوب ان تتغلب على حالة الهزال الاجتماعي ، الناتج عن التخلف الاقتصادى ، الذى فرضه الاستعمار والاحتكارات الرأسمالية .. وما من طريق يفتح باب المستقبل المشرق .. الا طريق العلم .. وطريق العلم وحده ولقد شهدت الفترة الماضية .. حالة تقوقع شامل .. انعزل به المسجد عن الحياة العامة .. وانصرفت عنه جموع الشباب .. طاقة الشعوب المحركة .. مسوقة برغبة الفرار من التعقيدات الفقهية ومن الجمود الفكرى .. ومن الحلقة المفرغة التي تكتفي بالدوران حول الترهيب من النار ... والترغيب في الجنة .. مشغولة او متشاغلة بحل المعادلة الصعبة .. التي يمثلها التحدى الاقتصادى المفروض تاريخيا على الدول النامية ،.. وهكذا وقع شبابنا بين

نقيضين ٠٠ بين تزمت ديني يتناسى طموحه ومطالبه ٠٠ ويحاول ان يفرض عليه رهبانية زائفة ٠٠ تحلق في الغيبيات ٠٠٠ وبين مطالب حيوية ترهقه ٠٠ وتمتص طاقته ٠٠ ومظاهر تحررية ٠٠ تخدعه ببريقها ٠٠ كما يخدع اللهب فراشات المساء ٠٠٠

ورغم المحاولات المتعددة التي بذلها ٠٠ علماء اجلاء وغيورون على هذا الدين ٠ الا ان طابع الفردية الذى تميزت بهذه المحاولات شتتت جهود القائمين بها ٠٠ وكانت الفرصة سانحة لاعداء هذا الدين ، لكي يرسموا صورة مشوهة لرجاله ٠٠ تظهرهم في شكل الذين يعيشون عالة على المجتمع ٠٠ مرتزقين تخلفه الفكرى متكسبين من فرقته ٠٠ نافخين في نار الفتنة الطائفية حينا ومطفئين لهب الثورة الاجتماعية حينا اخر ،٠٠ وهكذا فقد المسجد دوره في مجتمع هو احوج ما يكون الى الرابطة الروحية ٠٠ والتوجيه الصحيح ، والتعبئة الشعبية ٠٠ وهكذا طوى تاريخ عاطر ٠٠٠ كان المسجد فيه ٠٠ مركز اشعاع روحي ٠٠ وهمزة وصل اجتماعية وحلقة دراسية علمية ٠٠ ومجلسا للشورى ، ومهدا للثورة الاجتماعية اصحاب الفضيلة ، ايها المؤمنون ٠٠

لا بد اذن ٠٠٠ من ايجاد الصيغة التي تكفل للمسلم تكاملا طبيعيا بين الدين والعلم ٠٠٠ ولعل هذا من بين ما دفعني الى التركيز على ضرورة المذاهب الاسلامية ٠٠٠ على اساس انه سيحدد موقف الدين من عشرات المشاكل التي تشغل بال شعوبنا ٠٠ وسيتكفل بالاجابة على التساؤلات الحائرة في نفوس المسلمين ٠٠ بالاضافة الى دوره الرئيسى في توحيد صفوفهم وجمع شملهم ٠

واذا كنت اترك لعلمائنا الاجلاء ٠٠ مهمة رسم الخطوط الرئيسية لعمل ضخم كهذا ٠٠٠ فانني اؤمن تماما ٠٠ بانهم في مستوى هذه المهمة ٠٠ وان النية الصادقة لا تنقصهم ٠٠٠ وفي نفس الوقت ٠٠ لست اراني بحاجة الى التاكيد على ضرورة تجنب الاسفاف والابتذال عند الحديث عن تكامل الدين والعلم ٠٠

باستغلال السيء لقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وبالاندفاع نحو محاولة تحميل الدين مالا يطيق ·

فالمحاولة الساذجة التي ترقص لحنها الايقاعي قلوب البسطاء من امثال القول بان القنبلة الذرية مذكورة في القرآن ·· وان الصاروخ مذكور في القرآن ، وان الاقمار الصناعية ورد ذكرها في القرآن ،·· كل هذه المحاولات يجب أن تنبذ ، كما تنبذ خطب الوعظ السطحي التي تعتمد على قرع طبول العاطفة ·· ترغيبا في الجنة وترهيبا من النار ··· ان ديننا اعمق من هذا ، وانه دستور سماوي ينظم المجتمع ويحدد له طريق السير نحو المستقبل الاسعد ، اذ هو يطالبنا بان نعمل لدنيانا كأننا نعيش ابدا وهو دين القوة ·· التي يؤكد بان المؤمن القوي خير واحب عند الله من المؤمن الضعيف ·· وهو دين التسامح الذى يحبب الينا ان نعفو وأن نصفح وهو الدين الذى يوصينا بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ·· وهو الدين الذي يعطي للمرأة حقوقها ويفرض الجهاد على المسلم حاثا اياه على اعداد القوة اللازمة لارهاب عدو الله وعدو المسلمين ·

هنا تبدو واضحة جلية ·· معاني قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهي تؤكد ·· ان الخطوط العريضة لتنظيم المجتمع وعلاقات افراده ولبناء الوطن وصيانة ترابه وهي في نظري المهمة الحقيقية لرجل الدين ·· المومن برسالة سماوية لا تعترف بالرهبنة · وتندد بكل محاولة للتهرب من المسؤوليات الدنيوية بحجة التنسك والزهد والعنف ، وهذا هو دوره الفعلي الذى يجب ان يقوم به ·· ليثبت وجوده وليحقق الغاية من هذا الوجود ·· وبهذا يعود المسجد كما كان محورا لحياة الشعب ·· ومركزا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا لمجموع المسلمين ·

على أمل اللقاء بكم في مؤتمر علماء المسلمين ·· الذي تعتزم وزارة الاوقاف الجزائرية اعداده لدراسة المذاهب الاسلامية ، وطريق توحيدها ، يسعدني باسم الرئيس الهوارى بومدين ، رئيس مجلس الثورة والحكومة وباسم الشعب الجزائري المسلم ان ارحب بضيوفها الكرام ·· متمنيا لهم مقاما سعيدا على هذه الارض الثائرة ·

عمالة عنابة

واسمها القديم بونة واليها ينسب أبو عبدالملك مروان البوني تقع في القسم الشرقي من الجزائر وبينها وبين العاصمة ١٢٠٠كم تقطعها الطائرة بساعة وربع الساعة وتربطها بالمدن الجزائرية سكة حديد تصلها كذلك بالقطر التونسي ، وفيها مطار حديث داخلي تؤمه طائرة يوميا من العاصمة واليها ـ تغدو مبكرة وتروح بالمسافرين مساء ، وفيها اوسع مرسى في القطر الجزائرى وقد اقيم مرسى حديث ثان ايام وسع مصنع الصلب والحديد (الفولاذ) ٠

يكتنفها جبل عال يسمى (ايدوغ) لا تقع العين فيه على ارض جرداء فجميع مرتفعاته وهضابه وشعابه مغروسة بالاشجار منها المثمر ومنها غير المثمر ويكثر العناب فيها ولذلك سميت ب (عنابة) وفي هذا الجبل غابات « بوجو » وسميت بعد الاستقلال باسم الشهيد السريدي ٠

وفي اعلاه مجموعة كبيرة من البنايات اعدت لسكن اولاد الشهداء وتربيتهم ، وبجانبها « فلات » يستأجرها المصطافون ايام الصيف ، ويأتى هذا الجبل افواج من الزوار ايام الشتاء ولا سيما حين ينزل على قممه الثلج ، واستخدم الثوار جبل ايدوغ لعملياتهم الحربية وافادتهم مرتفعاته وكهوفه في شن الهجوم والانسحاب والوقاية من الغارات الجوية ٠

وكانت عنابه مركزا قرطاجنيا ثم اصبحت مرسى رومانيا ومن بعد صارت بونه العربية مدينة العناب ، وكثر عمرانها ونمت زراعتها ، واحتلها الفرنسيون سنة ١٨٣٢ احتلالهم الثاني وللمدينة مركز اقتصادى ممتاز فاليها ترد ما تنتجه مناجم السماد من « تبسة » ومناجم حديد الونزة وسوق الهرس والخمور والحبوب من جهات وادى السيبور ومعمل الصلب ٠ والمدينة تقع في سهل واسع ممرع مزروع تزرع فيه الحبوب بانواعها ولاسيما القمح وفيها مزارع للكروم منسقة تمتد على مسافات كبيرة بتنسيق جميل ويحمل كرمها انواع العنب واجودها وكلها جيد ، نوع يعرف بالمسكي تشم منه رائحة المسك ويباع الكيلو منه بما يساوى المائة والخمسين فلسا اما بقية الانواع فرخيصة وفيها من الفواكه التفاح

والتين بنوعية والكمثرى ورأينا البرتقال قد بشر موسمه ، ورأيت مزارع تجريبية لزراعة القطن بطريقة « التراوات » بين الشجرة والثانية نحو من متر وهو من نوع الروجرز ـ ويسقى بطـريق القنوات ويبخر ويعقم لمكافحة الحشرة وكانت عنابة (مركـز) العمالة تضم نحوا من خمسة واربعين الفا من الاوربيين ومساكنهم في السهل وفي الحارات ذات المتنزهات اما المسلمون فمثل هـذا العدد قبل حرب الاستقلال ولكنها بعد الثورة هجرها اكثر الكولون ولم يبق الا الذين عاونوا في الثورة او لهم اعمال فنية وهم لا يكاد يرى الزائر لهم وجودا الا يوم الاحد رأينا عددا منهم مع نسائهم في المقاهي والمشارب ، او في الشارع الرئيس ، وفي عنابة شـارع رئيس يمتد على البحر حتى الميناء ويخترقها شارع رئيس آخر مشجر في وسطه مقاهي تحت ظلال هذه الاشجار العالية الوارفـة الورق والملتفة الاغصان ، وفيها مقاه جميلة وفنادق نظيفة ومطاعم مـن الدرجة الاولى تدار من قبل حكومة الثورة بعد تاميمها لما خلفـه الاوربيون ،وفي عنابة خمسة مساجد تقام بها الجمعة ويلحـق بجامع ابي عبدالملك البوني معهد ديني يدار من قبل اسـاتذة يرتبطون بالاوقاف ، وفيها نهضة اسلامية عربية ، وأسواقها مكتضة بالحاجيات وسوق « الخضار » والفواكه يمتاز بالنظافة وحسـن التنسيق وجودة العرض ، وعلى كل حاجة سعرها قد علا واجهتها ولاحظنا ان اسعار اللحم والفواكه اقل مما هي في الجزائـر العاصمة .

في ليلة الاحد تشرين الثاني هطلت امطار بغزارة فلمـا اصبحنا لم نجد لها اثرا في الشوارع اذ امتصتها المجارى وخرجنا بعد الافطار الى جبل ايدوغ المشرف على المدينة ودخلنـا غابات البهش الفنية التي تبلغ مساحتها نحو ٥٠ الف هكتار وكـانت بآر « هيبوو » الرومانية العتيقة وزرنا متحفها ، وعرجنا الى ديـر الغيوم تحجب عنا المدينة الجميلة ، وعند عودتنا من الغابات طفنا بآثار (هيبو) الرومانية العتيقة وزرنا متحفها ، وعرجنا الى دير كبير يقوم على هضبة مرتفعة في قسم من ابهائه الواسعة كنيسـة للصلاة ، وبجناحها جثمان الاب (اغسطنايوس) محنطا ، والدير من الاديرة القديمة ، وتوجد بهـا صهاريج رومانية عتيقة اصلحت

وتم ترميمها وهي التي تمد المدينة بالمـاء للشرب ، طولها ٤٨ مترا وعرضها ٣٨ مترا ونصف المتر وتتسع الى أكثر من ١٢٠٠٠ متر مكعب من الماء ٠

وبالقرب منها عين بسام فيها مزارع للكروم تنتج عنبـا يعرف بالمسكي والقرية بقربها كدية المصلور المشرفة على وادي السفلاط ، وبها استشهد الحاج المقراني الباش اغا ـ رئيس الاغوات زعيم الثورة القبائلية عام ١٨٧١ وتعد من اعنف الثورات بعـد حروب الامير عبدالقادر الجزائري واجتمعنا ثانية في موكب حاشد بين صفوف المصطفين تتقدمنا سيارة الوزير وعامل عنابة تسير امامها الشرطة من راكبي الدراجات وحين وصلنا الى قرب مسـجد البوني صعدنا الى ساحة بمرقى عال لانه يقع على ربوة من الارض واكثر مدن الجزائر سهول ونجود ومنبسط وتلال بعضها فـوق بعض ٠ واحتشدت الوفود في المعهد الاسلامي الذى يقع بجزء علوي من الجامع وفي احدى قاعاته القيت كلمات ترحيبية وخطب ينصب اكثرها حول موضوع الاسراء وفلسطين والتحمس عنها كان شديدا وملموسا ، وخطت الشيخ عبدالحميد السائح مجيبا على كلمـات الترحيب وقبل الصلاة وداخل الحرم القى الشيخ النعيمي كلمة تاريخية تناسب موضوع الاحتفال وعرف بأثر هذا الجامع الذى كان مثابة للعلم ، ومأوى للمجاهدين ونقلت خطبة الجمعة عن طريق الاذاعة ، وبعد اداء الصلاة عدنا الى مطعم نظيف تناولنا به غداءنا ، وكلف البعض منا للسفر الى المدن المجاورة من العمالة لالقـاء محاضرات دينية واجتماعية ، وكان موضوع فلسطين وحربنا مـع اليهود والاعداد للجولة التالية يتقدم تلك المحاضرات وفي يوم السبت مساء القى الاستاذ الكبير محمد بهجة الاثري محاضرة في المسـرح البلدي كان موضوعها « القيم الاسلامية العليا والاسلام في مواجهة التيارات والتحديات المعاصرة » حيا في مقدمتها ابطال الجزائر وثمن ثورتها الجبارة وترحم على شهدائها الابطال الذين رفعـوا كرامة العروبة والاسلام ، وحضر المحاضرة وزير الاوقاف والصحة وعامل عنابة والوفود الاسلامية وعدد كبير من المدعوين وكان الاهلـون حول القاعة يستمعون الى المحاضرة عن طريق مكبرات الصوت ،

فكان مشهدا رائعا اهتزت له المشاعر ونقلت حية عن طريق الاذاعة الى سائر انحاء الجزائر وكان المحاضر الفاضل موفقا في اختيار الموضوع وفي الاداء الرائع مما اثار اعجاب المستمعين ورفع سمعة العراق العلمية والادبية ، وفي يوم الاحد زرنا غابات ـ بيجو ـ وتسمى اليوم باسم السريدى احد الشهداء واكثر المشاهد والشوارع والمعالم التي كانت باسماء المستعمرين ، قد ابدلت باسماء ابطال الجزائر الشهداء تخليدا لذكرهم واشاعة لامجاد ابنائهم وبذلك اختفت اللافتات التي كانت تحمل اسماء الغزاة الفرنسيين .

وفي عودتنا من زيارة الغابات والتفرج على تلك المناظر الرائعة زرنا بعض معالم المدينة وآثارها الرومانية ، والمتحف التاريخي الذي يقع على ربوة عالية بين الاشجار والرياحين ، وعاد موكبنا الى فندق يطل على البحر اعدت فيه وليمة وزير الاوقاف للوفود والمدعوين ممن حضر عنابة والاسماك البحرية بانواعها هي الطعام الرئيس على موائد هذه الولائم وكذلك الاغذية الوطنية ولا سيما « الكسكسية مع اللحم والدجاج » .

وفي الساعة الخامسة قفلت الوفود الى الجزائر بالطائرة مودعين بالحفاوة البالغة من عامل عنابة والموظفين ووصلناها بعد السادسة بقليل وحللنا الفندق الفخم الذى ضم كل الوفود .

الجزائر ـ العاصمة :

هي عاصمة القطر : مدينة كبيرة واسعة الارجاء تجثم على سيف البحر المتوسط في الشمال الافريقي العربي ، تكتنفها الجبال الخضراء وتنبسط حولها سهول تمتد الى مسافات مترامية .

قصور بيض ، في رياض خضر ، وعمارات شاهقات تناطح السماء لا نظير لها فى شرقنا العربى .. تتوسطها هضبة عالية شجراء قامت عليها المدينة القديمة ـ القصبة ـ التى شهدت اقسى ضروب الوحشية والقمع والتقتيل من الجيش السري وجنود المظلات . ومن حولها وبانحدارها وسلهلها قامت عمارات الاوروبيين واحيائهم وفنادقهم واسواقهم ، شوارع متقاطعات متعارضات مرصوفة بالموزايك ، والنظافة طابعها العام وكان اسواقها وشوارعها مفسوحة

بماء البحر والصابون ، لا تقع العين فيها على قذرة ويلحظ الزائر النظافة بارزة في كل ناحية وفي كل شيء في الحوانيت في القصور في الجدران في الرجال والنساء ، طرقاتها زاهية زاهرة رغم سعتها فهي تمتد على سيف البحر بشكل هلالي بحكم اكتناف الجبل لها تمتد زهاء سبعين ك م ، وبعمق يزيد على عشرة كيلوات ترتبط بشبكة من الحافلات الحديثة يتنقل بها اهلها في غدوهم ورواحهم الى اعمالهم ، وقمنا صباح الاثنين ٢١ تشرين الاول ١٩٦٨ نستجلي مجاليها ومغانيها وحدنا ـ الاستاذ الاثري وانا ـ يصحبنا رفيقنا الدرار الشاب اللطيف ، في سيارة من سيارات الحزب خصصت واحدة لكل وفد ، زرنا ارباضها ومزارعها التي لا تقع العين على انضر واوسع واعمر منها ، وزرنا غابة الصنوبر وفيها يقع مبنى القصر الامي ـ الذي شادته حكومة الثورة على ساحل البحر وفيه من المرافق والقاعات والمساكن والصالات ما يمكن ان تستوعبه المؤتمرات الدولية التي تقام في الجزائر بين حين وآخر وكانت الفكرة ان يقام فيه اول مؤتمر للقمة ، وعقد فيه المؤتمر الاسيوي الافريقي ، وشيدت بالقرب منه دور ـ فيلات ـ مستقلة لمن شاء ان يصطاف فيها او يسكنها مع عائلته من الوافدين مؤثثة افخم تاثيث واقيم مسبح حديث لمن شاء السباحة ايام الصيف ، وزرنا مزرعة بورجو الاقطاعي الكبير وشاهدنا قصره ومزارع العنب الواسعة التي تصدر اجود الانبذة الى فرنسا .

ومن يزر الجزائر زيارة متمهل مستكشف وباحث ويتجول في ريفها ومدنها ومصايفها في جبالها وسهولها ير عجبا بل تاخذه الدهشة والاعجاب لما يرى فيها من عمران وازدهار ولا يسع الزائر العربي من امثالنا حين يطلع على ما ترك الكولون وما خلفوا وراءهم الا ان يقرأ الاية الكريمة « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك واورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين » الكولون وحدهم بكوا عليها حين رحلوا عنها من غير رجعة فورثهم اهلها الشرعيون واعادوا ارضهم التي اغتصبها المستعمرون

وعمروها من ارزاق الشعب ومن خيرات ارض الجزائريين ، وجاءت الثورة التحررية واعادت اليهم اموالهم المغتصبة « فاخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » .

الفرنسيون كالرومان اذا استوطنوا ارضا تملكوها ، فما يزرعون أو يشيدون انما يزرعونه لانفسهم ولامتهم يمهدون وما كان يدور بخلدهم انه سيأتي يوم يضطرون فيه على الرحيل ويسترد منهم كل ما ثمروا وعمروا ، وانهم سيجبرون على الخروج والرعب يملأ نفوسهم بأيدى الجزائريين الذين ساموهم العذاب ، واذاقوهم صنوف البلاء قل ان شهدت الانسانية له مثيلا ، غربوهم عن لغتهم وحاولوا طمس معالم دينهم وقوميتهم ، واستنزفوا ثرواتهم قرنا وثلث قرن ، وبرغم الوحشية وممارسة القمع والابادة مع الشعب الجزائرى ، فانهم لم يستطيعوا ان يطمسوا عروبته ، او ينزعوا عقيدته ، وما قدروا ان يخدعوا الفرد الجزائرى عن حقيقة ظلت بارزة في وجدانه هي : ان ارضه مغزوة وان الفرنسيين غزاة مغتصبون ، حري بكل جزائرى ان يحاربهم ويسعى جاهدا للتخلص من استعمارهم ، فكانت تلك الثورات الدموية المتلاحقة التي تستهدف ازاحة الوجود الاستعماري من أرض الجزائر ، وظل الشعب يصارع الغزاة ويصاول جيوش العدوان متحديا قواه العاتية المدمرة بايمان لا يقهر وصبر لا ينفذ وثبات لا يتزعزع دونه ثبات الرواسي الشم ، تلقاء تلك القوى الشريرة التي جاءت يحدوها الحقد ، ويدفعها الطمع لامتلاك هذه الارض الطيبة الغنية ، تحركها عوامل اقتصادية وسياسية ، تدفعها احقاد دفينة على العروبة والاسلام، لم ينخدع الشعب الجزائري بالشعارات الزائفة التي كان ينادي بها الغزاة ، وهب يدفع عن حريته وارضه بدماء احراره عبر قرن وثلث قرن ، وكان من تلاحم فئات الشعب الضمانة الاولى لنجاح ثورة التحرير ١٩٦٢ الثورة التي روت دماء شهدائها الابرار شجرة الاستقلال(١) .

---

(١) من مقال لي نشر في ١٠ تشرين الثاني وآخر نشر يوم ٥ كانون الثاني بعنوان انطباعات ٢٠١ .

وزارة المجاهدين :

ورعاية للمجاهدين ولابناء الشهداء ، أسسوا وزارة خاصة تدير شؤونهم وترعى أراملهم ، وتشرف على تربية اطفالهم ، وتعليمهم حتى ينتهوا من مراحل الدراسة وأوجدوا لأكثر من خمسين ألف مجاهد أعمالا ملائمة ، في القطاعين الاشتراكي العام والخاص وفي الصناعة ، وفرضت حكومة الثورة نسبة معينة منهم على المؤسسات العمالية لتشغيلهم ، كما أنشأت لهم التعاونيات الفلاحية ، وضمت اولادهم في مراكز خاصة تشرف عليها هيئات فنية ، تعنى بتربيتهم وهذه المراكز كما علمت منتشرة في أكثر العمالات ، ومنحت العوائل رواتب تكفل لهم عيشا كريما .

ذكرى الثورة :

رأينا اثناء تطوافنا واجتماعاتنا ان حكومة الثورة تستعد لهذه الذكرى على مستوى شعبي وحكومي ، تقام احتفالات فاتح تشرين الثاني ، شاهدنا منصات العرض على طول الشارع الموازي لساحل البحر ، والاعلام تنتشر خفاقة على واجهات القصور والدور والبيوت وعلى دوائر الدولة ، ونصبت اقواس النصر واعمدة النور والزينات في الساحات والمنتزهات وعلى الميناء ، وبارحنا الجزائر ولجان الاستقبال تتهيء لانجاز الاعداد للمهرجانات التي ستقام بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لقيامها ١٩٥٤ ويؤم الجزائر وفود عربية واسلامية افريقية وآسيوية وأوربية يشهدون فعاليات حكومة الثورة ومنجزاتها الجبارة السريعة وهذه الذكرى تعيد الى ذهن كل جزائري وتشير اليه نحو أولئك الشهداء الابطال الذين بذلوا دماءهم الزكية سخية من أجل ان تعيش اوطانهم مستقلة ، ويعيش فيها ابناؤهم أعزة أحرارا ، وستظل أرواحهم ترقب من عليائها ما يفعله اخوان الجهاد الذين سلموا واستلموا مقاليد البلاد ، وهل هم احرياء ان يحملوا اعباء المسؤولية ، ويضطلعوا بقيادة الحكم بكفاءة ونجاح، وهل هم اهل لمواصلة الجهاد ، والحفاظ على مواصلة الثورة لتحقيق الاهداف السامية التى من اجلها ضحى المليون ونصف المليون

---

(٢) من خطبة للرئيس بومدين في توديع الحجاج انظر كتاب الجزائر المسلمة منشورات الاوقاف الجزائرية .

بأرواحهم .. ، واجبت من غير تردد وبدون مواربة ، ان ابناء الجزائر ، وابطال الجزائر الثوار قادرون على تحقيق المكاسب الثورية ، وراعون للامانة ، وماضون بعزيمة قوية لاخراج البلاد من حالة التخلف الذى فرضه الاستعمار ، ومندفعون بأرادة صلبة وتصميم مبني على التخطيط والدرس ، لتنفيذ الاصلاح المنشود ، ولتكذيب ما يشيعه الاستعمار واعوانه ، وما يرجف به ضعاف النفوس ، ممن فقدوا الثقة بأنفسهم ، يشيعون فرية فحواها ان البلاد ستفقد حيويتها وتقدمها ، وسيشيع فيها الخراب بعد ان وسدت ادارة الاعمال والمعامل والمزارع للوطنيين من ابنائها .. انها اشاعات المغرضين وارجاف المستعمرين وان واقع الجزائر اليوم ، يكذب ما يذهب اليه المتربصون ، الذين ساءهم ان تنهج الحكومة الثورية سياسة عدم الانحياز ، وتطبيق الاشتراكية وفق مفاهيم الاسلام ووفق تحقيق مبادىء العدالة الاجتماعية .

ان هذا الشعب قادر على خلق المعجزات ، وفي السنوات الست التى مارس فيها الوطنيون السلطة برهنوا على الكفاءة والاخلاص ، عمروا ، ووطنوا ، وزرعوا ، وادارو العقارات ، والمزارع التعانية ، بنجاح وتقدم مطرد ، واقاموا مشاريع اقتصادية برهنت على القدرة والصلاح والاصلاح .

والشعب الجزائرى ، يومن بان المهمة شاقة ، والجهاد طويل، ويومن كذلك ان الايدى الامينة المخلصة التى قادته بالامس وانتصرت على الاستعمار وعلى المعوقين لهي قادرة اليوم ان تقوده الى انتصارات اكثر في ظل عدالة لا يرقى اليها وهن او ظلم ، عدالة تحارب الطبقية والاستعلاء ، وتعتمد على الايدى الفنية والمهارة والاعتماد على النفس الذى لا يتنافى مع التعاون مع الفنيين واصحاب المهارات من غربيين وشرقيين من خارج الجزائر ، في التصنيع وبموارد جزائرية حذرا من المعونات المشروطة كى تكون الجزائر حرة في استخدام مواردها في التطوير للصناعة الحديثة ، مع العناية بالموارد الزراعية .

وقد شاهدنا عددا من الاوربيين وسالنا عن سبب وجودهم ، فعلمنا انهم يعملون في الاطارات العامة في المصانع والمزارع والهندسة والطب والتدريس في الجامعة .

وفي يوم الثلاثاء عصرا حاضر رئيس وفد يوغوسلافيا ورئيس الهيئة العليا الاسلامية عن احوال المسلمين في بلاده وفي يوم الخميس حاضر الاستاذ محمد بهجة الاثرى محاضرته الثانية في قاعة ابن خلدون وقد اكتضت القاعة على رحبها بالمستمعين من المثقفين والاساتذة الجامعيين ، وكانت بعنوان « عبقرية الادب العربي والقوانين النفسية التى تعمل في كتابة تأريخية » وكان اعجاب المستمعين بها لا يتناهى ، وفي عصر الجمعة حضرنا محاضرة الدكتور محمد البهي عن مفاهيم الفكر الاسلامي المعاصر فنالت استحسان الجماهير الذين غصت بهم قاعة بن خلدون على سعتها ·

وكنا خلال الايام التي قضيناها في العاصمة نزور منتزهاتها وارباضها ومصانعها ، وغاباتها ومزارعها التعاونية وكان اعجابنا لا ينقطع بنظافتها وجمالها ولطف اهلها ومن اجمل المدن التى زرناها·

البليدة : والتصغير هنا للتحبب لا لانها صغيرة · بلدةمنبسطة في سهل زراعي على البحر وشوارعها واسعة وجنانها مزهرة تزدان بالورود والاشجار الباسقة ومقاهيها نظيفة ونساوءها ، من رأيناهن صدفة ، يصبين القلوب ويأسرن العيون بجمالهن وقاماتهن الفارعة وعيونهن الدعج · وسكان البليدة الكثرة الكاثرة منهم هاجروا اليها في السنين الخوالى من عرب الاندلس ومن صقلية ، وعمرت بعد زلزال اصابها مرتين ·

ويبعد عنها نحو عشرين كيلو مترا مصيف ـ المزرعة الجميل ـ في جبل يرتفع حوالى ١٨٥٠ مترا ملتف الاشجار ـ كثير الثمار ، وتنتشر على ربواته قرى جميلة اشبه بقرى لبنان وانظر منهما بساتينها ويكثر في البليدة نوع من البطيخ كحلاوة اهلها وفي سهولها حدائق البرتقال والكروم ومزارع القمح ، وتتناثر على سواحلها (فلات) للمصطافين ولمن يعجبه الهدوء والصفاء انيتخذها مسكنا له طوال السنة ، تبعد عن العاصمة قرابة ٨٥ كيلوا يربطها طريق معبد بين اشجار ومزارع وحدائق وقبل ان نبرح ارض الجزائر زودت دار الاذاعة بحديثين ، احدهما يذاع بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة والثاني حديث يذاع في رمضان ـ موضوعه المقاومة الشعبية للحروب الصليبية ـ التى تولاها آل منقذ وعلى رأسهم بطلهم ـ اسامة بن منقذ ، وواجب ابناء العروبة في الصليبية

الجديدية التى تتجسد في الغزو الصهيوني ومن ورائه الامبرياليـة الامريكية ٠

وفي يوم السبت ٢٦ تشرين الاول غادرنا الجزائر والنفـس مشوقة للتزود من شميم عبيرها والتمتع بصحبة ابنائها الكـرام ، ركبنا الطائرة ـ استاذنا الاثرى وكاتب هذه السطور الى بنغازى ، وكم كان بودنا ان نزور تونس الخضراء ولنـا فيها رفقة واصحاب فضلاء ، ولكن الاجراءات التعسفية التى تطلبتها قنصلية تونس في الجزائر حالت دون هذه الرغبة وفوتت علينا فرصة لا احسبها تسنح لنا في مقبل ايامنا ، رغم اننا ابناء امة واحدة وتجمعنا وشائج قومية وثقافية وعقائدية ، ونحن لم تكن لنا صبغة سياسية ولكن فرضت علينا قيود لم تفرض على الفرنسيين والانكليز والامريكان فتأمل ٠

انتقـال الحـكومة
الى العمالات

من الانطباعات التى علقت بذهني وكان لها صدى استحسان في نفسي : هى انتقال الحكومة بوزرائها وبرآسة رئيسها بومديـن الى عمالة ـ تيزى دزو والى جبال القبائل، فقد كان الحديث عن هذه الزيارة حديث الصحافة والاذاعة والتلفاز ، شغلت جهاز الاعلام ، لما فيها من فوائد وانهاض للجهة التي يشملها هذا الحظ ، بغيـة التوازن العمراني ، والصناعي والثقافي ، وتحدثت وسائل الاعلام ، عما تجنيه البلاد من التقدم في العمالات الفقيرة والمتخلفة كما حدث في اجتماعات السنة ١٩٦٦ في الواحات والاوراس ثم القبائل فقد كان ذلك بناء على دراسة موضوعية ، لم يكـن اختيـارا عاطفـيا ، واختيرت هذه المناطق قبل غيرها ، لانها كانت تعيـش في حـرمان وبلاد القبائل حرمتها الطبيعة من كل شيء فلا اراضى زراعية ، ولا توجد فيها معامل صناعية لتشغيل الايدى العاطلة لذلك قدمت على غيرها ٠ ولهذه الاجتماعات فوائد لا تخفى على احد ، انها تتيـح للمسوءولين ان يطلعوا بانفسهم عـلى الحاجات الضرورية فيقدروا المشاريع الحيوية التي تنعش العمالة وملحقاتها فيقدموها عـلى سواها ، ويعتمدوا لها الاعتمادات اللازمة وفق الخطة المدروسـة ضمن السنين المعتمدة لها ٠

ومن فوائدها في الانجاز وتسيير الاصلاح وفق الصلاحيات الممنوحة لمجلس العمالة وانها تقضى على الروتين المتبع في العادة بين كتابكم وكتابنا ، يرى المسوءولون نواقص العمالة فيقدمون الاهم على المهم ويطلقون للهيئات العاملة ان تمارس سلطاتها من غير الحاجة الى استئذان المالية في الصغيرة والكبيرة ، مما يسبب التأخيروضياع الوقت سدى في المخابرات وطلب الموافقة ، وفي ذلك اضعاف للمركزية ، والحكومة في خطتها اعداد دراسات تتناول كل جهات البلاد وسوف تنتقل الحكومة الى المناطق الاخرى لحل مشاكلها المحلية فور انتهاء الدراسات التمهيدية الجارية الان .

التربية والتعليم

ومن هذه الانطباعات موضوع التربية والتعليم في الجزائر .. نحن نعلم ان المستعمر من سياسته الاستعمارية ان يحجب الثقافة عن عامة الشعب ولا يبيحها الا بالمقدار الذي يخدم به مصالحه ، ولا يسمح بها الا بالقدر اليسير الذي يستر به مقاصده الاستعمارية ، فكان التعليم من المشكلات الهامة التى واجهتها حكومة الثورة في عهد الاستقلال ، ان المدارس بكل مراحلها المختلفة كانت بيد الادارة الفرنسية وبالنسبة للجزائريين المسلمين فهي محدودة وتقبل نسبة معينة من الاولاد الذين هم بسن الدراسة .

وكان النظام المتبع يضيق فرص النجاح بوسائل مختلفة ، منها سياسة التعجيز والتعقيد في الامتحانات وتعقيد الاسئلة والتشديد في التصحيح كي يقللوا من عدد الناجحين ، ومنها رفع اجور المدرسة كي لا يتسنى التعلم الا لطبقة معينة هم اولاد التجار والموظفين الكبار وهم طبقة تضلع عادة مع الحاكم وطنيا كان أم مستعمرا ، وتبقى الكثرة الكاثرة من ابناء الشعب امية من غير تعلم وقد اضر بها الفقر ، وفدحتها الضرائب ، واثقلت كاهلها المصادرات المتوالية فكيف يتيسر لها تعليم اولادها ومن اين لها القدرة لارسالهم الى المدن الرئيسية التي كانت تقوم فيها المدارس ، ولذلك شاعت الامية وكثر الاولاد والبنات من غير دراسة ، ومن اجل ذلك وجدت الجمهورية الجزائرية نفسها في اول تسلمها للسلطة امام مشكلة من اصعب المشكلات التي واجهتها .

ترى من واجبها ان تنشىء المدارس وتعلم النشىء ، ولـــكن انسحاب المعلمين الاجانب من جهة وقلة المعلمين الوطنيين من جهـــة اخرى يشكل عقبة كاداء في سبيل نشر التعليم ، فاستعانت بالحكومات العربية ، فلبت نداءها للتطوع في هذا المجال الحيوي ،وللتغلب على هذه الازمة الحادة ٠

والمشكلة لا تنحصر في التعليم وحده وانما تتعداه الى تعريـب الناشئين بل والراشدين فالفرنسيون حاربوا العربية حربا لا هوادة فيها ليس بالقول والدعاية والتغيير وانما حاربوها بالقوة والقانون ، صوروا اللغة العربية قاصرة لا تصلح لمتطلبات العصر ، وان حضارتها لا تنهض بالعلوم الحديثة ولا تتسع للمخترعات الحديثة ٠٠

وكانت تمنع تدريسها بقوة القانون ، وتغلق المدرسة الاهليـة التي تعلم العربية وقـد قرأت في الجريدة العربيـة الوحيدة التـي تصدر في الجزائر ـ الشعب ـ نداءات الحكومة تهيب بالمتعلمين ممن درسوا في مدارس جمعية العلماء المسلمين او ممن تعلموا في الزيتونة او في القاهرة او مدارس الشام والعراق ، تهيب بهم أو يتبرعـوا بساعات من فراغهم لتعليم الراشدين وتعريبهم ، وقد تقدم موضوع التعريب فيما مضى من تصريحات رئيس حكومة الثورة٠

طابع الجزائـــر العـــام

الجزائر بسهلها وجبلها ، بشمالها وجنوبها ، عربية مسلمـة ، وشعبها متدين يقلد الامام مالك الا اقلية ضئيلة من الاباضيـيـن ، حريص على أداء شعائره الدينية، فالمساجد تغص بالمصلين في الاوقات الخمسة نســاءا ورجالا ، وللنساء جناح خاص يؤدين فيـه الصلاة اما يوم الجمعة فتزدحم ازدحاما تكاد لا تجد لك معه مكانا ان جئت متأخرا ٠ والمساجد نظيفة تغسل يوميا ويصلى عـلى بلاط افنيتهـا المصلون من غير فراش ، وتؤدي صلاة الجمعة كما هي عندنا وربما يمتد وقت صلاتها في بعض المساجد الى قبيل صلاة العصر ٠٠ والخطبة تؤدي درسا ويشرح الخطيب مفرداتها اللغوية ـ الآية والحديث٠ ثم تشرح معانيها العامة، وتلقى الخطبة نفسها لتخدم التوعية وبقصد الافهام والتعريب واشاعة العربية اضافة الى ما فيها من موعظـــة وتوجيه وهذه طريقة ابن باديس ليحارب الفرنسة ، وتؤدى صـــلاة الجمعة من غير سنة قبلها وباذان واحد ،

اقول : ان الطابع العام الظاهر لعامة الشعب الجزائري ، هو التمسك بالدين والعقيدة الاسلامية ، وهل قدم الشعب تلك التضحيات من فلذات اكباده وخيرة شبابه الى سوح الجهاد وسجلوا تلك البطولات ، الا بدافع الايمان ، وتلبية لنداء الدين والوطن ، وان الجهاد فرض عين لاعلاء كلمة الله والدفاع عن الوطن ، وتحقيقا لحياة كريمة لا تحكم فيها لغاصب ، وان الذي يقتل في سبيل ماله ودينه وحرمه يموت شهيدا وان وزارة الاوقاف في عهد وزيرها السابق احمد توفيق المدني والعربي سعدوني وزيرها الحالى ، قد لبت رغبة الشعب حين اولت عنايتها الى هذه الناحية جاهدة لاحياء ما اندثر من تراثه الروحي وتعمير ما خربه الاستعمار خلال حكمه الطويل ، تجسيدا لشخصية الجزائريين المسلمة ، فأعادت وزارة الاوقاف سبعة وستين مسجدا جامعا كان الاستعمار قد اغتصبها ، او كانت حولت الى كنائس فاعيدت مساجد تؤدي فيها الجمعة وتجتمع الجماعة .

ولم تكتف وزارة الاوقاف بما اعادت وحولت ، وانما عمدت الى تشييد عدد غير قليل يزيد على الثلاثين جامعا تم انشاؤها بعد الاستقلال ، واقامت بجانبها المعاهد الدينية ، وراح العلماء يؤدون درسين اثنين في اليوم لابناء المنطقة اشاعة للتعريب ولنشر الوعي الاسلامي ، فارتفع صوت الدعوة الى الاسلام من فوق المنابر وتعالى صوت الحق من اعلى المنائر ، فاختفى الالحاد وانهزم التشكيك ، وازدحم الطلبة والطالبات في قاعات الدرس والمحاضرات برغبة صادقة .

وكان من اعمال وزارة الاوقاف تأسيس المجلس الاسلامي الاعلى للاشراف على التوجيه السليم والثقافة الدينية بعيدة عن الجمود والانحراف والبدع في حدود مفاهيم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

وكان من اعمال وزارة الاوقاف افتتاحها لمعهد الائمة والخطباء — بعين طاية — وكان لهذا المعهد فوائده العملية في اعداد الخطباء والائمة وابعاد الجهلة وغير الاكفاء وخصصت لهم رواتب عالية ردا لاعتبارهم وكي يتقدم على وظائفها ذوو المواهب والعلماء الافاضل ، كي يصبحوا مرجعا للناس في تعليمهم امور دينهم ودنياهم .

وفي رمضان تبذل وزارة الاوقاف مجهودا مشكورا ومحسوسا في القاء المحاضرات الدينية في المساجد الكبيرة وعن طريق الاذاعة والتلفز ، تستقدم ذوي الاختصاص من العلماء والوعاظ من مصر والمغرب والعراق والاردن ، كما تستقدم المقرئين يقرأون يوميا في الاذاعة ، واشرفت على تسفير ١٢ الف حاج رعت شؤنهم الصحية في مكة والمدينة ، وخصصت لذلك مليون دينار جزائري – مائة الف دينار عراقي – لاقامة مجمعات سكنية في مكة والمدينة لراحة الحجيج من ابناء الجزائر ·

وفي الجزائر حاليا ستة عشر معهدا اسلاميا فيها من الطلاب ٦١٦٣ ذكورا واناثا ، وفي الجزائر عدد من معلمي القرآن وتحفيظه يناهز الاثني عشر الف معلم ، ووزارة الاوقاف ترسل البعوث الى الجامعات العربية الاسلامية في ليبيا ، ومصر وتونس – الزيتونة – والقيروان ، وان اللجان الدينية والشعبية قد قامت بمجهود كبير حيث شيدت – منذ قيام الاستقلال – حتى سنة ١٩٦٨ اكثر من ثلاثمائة مسجد تقام فيه الصلوات والمواعظ والدروس العربية ·

وفي العاصمة وحدها اكثر من مائة واربعين جامعا ·

ولا ادل على قوة الطابع الاسلامي الموروث من احتفال الجزائريين حكومة وشعبا بموكب الحجاج اذ ان الحجاج يجتمعون من سائر القطر ويتولى مسؤول رسمي يرافقهم مع بعثة دينية وطبية ترافقهم ويقام لذلك احتفال توديعي يحضره رجال الحكومة ومما جاء في خطاب رئيس مجلس الثورة ورئيس حكومتها في توديعهم قوله :

(وبهذه المناسبة نعبر لكم عن فرحنا وسرورنا لهذا المشهد الديني ، وهذا الحفل الرمزي ، هذا السرور الذي هو في الواقع يرمز الى شيء ثمين ، هو ان الجزائر والشعب الجزائري استطاع رغم المحاولات الكبيرة التي جرت في السنين الماضية والتي عاشها اجدادنا هذه المحاولة التي كانت ترمي الى القضاء على ديننا ان يخرج من المعركة منتصرا بفضل تمسكه باسس هذا الدين الحنيف، ذلك لان الاستعمار الذي ابتليت به بلادنا كانت له اوجه عديدة ، وجه كان يقصد به الاستيلاء على خيرات البلاد ، ووجه اخر هو القضاء على شخصية هذا الشعب في اعز ما يمتاز به ، وهو دينه الحنيف ، لان الدين كان بالنسبة الى شعبنا هو الاساس الذى انبنت عليه

شخصيتنا ، ومهذا فان الاستعمار الذي ينجح في استعمار البـــلاد واستغلال خيراتها ، فشل عندما حاول ان يقضي على اعز شيء يعتـز به شعبنا وهو ديننا ..

والشعب الجزائري اذا كان قد بقي عربيا مسلما ، ولم تـذب شخصيته ، فان ذلك تاكيد لما سجله التاريخ ، ونحن نكرر ان الفضل يرجع الى محافظة شعبنا على المقوم الاساسي وهو الدين .

واليوم وبعد الاستقلال عملت كذلك بلادنا وستعمل كل ما في وسعها حتى تحافظ على هذا العنصر الاساسي الذي ينبغي ويرتكز عليه مجتمعنا ، ان هذا العنصر الرئيسي حينما نحافظ قد حافظنا على اخلاقنا وعاداتنا الكريمة ، وبذلك نكون قد حافظنا على مقومات شعبنا العربي المسلم (٢))

منهج الجزائر السياسي

كل زائر للجزائر العربية يدرك ان نهجها السياسي التضامن التام مع الشعوب العربية وهي عضو بارز في جامعة الدول العربية المنظمة السياسية هذا اولا .

وثانيا انها تلتزم الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وهذا المنهج تمليه مبادىء الثورة تلك المبادىء المستمدة من تجارب حرب التحرير تلك الحروب التي انكشف فيها كل زيف لدول الاستعمار ، فعرفت الجزائر اصدقاءها واعداءها ، وعرفت من عاونها ، ومن عاون عليها. ومن معرفتها هذه انبثقت سياستها الخارجية فهي لا تكتفي بالتزام الحياد الايجابي والمناداة بوجوب التعاون على اساس الاحترام المتبادل بين جميع الدول الصغيرة والكبيرة سياسة اكثر دول عدم الانحياز ، وانما هي تعمل على مساندة ومساعدة كل الشعوب المستعمرة ، والتي تناضل من اجل الحرية والانعتاق معنويا وماديا ، وهي كما تساند قضية فلسطين وتعطيها الاولوية من العناية وتعتبرها قضيتها الاولى، فانها تساند وتساعد كل القضايا العادلة في العالم كقضية شعب فيتنام ، والجنوب العربي ، وثورة كوريا ، وكل الحركات التحررية، وهذا ما جعل الاستعمار يهاجم حكومة الثورة الشعبية في وسائل اعلامه ، وصحافته يحاول تشويه منهج الجزائر الثوري والاقتصادي

---

(٢) من خطبة الرئيس بومدين في توديع الحجاج انظر كتاب الجزائر المسلمة منشورات الاوقاف الجزائرية .

والسياسي ، وتاليب القوى الرجعية عليها ، ولكن الجزائر ماضية في نهجها السليم غير ابهة بهذه الدعايات المفضوحة ، فهي شنشنة عرفها العالم من الاستعمار ، ويدركها كل ذي ضمير حي · وهناك من يردد همسات فيها النيل من نهج حكومة الجزائر حاليا ، تعنى هذه الهمسات او الجزائر اعتراها بعض الفتور نحو القضايا العربية·· وتوجه اهتمامها الزائد الى الشؤون الافريقية ، والمسؤولون يردون على هذه المزاعم بقولهم :

ان الجزائر تهتم بالقضايا العربية اولا ولاسيما جيرانهـــا ، وبافريقيا وبقضاياها بحكم منهجها التحرري ، فمن مبدأ جبهة التحرير ومن سياسة الجمهورية الجزائرية معاونة الشعوب التي تكافح مــن أجل التحرر، والتغلب على التخلف، ولا ننسى ان الجزائر من الاقطار الافريقية ومن اقواها واغناها وقد تحررت قريبا بعد حروب ضاريـة مع الاستعمار فمن الطبيعي ان تعنى بقضايا الدول الافريقية وفقـا لخطتها ولتمنع تسرب النفوذ الاجنبي الى هذه الدول المتخلفة وهـي بنفس الوقت تقضي على خطر صهيوني محقق نيابة عن نفسها وعن الدول العربية التى لم تول عنايتها اللازمة لهـذه الاقطار ولا سيما الدول التي تقوم في الشمال الافريقي ·

اما اهتمام الشعب الجزائري بالشؤون العربية فلا حد له وهو يطغى على كل حديث وعلى كل اهتمام ولا سيما موضوع فلســطين ونكسة ٥ حزيران ١٩٦٧ وضرورة ازالتها واسترداد الارض السليبة بطريق القوة فما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة والجزائريـون لا يومنون باية حلول سلمية ، عقيدتهم وشعارهم في موضوع الحـرب مع اسرائيل الكفاح المسلح ولا شيء غيره وهم لا يرفعون هذا الشعار ولا يقولون بهذا المبدأ اعتباطا وانما يقولونه كهدف يجب ان تستعد له الدول العربية وهي بمقدمتهم ، يقولون به نتيجة التجربة التـي عاشتها الثورة الجزائرية ، وتاريخها في كفاحها مع الاستعمار يعطيها هذا الحق رفع شعار الحرب ، واستمرارها في فلسطين وفي سـينا شرق القناة او غرب القناة اذا لزم الامر ، والزمن مـع العـرب ، ومواردهم لا تنضب وخطوطهم متقاربة داخل اقطارهم ، وبالعكس من ذلك حال عدوتهم اسرائيل لا توافقها الا الحرب الخاطفة ، ويتقوقعون على ما سلبوا ·

هذا رأيهم الصريح يشترك فيه من كان في مستوى الحزبية او مستوى المسؤولية وهذا رأي جماهير الشعب ، ـ الكفاح المسلح يقصر الطريق لتحقيق النصر على اسرائيل ، وان الثورة والحرب تصهران وتقضيان على التردد والخيانة ـ .

التاميم

اذا انتقد التاميم في بلد من بلدان الشرق العربي او مغربه ، فان التاميم في القطر الجزائري ، تفرضه طبيعة البلد نفسه ، فهو ضرورة لا مناص للجزائريين من تطبيقها ولذلك فان الاستعمار بعد ان حمل عصاه ورحل ، رحل معه الكولون الذين بحماية الاستعمار استغلوا خيرات الجزائر واستثمروا ارضها واستعبدوا انسانها ، فكانوا يملكون العقارات الضخمة ، والمزارع ، الواسعة ، يكدح الفلاح الجزائري ويزرع واذا كان الحصاد ، استثمر الاوربيون الحب والثمر فلما تركوا الجزائر تركوا وراءهم معاملهم ومزارعهم وقصورهم واملاكهم تركوا مصانع قائمة وعمارات سكنية عامرة وخلفوا معامل وفنادق ومناجم ومصارف ومخازن ومقاهي ، فكان التاميم لهذه المخلفات والشركات التي ما كان يملك فيها الوطنيون شيئا يذكر ، واجبا قوميا ، لامندوحة من تطبيقه ، أممت الحكومة الثورية هذه الاملاك والشركات والبنوك وجعلتها تحت ادارة القطاع العام، فقامت عليها جمعيات تعاونية سيرت ادارتها واشرفت على انتاجها وادامتها .

ولم يشمل التأميم الوطنيين الجزائريين، لانهم في الواقع لا يملكون الا متاجر محدودة ، وانتهجت الحكومة منهجا اشتراكيا ، مستهدفة من ورائه تحقيق تقدم شعبها وازدهار احواله المعاشية ، ورفع معيشة العامل والفلاح والمثقف الذين هم عماد الشعب ، وعلى سواعدهم تحقق النصر والاستقلال ، وكانوا وقود الثورة وحماتها .

واصدرت الجمهورية الشعبية قرارات ١٩٦٢ تلك القرارات التي احتوت نظام التسيير الذاتي لاول مرة ، هذا النظام الذي يخول الفلاحين حق ادارة المزارع ، والعمال حق ادارة المصانع ، باشراف الحكومة ، ادارة جماعية ، وهكذا طبقت القاعدة الاشتراكية القائلة « الارض لمن يفلحها ويعمل بها » وبعبارة صريحة اقول : ان التاميم مكسب من مكاسب الثورة ، وانجاز وطني تفرضه على الجزائر طبيعة

وضعها بعد رحيل الاوروبيين ، طبق في الجزائر فشمل المصارف والشركات والارض والمصانع والعقارات ، من اجل بناء اقتصاد سليم ، يرتبط بالمجتمع الجديد ، ويكمل حرية ابناء الشعب ، ويصون الثورة من كل ضغط اجنبي ٠

والاستقلال الاقتصادي في الدول النامية ، والحديثة العهد بالاستقلال السياسي يعتبر من أهم المجالات الاساسية التي تظهر فيها شخصية الدولة واستقلالها ، وليس من المعقول ان تبقى الجمهورية الجزائرية بعد تلك الحرب التي خاضتها ، اقتصادها بيد المستغلين من الاجانب الذين اذاقوا الشعب تلك الويلات وامتصوا خيرات البلاد واحتجنوا مرافقها الاقتصادية ، لم يبقوا بيد الجزائريين مرفقا من هذه المرافق، المصارف، الشركات، المزارع، وسائط النقل، المناجم، الفنادق، المدارس كلها كانت بأيديهم وهذه هي أهم مرافق الاقتصاد الوطني فاذا تركت كما كانت قبل الثورة ، لا يبقى معنى للاستقلال السياسي ، ولا بد ان هؤلاء الاجانب يستغلون هذا المال الناتج من هذه المنافع الحيوية في المؤامرات والكيد للاستقلال الوطني وللثورة ، ولن يخدم الاغراض الوطنية العليا ، بل ويتنافى مع السيادة الوطنية التي ضحى من أجلها الشعب بمليون ونصف مليون شهيد ، وقد يقال ان الخبرة الفنية تنقص الجزائر واذا استلمها الجزائريون فسيسيئون استغلالها وتسييرها وبذلك تضيع الفائدة المرجوة منها وتنضب مواردها ، ولا تكاد تسد نفقاتها ، كما حصل في بلاد كثيرة حصلت لها مثل هذه التجربة ، هذا ما يردده المغرضون وتشيعه صحافة اعداء الثورة والحقيقة ان الجزائر استطاعت ان تحصل على الخبرة الفنية من ابنائها وممن حصلت عليهم من الامم الصديقة والحيادية ، عن طريق الاستخدام والاتفاق مع الفني والخبير من اصحاب المهارات كالمهندسين ، والميكانيكيين ، والمدربين الخ٠٠

المرأة الجزائرية

من الانطباعات التى كان لها عمق في ذهني ، ولم يمح اثرها من خاطري ، وما زالت ذكرياتها تتراءى في ناظري ، المرأة الجزائرية وهي بزيها الوطني الجميل الابيض كأنها طير البحر رأيناها في عنابة ، وفي الجزائر ، وفي البليدة ، في الشارع ، في السوق وفي المسجد فلم نر الا حشمة ووقارا يليقان بالمرأة الجزائرية

العربية ، ما اجملها في ازارها الابيض الحريري الذي يلفها من كعبها حتى قمة راسها بثيابها ونقابها ولم يبرز منها غير وجهها وكفها ، وقلما رأينا واحدة متسكعة في الشوارع أو الاسواق من غير ضرورة ولا تجد واحدة تجلس في مقهى أو منتزه ، ولا تخرج الواحدة منهن الا لانجاز عمل يتطلبه البيت او الاسرة ، وقلما تخرج مفردة والغالب انها تخرج مع رفيقة لها او اكثر ، فاذا مرت ، فالجد والقصد في مشيتها وهي كما قال شاعرنا: مر السحابة لاريث ولاعجل، لاتوقف على واجهات المخازن ولا تطلع للمارة ، الحشمة بادية عليها اذا عاملت والاعتزاز بانوثتها اذا تحدثت ، يدخلن المساجد في اوقات الصلاة بجناح خاص ويحضرن المحاضرات بمنعزل عن الرجال ، ربات اسرة وامهات ولد ، فاذا قضين اعمالهن المنزلية فهن يتزاورن مع الاقارب والجارات ، لم يزاحمن الرجال في الوظائف العامة ويعملن في المخازن كبائعات وعارضات ، والمتعلمات منهن نسبتهن ضئيلة الى مجموع المتعلمين من الذكور ، ولكنهن يتطلعن الى نهضة شاملة لبنات جنسهن في عهد الاستقلال وقد اسهمن في تاسيسه وكان لهن في الثورة دور مشرف تطوعن في صفوف المجاهدين ، وحملن السلاح يدافعن عن الوطن كما فعل الشبان ، فكان منهن الطبيبات والممرضات ، وعلى جهدهن يقوم تزويد الثوار بانباء تحركات العدو ، وايصال المعلومات والمعونات ، وكثيرا ما خاطرن في الليالي الحالكات يحملن اوامر جبهة التحرير من مركز الى آخر ، وما قصة جميلة بوحيرد الا واحدة من قصص اخواتها فتيات الجزائر ، اللائي رحن ضحية الغدر والتشريد والسجون ، وهن اليوم في معركة البناء يساعدن الرجل في ادارة البيت وتربية الاطفال وفي التعليم مطيعات لازواجهن محبات محبوبات بعيدات عن التبذل والتبرج .

لقد خلق اشتراك المرأة الجزائرية في كفاح التحرر ظروفا مواتية لتحطيم القيد الذي يثقل كاهلها ، ولاشراكها بصورة كاملة في ادارة الشؤون العامة وفي تطوير البلاد وعلى الحزب مسؤولية ازالة كل ما يعوق تطور المرأة ، واظهار شخصيتها وان يساند منظماتها ، فما زالت هناك في الجزائر عقليات سلبية ترى فيما تراه ان تبقى المرأة بعيدة عن المعترك الاجتماعي وتقف عند ادارة البيت وطرق التعليم وما زالت هناك فكرة تسود آخرين انها دون

الرجل عقلية وقدرة لتحمل الاعباء ، ولا يستطيع الحزب ان يحقق للمرأة تقدما ما لم يقض على الرجعية ولا يلتفت لانتقاداتها ، ونحن لا نريد للمرأة الجزائرية الا تقدما يشركها في مسؤوليات الجزائر ان تتعلم وتنظم نفسها وتأخذ حريتها ضمن مفاهيم مجتمعنا وديننا.

الزراعة في الجزائر

الارض الصالحة للزراعة في هذا القطر الواسع تناهز العشرين مليون هكتار وزراعة الحبوب وحدها تبلغ زهاء الثلاثة ملايين ، وتربتها حمراء كالحناء خصبة ، وتعتبر الكروم وما يصدر منها كعصير اهم عناصر الانتاج ، وانتاج الفواكه له دور هام في اقتصاد البلاد ويمثل النبيذ حوالى نصف الصادرات الزراعية وتعتبر الجزائر مصدرا هاما لتصدير الزيتون من حيث تصديره وما يكسب من عائداته ، فيها حوالى ستة ملايين نخلة تنتج تمورا متنوعة وجيدة وكثر في وادى الساورة ووادى زيان ويصدر منه ما يقرب من ٣٠٪ وفيها الفواكه على اختلافها كالموز والتين والكمثرى والبرتقال والليمون والتفاح والاعناب المعدة للاكل واجودها المسكي ، اما الاعناب التى يعمل منها الشراب فلا تباع في الاسواق ولا تؤكل كفاكهة وانما هي خاصة بالنبيذ والخضر والبقول تمثل مساحات كبيرة من ارض الساحل وادخلت زراعة القطن حديثا فنجحت زراعته واعطى نتاجا وافرا عمت زراعته في عمالة عنابة وفيها الغابات المكتضة وتقدر بحوالى ٣٫٥ مليون هكتار وتنمو في سهولها اشجار السنديان والصنوبر وفي القمم العالية ينمو شجر الارز المعمر وتغطي غابات الفلين مساحات واسعة من ارض الجزائر واشجار الزينة والظلال تغطي أرض الجزائر فحيثما سرت لا تقع عيناك الا على مزارع مزدهرة وأشجار مثمرة وارياضها ومتنزهاتها تغمرها الزهور وأشجار الزينة فهي ربيع دائم ومن ير الجزائر وير جبالها وسهولها وما تزدان به من خضرة تشمل كل رباعها لا يرى جبال لبنان بالمقارنة معها الا صحراء جرداء.

والحكومة تهتم اليوم اهتماما بالغا في تطوير الزراعة والاكثار من المعدات الحديثة ليتطور الانتاج وليتغلب الزراع على بقاء أراض واسعة دون التمكن من الاستفادة منها ولذلك تعددت الحملات ذات النفع العام لتعبئة كافة الطاقات لاستخدام اوسع قدر من المساحات

الصالحة للزراعة وتعدد حملات البذر والحرث وأكثر من استخدام المعدات الحديثة في ميدان الحرث والحصاد وتكونت الاطارات لدعم وتطوير مجهود الانتاج وزودت الحقول بالمختصين والمشرفين الزراعين الفنيين ، واقيمت مراكز تضم المختصين في ميدان التسيير وصيانة الغابات وتزويد المناطق الزراعية بالمرشدين وبالعمال الفنيين ، وقامت المدارس والمعاهد الزراعية لتخريج الزراعيين والمهندسين في الاطارات الزراعية ٠

وتبذل الحكومة عنايتها في سد النقص الحاصل في تربية الماشية والثروة الحياتية بسبب الحرب الاخيرة وبسبب ما أتلفه السفاكون من جنود المقاومة السرية فنقصت اعداد الحيوانات والاغنام بصورة خاصة والحكومة جادة في تكثيرها نظرا لحاجة البلاد الى لحومها وصوفها ولبنها ولانها تكون ثروة مهمة للبلاد ، والمراعي كثيرة وتمتد الى مساحات شاسعة تكفي ان يعيش عليها عشرات الملايين من أنواع الماشية وتكون مصدرا مهما لثروة الجزائر ، كما كان شأنها قبل الحرب العالمية الثانية ، وامطارها كثيرة « فان لم يصبها وابل فطل » ٠

المعادن

وفي الجزائر ثروة معدنية ضخمة وفيها مناجم كثيرة تهتم الحكومة باجراء البحوث فيها وتعمل للاستفادة من هذه الثروة المطمورة ٠٠ يعمل من هذه المناجم ثلاثون منجما فقط قررت الحكومة في مايس سنة ١٩٦٦ تاميمها وكان السبب في تاميمها تلاعب الشركات الاجنبية التي تستنزف مدخراتها دون اي اهتمام لمصالح البلد وقد تكررت سرقاتها مما حمل الحكومة على تاميمها حفظا لهذه الثروة الوطنية ٠

وتعد الجزائر خامس قطر عربي في انتاج النفط بعد السعودية والكويت وليبيا والعراق ويقدر انتاجها السنوي ب ٣٢ مليون طن يستهلك الجزائريون منه ٣٪ ويصدر الباقي الى فرنسا وتمتد الانابيب من فم البئر الى الساحل والمسافة لا تزيد على ٨٠٠ كيلو ، وتمتلك الجزائر مصفاة تكرير ضخمة وهي اولى مصفاة اقيمت في الشمال الافريقي بل واقدمها في كل افريقيا كما تعتبر الجزائر من كبريات الدول المنتجة للغاز في العالم ويقدر احتياطه بنحو ٢٠٠

بليون متر مكعب وتنتج منه الجزائر حوالي ٤ ملايين طن فقط تصدره الى فرنسا وانكلترا واسبانيا .

المعادن المستخرجة

في مقدمة المعادن التي عملت الجزائر المستقلة على الاستفـادة منها واضافتها الى ثروة البلاد الصلب والحديد ، ففيها اليـوم ٢٢ منجما عاملا موزعة في انحاء الجزائر اهمها منجـم « الونـزة » و « بو خضرة » و « زكار » و « الونشريس » و « بني صـاف » و (حنفة) كما يستخرج الفوسفات من جبل العنـق ، والرصـاص والزنك والنحاس من الونشريس وعين بربر وسيدى قنبر والعابد ، ومنجم حديد الانابيب في (تمراست) ثم منجم الرخام في « بوحنيفة» وجبل فلفلا ، والفحم في « بشار والقنادسة » والحكومة تعمل اليوم لفتح عشرة مناجم جديدة للنحاس والرصاص والزنك والزئبـق في مختلف انحاء القطر .

وفي الجزائر اليوم صناعات تقوم على تجديد وتوسيع المصانع القديمة التي كانت على عهد الفرنسيين واهملوها ، ومن الصناعات المجددة صناعة الانابيب ، والقرميد ، والاسمنت ومعمل الصـلب والفولاذ في عناية ، كما استحدثت معامل النسيج في باتنه وذراع بن خدة وقسنطينة ، ومعمل الجلود في الرويبة قرب العاصمة ومعامـل الاحذية في سطيف وتبه ، وبلعباس ، ومصانع لعصير الفواكه وللمياه المعدنية منها مصنع الاصنام وسعيدة وهناك مشاريع يجرى العمـل على انجازها منها مصانع الاقمشة في « عزابة » و « الخروب » ومعمل السكر في تندوف وتصنع التمور في « درفلة » والى جانب هذه المصانع يوجد مصنع سيارات الشحن « بيرلي » الذي كانت تملكه شركة فرنسية فأصبح اليوم مشتركا تملك الجزائر منـه ٤٠٪ وكذلك مصنع السيارات الصغيرة « رونو » هذا عدا المصانع المعدة لتزويـد الجيش بالاسلحة الخفيفة والعتاة .

استقلالها الاقتصادي

الاقتصاد الجزائري لا يتقيد بدولة دون أخرى وليس لفرنسا كما يتوهم البعض اية سيطرة على اقتصاديات الدولة فكما هى في الاتجاه

السياسي غير منحازة لطرف من الاطراف المتنازعة فهى باقتصادها اعلنت فعليا عدم انحيازها الذي تعبر عنه التزاماتها مع جمع الدول، تعاون ودي مع جميع الشعوب على اساس الاحترام المتبادل للاستقلال الوطني وحرمة التراب الجزائري وكذلك عملت على دعم اقتصادها القائم على الاحترام المتبادل والمنافع المتقابلة مع سائر الدول فقد نوعت من مصادر استيرادها وتصديرها وعقدت أكثر من أربعين اتفاقية اقتصادية وتجارية وثقافية وفنية مع مختلف البلدان مؤكدة رغبتها في محو رواسب الاستعمار التي كانت تجعل من الدولة المستعمرة العميل والمورد الوحيد للبلاد ٠

وعملت الجزائر بعد الاستقلال مباشرة على استثمار ثروتها الطبيعية فشرعت باستثمارها ونظمت اجهزتها الاقتصادية واخذت في تصنيع البلاد تدريجيا ملاحظة في نفس الوقت ضمان التطور الطبيعي بالزراعة ، وتكاد الجزائر بالنظر الى ما فيها من خيرات زراعية ومعادن ثمينة ومعامل تستغل هذه الخيرات تعلن سياسة الاكتفاء الذاتي ، ففيها معامل للنسيج وللجلود والاحذية ، وللغاز والبترول ، والصلب والحديد والسيارات والطرق المعبدة والسكك الحديد التي تربطها بالمغرب وتونس وليبيا ومعمل للسكر ومصنع لسيارات الشحن ، ومصانع لعصير الفواكه ، وحاصلات زراعية تفيض عن الحاجة كل ذلك يجعل اقتصاد الجزائر سليما ورصينا ومكتفيا وقد اعلن الرئيس بومدين ان الجزائر قد اصبحت منذ مطلع سنة ١٩٦٧ غير مدينة لاية دولة بما فيها فرنسا فقد سددت ديونها ودفعت جميع المبالغ التي يستحقها الكولون من جراء تأميم املاكهم ، وعليه فان وضعها الاقتصادي يدعم استقلالها السياسى ويجعله بمنأى من اطماع الطامعين ولاسيما اذا التزم القائمون بأمر الحكم بالصبر والجلد والتزموا بالنظام والانضباط وجنبوا البلاد الهزات السياسية وتمسكوا بالقيم الاسلامية التي امدت الجزائريين بالقوة والتضحية في حرب الاستقلال وانتصروا في معركة التحرير ولا شك عندي ان الجزائريين بنشاطهم وايمانهم وتماسكهم بوحدتهم سينتصرون بمعركة البناء وسيحققون اماني الامة العربية فيهم ٠

تقسيمات الجزائر الادارية
الموقع والمساحة والسكان

تقع الجزائر في قلب المغرب العربي بين خطي عرض ٢١ر٣٧ شمالا . ويحدها من الغرب المغرب الاقصى وموريطانيا ، ومن الشرق تونس وليبيا ، ومن الجنوب مالي والنيجر ، ومن الشمال البحر الابيض المتوسط ، وتبلغ مساحة امتدادها على سواحله حوالى ١٢٠٠ ك م . وتبلغ مساحة الجمهورية الجزائرية ٠٠٠ر٢٥٠ر٢ « مليونين ومئتين وخمسين ألف متر مربع » فهي أكبر الاقطار العربية المغربية مساحة ، وبلغ عدد سكانها وفق احصاء ١٩٦٦ : ٩٩٤ر١٠١ر١٢ نسمة مقسمة وفق عمالاتها كما يلي : العاصمة الجزائر : ١٦٨ر٦٤٨ر١ وعمالة سطيف : ٩٢٧ر٢٣٧ر١ وعمالة عنابة : ٩٤٩٩٨٩ ، الاوراس : ٧٦٥٠٥٢ ، عمالة قسنطينة : ١ر٥١٣٠٦٨ ، وعمالة الاصنام : ٧٨٩ر٥٨٣ ، وعمالة المعرية : ١٦٣ر٨٧٠ ، وعمالة مستغانم : ٧٧٨ر٨٦٣ وعمالة الواحات : ٥٠٥٥٥٣ ، وعمالة وهران : ٩٥٨ر٣٦٦ ، وعمالة سعيدة:٢٣٦ر٩٥٩ وعمالة السادزة : ٢١١ر٤٧٤ ، وعمالة تيارت : ٣٦١ر٩٦٢ ، وعمالة تيزدوزو : ٨٣٠ر٧٥٨ ، وعمالة تلمسان ٤٤٤ر١١٨ .

وتقسم الجزائر الى اقليمين هما اقليم الجنوب واقليم الشمال ومع ذلك فطبيعة الجزائر تمتاز بانها تضم عددا من الوحدات الطبيعية ممثلة في كثير من الكتل الجبلية والاشرطة الساحلية التي تتسع حينا وتضيق حينا آخر وتمتاز بالاودية النهرية القصيرة والمتوسطة الطول والهضاب العالية او القليلة الارتفاع على ان المظهر العام لهذه الوحدات متشابه لا تنافر فيه ويمكن تقسيمها الى خمسة اقاليم تضاريسية هي :

١ ـ السهل الساحلي ويختلف اتساعه تبعا لاقتراب جبال الاطلس الساحلية من البحر او ابتعادها عنه ، والمناخ في هذه الاقاليم معتدل بوجه عام فمتوسط الحرارة في كانون الثاني في كل من الجزائر ووهران ١٢د ـ١٤د مئوية وفي تموز ٢٢د ـ٢٣د مئوية والامطار في هذه الاقاليم تهطل وفيرة تبلغ كميتها ٥٤٠ ملم ، اما الحياة النباتية فيها فتنتمي الى طراز حوض البحر الابيض المتوسط ، حيث تكثر الفواكه وتنمو زراعتها باختلاف أنواعها وكذلك يزرع فيها الزيتون وفيها نحو عشرة ملايين شجرة وتزرع الحبوب بأنواعها

ويزرع فيها التمر وفيها زهاء ستة ملايين نخلة تحمل أنواعا جيدة من التمر وربما كان تمر الجزائر في المرتبة الثانية بعد تمر العراق جودة وحلاوة ، والاعناب تنمو بهذا السهل الخصب ويعمل منه أحسن الانبذة ٠

٣ ــ سلاسل النجود الداخلية : وهي النجود التي تفصل هضاب الظهرة والقبائل الكبرى والصغرى ، ويهطل عليها القدر الكافي من الامطار وخصوصا في منتصف العام الشتوي ، وترجع وفرة الامطار الى سببين هما : الارتفاع ، ومواجهة هذه السلاسل للبحر ، ولقد ساعدت وفرة المياه وخصوبة التربة على الاستغلال الزراعي الجيد ، وما زالت بعض المناطق منها تغطيها الغابات التي يكثر فيها الفلين رغم احراق الفرنسيين مساحات واسعة منها أثناء حرب التحرير ٠

٣ ــ سلاسل النجود الداخلية : وهي النجود التي تفصل بين الاطلسين الساحلي والصحراوي ، وتمتد من الحدود التونسية حتى غربي الجزائر العاصمة ، وتتركب من تربة رسوبية تخترقها انهار واودية عديدة تختلف سعة وضيقا ، والمناخ فيها معتدل بصفة عامة ، وان يكن متوسط الحرارة في الشتاء اقل منه في الساحل ويتراوح متوسط الحرارة في كانون الثاني في تلمسان بين ٧٪ د مئوية و١٠ مئوية وفي الداية ٣ و٦٪ ومتوسطة سقوط المطر معتدل بصورة عامة ويختلف باختلاف المواقع والتضاريس ، فهو في باتنة حوالى ٤٠٠ مم وفي سطيف ٥٤٠ مم وفي بعض المناطق يبلغ ٥٧٠ مم ٠

٤ ــ اقليم اطلس الداخل او الصحراوي : ويشمل الجزء الاكبر من مساحة الجزائر وهو يتالف من سلاسل اطلس الصحراوية ومن امتداد الصحراء وهذا الاقليم اكثر جهات الجزائر جفافا وتشتد حرارة الصيف فيه حتى تبلغ ٤٥ د مئوية وتهبط الى ما دون الصفر شتاءاً ، ولا يسقط في هذا الاقليم الا القليل من المطر ، لان الرياح التي تهب من الشمال لا تصله الا وهي جافة فتكون قد افرغت معظم ما تحمل من الرطوبة ٠

٥ ــ مناطق الواحات : تبرز هذه الواحات في مناطق معينة ومناخها صحراوي ونصيبها من المطر قليل والحياة فيها تعتمد على النخيل والمراعي ، ومتوسط المطر في الواحات بين مائة ملم الى ١٥٠ ملم ٠

اعلام الجهاد

ثلاثة رجال اعلام بارزون في تاريخ الجزائر حملوا علم النضال وتوالوا على حمل راية الجهاد وتعاقبوا على زعامة الشعب الجزائري فأدوا لقومهم وأمتهم ووطنهم أوفى ما يكون الوفاء وأصدق ما يكون النصح والواجب نحو دينهم وعروبتهم ، وتاريخهم موصول بتاريخ الجزائر لا يقف تأثيرهم على امسهم ولا ينقطع عند غدهم ، وستبقى الشعلة التي اوقدوها تمد الجزائريين بالحرارة والقوة وستبقى مبادوءهم السامية تنير الدرب ودعوتهم الخيرة تضيء لابنائهم سبل الاصلاح وتهديهم الى الحكم الصالح ، لذلك كان لزاما على وأنا اكتب هذه الانطباعات والدراسات عن القطر المجاهد البطل ان أتوجها بموجزات من سيرهم الغراء واخبارهم المضيئة ـ سيرة الامير عبد القادر الحسينى الجزائرى وسيرة الامامين الشيخين : عبدالحميد بن باديس والبشير الابراهيمي لما في تقديمها لنشئنا ولابناء أمتنا من قدوة حسنة ففي تقديم المبادىء الخيرة مجسدة في رجالها وابنائها درس واثارة لمن يلقى السمع وهو شهيد ٠

الامير المجاهد
عبد القادر الجزائري

من يقرأ سيرة الامير عبدالقادر الحسني الجزائري ويرافقه في نشأته ودراسته واسرته ويعرف منزلة هذه الاسرة في ربوع الجزائر والمكانة التي يتمتع بها والده الشيخ محي الدين بن المصطفى الحسني والزعامة الدينية والحسبية التي تقلدتها هذه الاسرة لا يستغرب مايتمتع به الامير من المزايا المتعددة التي اجتمعت له فهو فقيه محدث ألم بتعاليم الاسلام وتشرب هدى القرآن ، وهو أديب خطيب شاعر والعلم والشعر في اسرته موروثان يلقاهما صبيانها على كبارها ، وهو عالم بالتاريخ والاجتماع يعرف أدوار الشعوب ولاسيما القبائل من الاعراب والبربر وهو على اطلاع واسع بخلافاتهم وأطماعهم وهو الى جانب ثقافته الدينية والادبية والانسانية فارس شجاع لا شبيه

له في التسديد والرماية ولا ند له في استخدام السيف ، مهاب الجانب جميل الطلعة سديد الرأي محبوب ذو مروءة وخلق سمح ويد طلقة ، فلما نفي حسين باشا حاكم الجزائر وانحلت الحكومة الجزائرية من ربوعها واستولى الافرنسيون على مدينة الجزائر ووهران وراحوا يتحفزون الى الاستيلاء على العمالات الاخرى ولم يلقوا مقاومة تذكر وصار الناس في هرج ومرج لا ناهي عن منكر ولا راد لبغي الشطار وقطاع الطرق ، قام رؤساء القبائل وزعماء الارباض والمدن يتفاوضون فيما بينهم وتشاوروا فيمن يختارون للامامة والامارة يبايعون على الكتاب والسنة يسمعون لامره ونهيه ويحمونه مما يحمون منه أنفسهم واهليهم ، فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل الا (ذا النسب الطاهر والكمال الباهر رأس الملة والدين قامع أعداء الله الكافرين أبا المكارم السيد عبدالقادر بن مولانا السيد محي الدين أيد الله به الاسلام والمسلمين ، وأحيا به ما اندرس من معالم الدين فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم »[1] وقدمت الوفود من سائر أنحاء القطر الجزائري فبايعه رؤساؤهم ومرؤوسوهم وكبيرهم وصغيرهم بيعة كاملة تامة بيعة سمع وطاعة بيعة يعز الله بها الاسلام يمنعون عنه السوء بما يمنعون به أنفسهم وأولادهم وأموالهم يطيعونه ما ساسهم بالشريعة الغراء وينصرونه في سلمه وحربه ويذودون عن الاوطان تحت قيادته فمن وفى ببيعته نال الرضا من الله والامن والدعة في ظل عدالة الاسلام ومن نكث فانما ينكث على نفسه وخسر في يومه وأمسه .

قدمت الوفود الى السيد الجليل محي الدين عميد الاسرة الحسنية ورئيس الدوحه الهاشميه والزموه أن ينهض هو ونجله للذود عن البلاد فقد كثر فيها الفساد وتولى بين الناس الكرب والنكد وتسلط العدو على بلادهم ولما كان الشيخ لا يقوى على تحمل هذه الاعباء لعاو سنه لم ير بدا من قبول البيعة لابنه الذي قد بلغ أشده وارهف حده واستكملت فيه شروطها من الهدى وعلو

---

(١) من خطبة البيعة القاها في الوفود العلامة (ابن حوا المجاهري انظر صفحة ١٦٣ ـ ١٦٤ من كتاب تحفة الزائر .



الامير عبدالقادر الجزائري
الذى قاد الثــورة من ١٨٣٢ ـ ١٨٤٨

الهمة وقوة الحواس والفتوة والعلم والحلم وكمال الخلق وشرف النسب فندب نفسه لاعبائها ـ وقال أنا لها ـ فذهبت البشائر الى سائر مدن الجزائر وجاءته الوفود معلنة الرضا والقبول وبايعته على الطاعة والذب عن الاوطان ، وكان يوم اعلان تنصيبه يوما مشهودا في مدينة (معسكر) وحين حضرت صلاة الظهر صلى الناس وخطبهم خطبة مبتكرة أعلن فيها سياسته الداخلية واعلانه للجهاد الذي هو فرض على المسلم القادر للذود عن أرض الجزائر وحرية أهلها • وكتب العالم الكبير ابن آمنة صك البيعة ، قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده ، الحمد لله الذي جعل نصب الامام من مهمات الدين لتصان به النفوس والاموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين واله وأصحابه أجمعين •

وبعد فقد قال (صلى الله عليه وسلم) ان الله يحمي بالسلطان، ما لا يحمي بالقرآن[١] • هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل ونضب فيه الجهل فما بالك بزماننا الذي كثر فيه الباطل وانتشر ، وخفي فيه الحق ولم يظهر له أثر ، حتى ان اعداء الله الكافرين ملكوا كثيرا من بلاد الاسلام وتشتت الكلمة واختل النظام ولم يجد الناس لقتالهم سبيلا ولا من يكون للجهاد دليلا ، فلجأوا الى الله تعالى ، وسألوه ان ييسر لهم من يقوم بأمر دينهم فما وجدوا من تتفق عليه كلمة أهل الحل والعقد سوى السيد محي الدين بن مصطفى المختار لكماله وكثرة ما عنده من الاعوان والانصار ، فاعتذر واخيرا وافق على نصبه ونصرته لكونه : ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة ، صالحا لتنفيذ الاحكام فاجتمع أهل الحل والعقد وبايعوه فحضر للبيعة : جميع اهل « غريس الحشم » شرقي وغربي وعباسي وخالدي وابراهيمي وحساني وعوفي وجعفري وبرجي وشقراني وغيرهم •• وكبني السيد « دحو » وبني السيد « احمد بن علي » و « الزلامطه » و «مفراره» و « خلوبه » و « المشارف » وكافة اهل « وادى الحمام » وجماهير مدينة « معسكر » رؤساؤها وعلماؤها ، وحضر من العلماء الاعلام والاشراف خلق كثير ، وكانت البيعة قد تمت في الثالث من رجب

(٢) نص الحديث ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن •

الفرد سنة ثمان وأربعين ومائتين والف « ١٢٤٨ » وتصادف السابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ وسن الامير ٢٤ سنة وقام عمه السيد العالم الشاعر علي ابي طالب فالقى كلمة بالمناسبة قال : بعد الحمد لله والصلاة على نبيه بعد انعقاد البيعة للامام المعظم والامير الجليل المفخم ان اخينا السيد عبد القادر بن محي الدين أحيا الله بهما الدين واعانهما على القيام بامور أهله ، ودمر بهما الكفرة اولي العناد وأهلك بسطوتهما اهل البغي والفساد بايعناه على السمع والطاعة وامتثال الامر ولو في ولد الواحد منا أو نفسه وقدمنا نفسه على انفسنا وحقه على حقوقنا ، واني اوصيه بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية والوقوف عند الحدود الشرعيه ورد مسائل الشرع اليه وبتشميره عن ساعد الجد في قطع شافة شياطين الانس كالمحاربين وقطاع السبل وأهل الغيلة والسرقة وغيرهم اللهم أيده وانصره نصرا تعز به الدين والق التقوى في قلبه وقوة اليقين واحي به ما دثر من أحكام الخلفاء الراشدين واتمم لنا المقصود بما ينقطع به قلب الجحود آمين » .

أثر الدين :

مما قدمته من تفصيل عما لامس بيعة الامير عبد القادر الجزائري نلمح الروح الدينية التي كانت تسيطر على التحركات التحررية في الجزائر ولها اتصال بما هو كائن اليوم في الاقطار الاسلامية شرقها وغربها خلال القرن التاسع عشر وأثناء الحملات المسعورة التي قام بها الغرب على المسلمين وزحفت أساطيله لاحتلال أوطانهم فقامت تحركات فكرية مستمدة قوتها من تعاليم الاسلام اندفعت تناهض الاستعمار الغربي وتدعو الى الانعتاق من الجمود والتخلف ، وترمي الى التجديد والاصلاح الديني ، والتهيؤ لمناهضة قوى الشر التي هبت من الغرب ، ففي الجزيرة العربية والمغرب وليبيا وفي مصر والقفقاس والسودان هبت ثورات اسلامية كانت تستهدف التحرر من الجمود الفكري والديني وتطالب بالاصلاح والعودة الى السنة والقرآن ، تتجمع تحت زعامة دينية تهدف الى التحرر من الاستعمار ، وتسعى لبناء مجتمع اسلامي مستنير ، لا يخضع لنفوذ أجنبي ، ولا يجمد على التقليد والحشوية ، واذا أمعنا النظر وجدنا هذه الثورات التحررية في القرن التاسع عشر

كلها تستمد قوتها وهديها من تعاليم الاسلام ، وان الحافز لها عوامل دينية وقومية وانتفع منها العاملون في الحقل القومي والوطني ، والدين الاسلامي بالوقت الذي يربي اتباعه على العقيدة الدينية يغرس في نفوسهم حب أوطانهم وحب الحرية ، وكان العلماء ورجال الدين الاحرار هم دعاة المقاومة وأبطال النضال بل كانوا في أغلب الاحوال على رأس الثورات التي قامت منذ أوائل القرن التاسع عشر • فهذا الامير عبدالقادر الجزائري والمهدي ، والتعايشي ، ومحمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن عبد الوهاب والشيخ شامل ، ومن بعدهم جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده والشيخ عبد الرحمن الكواكبي واقبال ومحمد علي جناح ، كل هؤلاء زعماء حركة اصلاحية تحررية استمدت اهدافها من الاسلام ، بعضها كتب لها النجاح وبعضها أصابها الضعف وخفتت جذوتها ولكن الى حين اذ ان مبادىء الدعاة الاحرار ظلت تسري شعلتها في النفوس المؤمنة تعمل عملها في تهيئة الجماهير حتى اذا استكملت اسبابها وحصلت الدوافع المثيرة انبعثت تتسعر شعلتها فتحرك النار من جديد وتبعث ما كان كامنا منها كما حصل في الجزائر وفي الاقطار العربية ضد الاستعمار ، وكم يخطيء اولئك الزعماء القوميون الذين يعتمدون على القومية وحدها فانهم لا يلبثون طويلا حتى يجدوا انفسهم في عزلة عن الجماهير من أبناء شعوبهم كثيرا ما تعرضهم للتآمرات والانقلابات لابتعادهم عن الاسلام الذي سيبقى ردءا قويا للعروبة يمدها بمبادئه واتباعه وهم يربون على ستمائة مليون •

نهاية حروب الامير عبدالقادر :

علمنا فيما قدمناه في الفصول السابقة ان الامير بعد تلك الحروب الشعواء التي خاضها مع الفرنسيين وانتصاراته الباهرة في مواقع متعددة اضطر أخيرا وبعد سبعة عشر عاما أن يترك مراكش ويلتحق بارض الجزائر نزولا عند ارادة سلطانها الذي عقد اتفاقا مع الفرنسيين على اخراج الامير وعدم تقديم العون له بل ومطاردته • واشد ما ارمض قلب الامير وأوجع نفسه أن يطعن من الخلف ويقاتل ممن كانوا له عونا من المراكشيين بامر من سلطانها

فدافعهم وما زال يوالي الكر عليهم الى ان جازت الاثقال والحريم والاولاد وادي « عجرود » وهو يتمثل بقول الشاعر :

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

واستمر الامير سائرا بأهله وخاصته مانعا لحوزته دافعا الذل بعزته الى ان بلغ جبل بني خالد وبهذا انتهت خاتمة المحن ولسانه يردد :

هذا الذي سبق القضاء به   والدهر في الانسان ذو دول
ما قر في أيدي قوابله   حتى اذيق(١) الصاب في العسل

وبلغ به الياس حده حين رأى بني خالد واقواما آخرين غيرهم يتراجعون عن نصرته بل وكانوا يأتمرون به فجمع أعوانه وخاصته من اهله فشاورهم وقال لهم « يا قوم ان الاحوال كما ترون والاخبار على ما تسمعون فما الراي وما الحيلة ؟

فقالوا الراي لسيدنا فالذي يراه نحن معه فيه ، فقال :

لا أرى الا التسليم لقضاء الله تعالى والرضا به ولقد اجهدت نفسي في الذب عن الدين والبلاد ، وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر والباد ، وذلك من حين اهتز غصن شبابي وافتر عن شباة الهند نابي . وأقمت على ذلك ما ينيف على سبع عشرة سنة اقتحم المهالك واملأ بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك استحقر العدو على كثرته . واستسهل استعصابه واتوغل غير خائف أوديته وشعابه وارتب له في طريقه الرصائد وانصب له المكائد والمصائد تارة انقض عليه انقضاض الجارح وأخرى انصب عليه انصباب الطير الى المسارح وكثيرا ما كنت ابيته فأفنيه واصبحه فأبرد غليلي منه واشفيه ولا زلت في أيامي كلها ارى المنية ولا الدنية واشمر عن أقوى ساعد وبنان واقضي حق الجهاد بالمهند والسنان الى أن فقدت المعاضد والمساعد وفني الطارف من أموالي والتالد ، ودبت الي من بني ديني الافاعي واشتملت علي منهم المساعي والان بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين فسبحان من لا يكيده كائد ولا يبيد ملكه ، وكل شيء بائد .

---

(٢) الصواب أذيف لا أذيق .

ان يسلب القوم العدى ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب ، بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
أجلي تأخر لم يكن بهواه ذلي والخضوع
ما سرت ـ قط ـ الى القتال وكان من أملي الرجوع
شيم الاولى أنا منهم والاصل ، تتبعه الفروع

ثم أخذ اتباعه يتداولون الرأي بينهم فقر القرار بالتسليم وان يكون التسليم الى الفرنسيين فبعث رسولا في ذلك الى الجنرال « لاموزسيير » القائد العام فقابل رسوله الجنرال وابلغه رغبة الامير شفويا فاهتز للنبأ سرورا وبعث الى الامير سيفه مع ورقة ختمها بختمه على بياض ليشترط الامير ما يرضى به من الشروط له ولاصحابه ، وكتب الى الملك مبشرا بذلك وقال في رسالته اليه : « انني بهذه الدقيقة ، ممتطيا جوادي للذهاب لدائرة عبد القادر ولا يوجد عندي فرصة لابعث اليكم بنسخة التحرير الذي اخذته منه أو جوابي له ويكفيني ان اقرر بأنني قد اتفقت معه بانه هو وعائلته يذهبان الى عكا أو الاسكندرية وهذان المحلان هو الذى عينهما في شروطه وصادقت عليهما واني ملتزم بان أقوم بما اشترطه وقد عملت ذلك بكمال الاعتقاد من ان جلالتكم والحكومة تصادقون عليه ما دام عبد القادر اعتمد على قولي وخطي وبعث البريد الى الدوق (دومال) ابن الملك حاكم الجزائر فارتاح لذلك وركب بارجة وجاء الى مرسي « جامع الغزوات » وعند وصوله اليها بعث الى الجنرال يخبره انه قد وافقه على قبول ما اشترطه الامير وأمره ان يزيده في ذلك تأكيدا ويعطيه ميثاقا غليظا يطمئن به قلبه ، ولم يسترسل الامير لليأس ولم يستعجل الامور واظهر غاية التبصر والتربص وترددت الرسل بينه وبين الجنرال في ربط الميثاق وأحكام وثيقة التسليم ودام التراسل بينهما ثلاثة أيام وتم الامر على شروط منها :

أن يحملوه مع جميع عائلته الى عكا والاسكندرية
أن لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر
وان الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه وماله .

ثم توجه بأهله وخاصته الى المرسى حيث وجد في استقباله الكولونيل « مونتبان » في خمسمائة فارس بانتظاره في مقام المرابط سيدى ابراهيم وهو الموضع الذى كان الامير قد انتصر فيه على الفرنسيين قبل عامين وأوقع بهم هزيمة منكرة ، فنزل الامير وصلى في المقام ركعات ثم سار ووراءه الموكب بكل احترام ولما قرب من المرسى استقبله حاكم الجزائر وفي معيته الجنرال (لامورسيير) وغيره من القواد وقابلوه بالتكريم والاحترام ٠

وبعد أن استقر بهم المجلس قال الامير لابن الملك حاكم الجزائر : هذه الساعة التي قدر الله تعالى ان يكون فيها ما نحن فيه الان وقد اخذت على الجنرال لامورسيير عهدا وميثاقا فلا اخشى ان ينقضه ابن ملك فرنسا وعظيمها فأجابه الدوق بما يوافق قول الجنرال ويثبت عهده فقام الامير وقدم له سيفه وقال له :

« اني احسب هذا شرفا قدم لفرنسا وفخرا عظيما حصل لها »

وفي اليوم الثاني توجه الدوق نحو الجيش الفرنسي المقبل من مخيماته الى المرسى ليقوموا بالسلام وتوديع الامير بصفة عسكرية فلما عاد تلقاه الامير على جواده الادهم وبعد أن نزل عنه اهداه الى الدوق مع بندقيته وساعته فقبلها شاكرا وعاد الدوق فأكد للامير العهد وزاده وثوقا وأهدى للامير بندقيته وساعته ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى الشرق فسمى له أهله وأولاده وخليفته مصطفى بن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من اتباعه وأنصاره في مائتي شخص ٠

رأي احد قادة فرنسا ممن اشترك في الحرب ضد الامير ٠

قـــال :

« انه مما يوجب الحيرة ويستحق التعجب ان جيش الامير كاد في أعلى تقدير ان يصل الى الفي فارس وعشرة الاف من المشاة وقد قاوم به جيشا عظيما من جيوش أكبر دولة من دول اوربا ، يبلغ عدده : مائة ألف من المشاة وستة الاف من الفرسان مدة ست عشرة سنة !! واعجب من ذلك انهم كانوا يدخلون في معسكرنا ويقاتلوننا من ورائنا ومن ميمنتنا وميسرتنا ويهربون في الوقت الذي نتصور فيه القبض عليهم باليد ، والعجب كل العجب انهم كانوا يتعبون عسكرنا

وينالون منـه بتجاوزاتهم الدائمـة ، ويظهرون بالامنية التامة غير مبالين بما كان ولا مهتمين بما سيكون فليت شعري بماذا يجاب من سال عن الفرق بيننا وبينهم ، ومن الذي يستحق المدح منا ؟! » .

والاعجب ان يسأل هـذا القائد عمن يستحق المدح ، أيمدح المعتدي ؟ ايمدح السفاك الذي ينهب شعبا آمنا يقتل ابناءه ويحرق دياره ويخرب عمارته ويشرد الاطفال والنساء والشيوخ ويبيدهم ، وهل يتساوى في عرف البشرية مدافع عن دينه ووطنه وماله وناهب قاتل سافل مجرم ، الا في منطق الاستعمار وأربابه الذين ماتت ضمائرهم وانسلخوا من جنس الانسانية ؟!.

الحرب الخاطفة :

كان الامير خفيف الحركة سريع التحرك يتنقل بفرسانه بخفة وبسرعة كانت تذهل خصومه من الفرنسيين وبهذه الحرب الخاطفة كان يهاجم اعداءه وينتصر عليهم ويتركهم قبل ان يفيقوا من الضربه فاذا تهيأوا للهجوم لم يجدوا احدا ، يقـول « لويس دينلوت » فـي تاريخه ان « المولود بن عراش » وزير السلطان عبدالقادر ومعتمده في عقد المعاهدة الاولى مع الجنرال دي ميشيل لما وفد عليه ، حاملا صكها الذي صادق عليه الامير وكان امراء الجيش الفرنسي جالسين حسب مراتبهم والعسكر مصطف حولهم يسمعون ما تقرر في الصك وبعد تلاوته امضاه الجنرال بخطه ، ثم التفت الى ابن عراش وقال له:

ـ ان العرب لاتجهل قوة فرنسا واستعدادها . فأجابه ابن عراش:

ـ نعـم ! ان العرب لا تنكـر قوة سلطنة فرنسـا واقتدارها ثم قـال الجنرال :

ـ انني كنت عازما قبل المعاهدة على ان اطلب من دولتي عشرة الاف جندي زيـادة عـلى ما عندي واخرج من هـذه المدينة واتـابع محاربتكم مدة شهر وما يدريك يا مولود ان هذا يدخل على سلطانك الوهن ويلحق به الضعف ، فأجابه ابن عراش :

ـ اننا لا نحاربكم محاربة نظام وترتيب ولكن محاربة هجـوم واقدام ، ولو فعلت ما قلت وخرجتم بهذه القوة ، كنا نتقهقر امامكم متوغلين في الصحراء بأهلنا وأثقالنا وفي حال هذا التقهقر نناوشكم القتال حتى لا ترجعوا عنا ثم نصابركم حتى تضعف شوكتكم وتلين

قوتكم ومتى سنحت الفرصة وتورطتم في فيافي الصحراء قلبنا الكرة عليكم وأحاطت جيوشنا بكم من كل ناحية وتكون ذخائركم قد نفدت وقوتكم قد ذهبت وعساكركم أوهنها التعب وأضر بها السغب فحينئذ ماذا كنت تصنع يا جنرال ؟ » ٠

قال : فلما سمع الجنرال هذا الجواب الصريح المفصح عن خطط ما كانت تخطر له على بال ، تعجب ولم يسعه الا السكوت ٠

قال : صاحب الجامعة بعد ذكر ترجمة الامير في مشاهير المتقدمين والمتاخرين « فلا يسع المؤرخ الشرقي غير الوقوف بازاء عظمته متفكرا وبأسباب سقوطها معتبرا ، لان الصراع بينه وبين الجنود الفرنساوية كان بين مبدأين لا بين قوتين حربيتين احدهما استقلال الممالك الشرقيه والثاني اطماع اوروبا الاستعمارية ، غير ان قوة الطمع زعزعت استقلال الشرق واستشعر اهله انهم مطحونون برحاه فازداد بأسهم ولو قوي المبدأ الاول لقوي رجاؤهم وزاد باسهم وليت شعري ما يقول المؤرخ الغربي ، بعد امعان النظر في دولة احكم اساسها منذ ألف واربع مئة سنة فقد استولت على مستعمرات امير عمر دولته سنة بعد ان قهر رجالها واباد أبطالها وشغلها سبعة عشر عاما الى أن أراد الله انفاذ ما قدره وقضاه عاضدها اقرانه وساعدها عليه جيرانه فاستسلم لقضاء مولاه وسلم اليها نفسه برضاه على شرط موقع من الجانبين » فهل وفت فرنسا بشروط التسليم ؟ ٠ وهل لغادر وفاء ، أو لمستعمر عهد أو لقوي قول ؟ ٠

غدر فرنسا بالامير الجزائري

حارب الامير عبدالقادر الحسيني شارل الخامس ولويس فيلب نابليون الثالث امبراطور الجمهورية الثانية كما حارب الامبراطورية الفرنسية الثالثة وكافح تحت امرته الجزائريون وقاوموا فرنسا مقاومة عنيفة ١٧ سنة والحرب تلتهم الالاف من الفرنسيين وخسائرهم كبيرة جدا بالنسبة الى خسائر جيش الامير الذى ظل يناضل وعمره لا يزيد على اربع وعشرين سنة ولم يرم سيفه الا وقد تجاوز الاربعين ، وعرف بالشهامة وقوة الشكيمة ، مثل كرامة الجزائر وعزتها ونال اعجاب خصومه قبل اصدقائه ، يقول جبرائيل

اسكوير : ان قوته الحقيقية تكمن في سرعة حركاته التي لها الفضل الاكبر في تفادي هجمات الاعداء ، وكذا قوة شخصيته التي رفعت من روحه المعنوية حتى استطاع ان يوالي هجماته رغم ان العدو قد الحق خسائر فادحة بقواته ، كان حقا يتمتع بقوة خارقة ، واعترف القادة الفرنسيون الذين حاربوه بشجاعته وبطولته وقالوا « على الرغم من كثرة عدد القوات المحاربة التي قدناها فقد استطاع الامير عبدالقادر ان يتفادى كثيرا من هجماتنا رغم قلة عدد قواته ويرجع الفضل الى معرفته التامة بطبيعة البلاد ولمكانته العظيمة بين العرب »

احبط بقواته الضئيلة هجمات الجيش الفرنسي في اكثر من موقعة وانزل خسائر بقوات يقودها كبار القواد العسكريين المدربين ولما لم يتمكنوا من الانتصار عليه عقدوا معه هدنة او معاهدة سلام لكن الغدر كان يكمن في سطورها فلما قويت شكيمتهم وزادت قواتهم نقضوها واستأنفوا الحرب ، كان الحقد يملأ صدور الفرنسيين وكان حب الانتقام يتغلب على الشرف الذى اقسمه قائدهم والخيانة هي المبيتة من الملك وحكومته رغبة في ارضاء الكثيرين من النواب وغيرهم ممن لهم ثارات عند الامير : وصلت البارجة التي اقلت الامير الجريح الى طولون بحجة التزود بالوقود في اليوم الاول من كانون الثاني سنة ١٨٤٨ وبينما الامير ينتظر اقلاعها اذ دخل عليه حاكم طولون واخبره ان الاقامة هنا لاجل اخبار الحكومة العثمانية واستئذانها في امر قبولك وكذلك الحال مع مصر وما عتم ان جاءه الكولونيل « دوماس » واعلمه انه قد عين من قبل الملك للاقامة معه واخبره حقيقة الامر ، فقد كاشفه ان فرنسا عارضت في اتمام ما وقع التعهد به من الاذن لكم بالسفر الى الشرق فلذلك يعتذر الملك عن عدم الوفاء والذي يرتأيه ان تسكن بلاد فرنسا وتختار أماكن مناسبة لمقامك العالي ، ولمن معك من اصدقائك واتباعك من الجزائريين ويسمح لزوارك ان يحضروا لزيارتك متى شاءوا فأجاب الامير ها انا بين ايديكم فافعلوا ما بدا لكم ولا يمكن ان اترك انجاز الوفاء بالعهد وتنفيذ شروطه ما دمت حيا ومن اعجب ما كان يسمع انني كنت ارى نفسي ضيفكم فجعلتموني اسيركم واخذتم تعددون علي امورا قمت بها ذبا عن ديني وحماية لبلادي ولا زال التفاخر بها وبامثالها قديما وحديثا ، فان القيام بها دليل على كمال الرجولة

والعدول عنها برهان على ضعف الانسانية وعلى كل حال فالعار والعيب عليكم لا علي ولو لم الق بنفسي اليكم ما وصلتم الى التحكم في امري والتخير في شأني والامر لله ٠

واخيرا رفعت قضية الامير الى مجلس الامة فحصل بين النواب اختلاف كبير قال بعضهم ، ان الامير خرج عن الطرق المرعية بين المتحاربين فلا عهد له عندنا يجب الوفاء به ، وقال اخرون بالرفاء ٠٠٠ وفي السادس من شباط سنة ١٨٤٨ تكلم وزير الخارجية في مجلس الامة قائلا :

« لو فرضنا اننا لا نتمكن من ارسال الامير الى عكا ، لكون الدولة العثمانية لا تعترف باستيلائنا على بلاد الجزائر فاننا نتمكن من ارساله الى الاسكندرية فاجابه رئيس الوزراء :

« ان المخابرة جارية بيننا وبين محمد علي باشا صاحب مصر وقد طلبنا منه الكفالات اللازمة لذلك » ، وقامت الجمهورية سنة ١٨٤٨ واوفدت حكومتها الكولونيل « اوليفيان » ليستطلع احوال الامير وقبل عودته الى فرنسا طلب من الامير ان يكتب الى الحكومة كتابا يتعهد به الا ينوي العودة الى الجزائر ولا يخيس بوعده ولا ينقض عهده ، فزوده الامير بكتاب اكد عهده الماضي واقسم لهم انه لن يعود الى الجزائر ولا ينوي القيام بأية ثورة مطلقا ، ومما جاء بكتابه :

« فانكم بنيتم أمركم على دعائم العدل والانصاف والوفاء بالعهد والصدق بالوعد وان نقمتم على ما جرى بيني وبينكم من الحروب التي اتصلت عدة سنين فما اظن احدا ممن على وجه الارض من البشر ينكره علي او يذمني به ، لانني رجل اوجب علي ديني ان ادافع عنه وعن ارض اهله المتمسكين بعروته الوثقى ، فقمت بذلك وبذلت وسعي فيه ما استطعت ولما ظهر لي انتهاء اجل قيامي بهذه العبادة التي حزت بها ـ ولله الحمد ـ شرف الدنيا والآخرة ٠ وتلاشت الهمم وتقاعدت العزائم ونفد ما كان عندي من المواد والاسباب التي كان القيام بها سلمت وقلت « ان الارض لله ، يورثها من يشاء من عباده فهو اقامني حيث شاء واقعدني حيث شاء » ثم قص بكتابه شروط التسليم وكيف انه وثق بالشرف العسكري وبشرف فرنسا وطالب بوفاء العهد والسماح له بالسفر الى عكا او

الاسكندرية ، فلما وصل الكتاب الى الحكومة حصل جدل ونفار بين الاعضاء انتهى بصدور قرار يقول ان الجمهورية لا ترى نفسها مرتبطة بعهد مع الامير بل ترى انه اخذ اسيرا تتركه كما تركته الحكومة السالفة .

فلما وصل نبأ القرار الى الامير اسف واغتم وقال انا السبب الوحيد في ما جرى والذى غرني واوقعني بيدهم دعواهم : انهم قوم لا ينقضون العهد ولا يخلفون الوعد فاذا بهم لا عهد لهم ولا ميثاق بل عهدهم مكيدة وخديعة » .

وفي الواحد من عشرين من نيسان ١٨٤٨ سُفِّرَ الى معقل «دو» على الحدود الاسبانية حتى اذا امضى فيها ستة أشهر أمرت الحكومة بنقله الى مدينة « امبواز » التابعة لمقاطعة « اورليان » وكان الاهتمام به والعناية بأمره وتسقط اخباره ملحوظا يجري له التكريم من علية القوم ومن جماهير الشعب ولما وصل الى القصر الذي اعد له قال له الضابط المكلف بحراسته « الان قد زالت مخاوفي وعاد الي اطمئناني وأمنت عليك لانه لا تخلو عائلة من فرنسا الا ولها ثار عليك ولذلك كلما وصلنا الى مدينة يتملكني الخوف خشية اغتيالك او الهجوم عليك » .

وامبواز مدينة في وسطها قصر عظيم لملوكهم الاقدمين ذاهب في الجو مشرف على بساط سندسى وبطاح مشجرة ويطل على النهر الذى يشق وسط المدينة ، فأقام فيه اربع سنوات لا يروعه ولا يكدره الا قلقه من اجل وطنه واصحابه ، ولم يتجدد له ما يزعجه وان كان الكرب في باطنه كامنا ولسانه يردد :

الدهر خلخلني مثل النساء وكم
شنفت من قبل ذا آذان اكفائي

ذكر مؤرخه ولده في « تحفة الزائر » نقلا عن شرشل في تاريخه عند ذكره الخبر ما ملخصه « ان الامير عبدالقادر ما زال ذا همة عالية لم تؤثر فيه شدة المشاق التي احاطت به من كل ناحية ولو المت بغيره لاذلته اذلالا ، وأعدمته الصبر والتجلد تفصيلا واجمالا وقال : وكان الناس يتقاطرون اليه من جميع انحاء فرنسا وغيرها لمشاهدة حاله في اسره ، فكانوا يعجبون من سمو همته وبعده عن اظهار الضجر وتسليمه لتصاريف القدر وكان الكثيرون من اصحاب المناصب

وارباب السياسة وقواد الحرب يزورونه ويظهرون له الاعظـــام والاعجاب وكان يصرف ساعات كثيرة في مقابلة اولئك القاصدين فكان يدهشهم انه لم يظهر اى تبرم ويقابلهم بالبشـــر والاكـرام وكان السنيور « دوبيش اسقف الجزائر » صديقا للامير فكتب الى الجنرال « دوماس » يهنئه بالرتبة التي نالها ويخبره بعزمه على زيارة الامير فكتب اليه يقول :

(انك ايها الاسقف المحترم ذاهب لترى الامير الاسير وحقا ان سفرك هذا لايذهب عبثا ولايخفى انك قد عرفت الامير عبدالقـــادر حينما كان السعد خديمه والعز رفيقه وكانت بلاد الجزائر كلهـا تعترف بسيادته وسيطرته وستجده الان من حيث عزة النفس وقوة الجاش اعظم واكثر مما كان في زمان اقباله وستجده لينا ودودا بشوشا في وجه من يزوره صابرا لا يظهر الضجر عاذرا لاعوانه متغافلا عن اساءاتهم وبالجملة ستزدادعلما ومعرفة به فوق ما امتـــازت به حياتك)

وفيما الامير يرتقب الفرج من محنته اذا بالانباء تصله ان الجنرال ـلاموريسيرـ قد اصبح وزيرا للحرب وهو الذى ارسل الى الامير سيفه وخاتمة ليملي شروط التسليم ففرح بالنبأ وعلق عليه املا بالافراج عنه نظرا لانه هو المسؤول الاول عن تنفيذ العقد فكتب اليه يذكره بعهده وقال له فيما قال ٠

« ان كثيرا ممن لا المام لهم بما وقع بيني وبينك يعتقدون انك غلبتني في الحرب واجبرتني على التسليم والقاء السلاح فينبغي لك ان توضح لهم القضية وتوقفهم على ما جهلوه من امرنا وبذلك تجد منهم من يسعفك ويأخذ بيدك في الوفاء بعهدك الذى هو في الحقيقة عهد دولة فرنسا بل الشعب كله لكونك كنت ـوقتئذ ـرئيس جيوشهم ونائب ملكهم فى كل ما تجريه وبالجملة فان وفيتم فانكم تنالون فخرا كيبرا بين امم العالم وان نقضتم واخلفتم فلا شك انكم ترتكبون فى ذلك امرا شنيعا يسقط به قدركم ويقبح ـبارتكابهـ ذكركم فى العالم كله ٠

فكأن كتاب الامير داهية من الدواهي لسعت الجنرال فحركت كوامن احقاده وسواكن احنه فأمر ان تشدد المراقبة على الامير ويمنع زواره ولايسمح له بالتريض خارج القصر فى الوقت الذى نجد هذا

الجنرال قبل ان يصبح وزيرا كان يدافع النواب الذين هاجموه لقبول التسليم على تلك الشروط وكان بامكانه ان يقبض على الامير اسير حرب فرد عليهم :

ان هذا اللوم الشديد قد وقع على بجنحي للسلم فى موضع يجب فيه الحرب بزعمكم وانا اتحقق اني لو ركبت الخطر بالزحف على عبدالقادر ما رجعت الا بخيمته وسجادته وانه ليذهب الى الصحراء بحيث لايمكنني ان اصل اليه وهذا أكد عندى من ان يقع فى يدى لان عبدالقادر ذو قوة وصلابة فى دينه مشتهر فى الصدق والامانة فى وطنه شديد التمسك بمبادئه وهذا الامر الاوحد والسبب الاعظم الداعى لاجتماع القلوب عليه وان مبدأه الفريد هو الذى شهره في جميع الجهات ولاشك ان الظفر الذي حصل للرجل الذي حاربناه في وقائعه هو ثمرة ما قررناه ومن كان هذا شأنه وسيره فلابد وان يحدث خطرا عظيما ان ترك في بلاده ، واني ما سلكت الاجادة الصواب ومع هذا فارجعوه الى محله مع القوة التي كانت معه فقط وجربوا ان تمسكوه عنوة ٠

وأنا الحاكم العام ما قبلنا تسليمه على شروطه الا لاننا اخترنا راحة فرنسا وعساكرها التي اضنكها التعب وكثرة المصاريف من غير طائل تحصل عليه » ٠

انشغال الامير بالعبادة والقراءة

صبر الامير على هذه المحنة وقطع الامل من رجالات فرنسا ولكنه لم ييأس بل صبر واشغل نفسه ومن معه بالعبادة والقراءة والتأليف وتدريس من كان معه وافادة الطلاب من جماعته وكان مطران احبواز يذكر اتباع ابرشيته بعبدالقادر وجماعته بدينهم ومواظبتهم على صلواتهم في أوقاتها ـ وكان للامير مؤذن حسن الصوت جهيره فكان يرفع نداءه بالاذان من أعالي البناء نهارا وليلا وكان زوار الامير يعلم من السلطات يفدون عليه من غير انقطاع وممن زاره وانس به واطال مكثه الشيخ العالم الكبير ـ محمد الشاذلي القسنطيني ـ فلما رجع واصله بالمراسلة شعرا ونثرا فكانت تفريجا للامير وقتلا لوقته ، النظر بشأن الامير ٠

كان البرنس لويس رئيس الجمهورية الفرنسية يميل الى الوفاء بصك التسليم فعقد سنة ١٨٤٨ مجلسا خاصا برأسته

وعضوية المارشال بيجو وشانكرني من أعضاء المجلس فتداولوا في امر صحة العقد ووجوب الوفاء للامير بشروطه فأختلفت الاراء واظهر البرنس ميله الى الوفاء ولكن الكثرة كانت ضد الاخراج ، فسكت ، واقترحوا ان يطلب الى الامير ان يغير شروطه ويمنى بالرفاهية واغداق الاموال واقطاعه قصرا ومزرعة في أرض يختارها من فرنسا وفوضوا المارشال بيجو بان يتولى مفاتحة الامير فكاتبه وكان جوابه ٠

(في ٢٠ كانون الثاني من سنة ١٨٤٩ (لو جمعت فرنسا سائر اموالها ثم خيرتني بين اخذها واكون عبدا وبين ان اكون حرا فقيرا معدما لاخترت ان اكون حرا فقيرا فلا تراجعوني بمثل ذلك الخطاب فانه ليس عندي بعد الخطاب جواب والى الله ترجع الامور)

وتمضى الايام والسنون واذا البرنس لويس يعلن نفسه امبراطورا باسم لويس نابليون الثالث ويقبض على زمام الحكم وراح في أول حكمه يسرح اتباع الامير ومن يرغب بالعودة الى بلاده وسرح اخوة الامير مختبرا بذلك نفسية الشعب واحوال الجيش والنواب فلما رأى سكوتهم اقدم على الافراج عن الامير نفسه مع التكريم والتجلة ٠

بدأ الامبراطور جولة بربوع (تور) ورتب زيارته للامير وكان ذلك في السادس عشر من تشرين الاول سنة ١٨٥٢ وكان بمعيته المارشال سلفارنو وزير الحرب وجماعة من القادة وعند وصوله سكة حديد امبواز ركب متوجها مع حاشيته الى قصر الامير فنزل الامير الى باب القصر مرحبا به ولما استقر به المقام وتبادل التحيات والسؤال عن الحال اثنى الامبراطور على صبر الامير وشهامته وشجاعته وقال (انكم جلبتم دقة نظرى واستلزمتم محبتي بما اشتهرتم به من الخصال الحميدة وما ابرزتموه من البسالة في أنواع المدافعة عن وطنكم واني أنظر اليكم نظري الى ضيف محترم لا اسير وأخيرا اخرج ورقة من جيبه وناولها للامير وقال له هذه ورقة تسريحك تعلن وفاء فرنسا لعهدها)

ونصها : (عبدالقادر انني اتيت لاعلن لك حريتك وانك ستحمل بمن معك الى عاصمة سلطان تركيا وذلك بعد الفراغ من

الترتيبات المقتضاة لسفرك وستعين لك الحكومة الفرنسية مرتبا يليق بمقامك واعلم ان سجنك كدرني كدرا حقيقيا واحسب ان الحكومة السابقة قد قصرت جدا لانها لم تتمم ارتباطاتها معك وعندى ان عدم الثقة بأمة عظيمة من جهة نقض عهدها يحط قدرها وشأنها واخبرك بما اعتقده فيك وهو انك لا تحرك ساكنا في الجزائر لعلمي ان ديانتك توجب عليك بالوفاء والخضوع والتسليم لاحكام القضاء والقدر واذا كنت عدوا لفرنسا فلا يمنعني ذلك من ان اشكر اخلاقك الحميدة وشجاعتك وصبرك على الشدائد ، ولذلك افتخر باطلاقك واثقا ثقة تامة بقولك)

وقال للامير : ان احتفالات ستجري في باريس وستصلك دعوتي ووجودكم بذلك الاحتفال يكون باعثا للافتخار)

وتغدى الامبراطور ورجال حاشيته على مائدة الامير وقدمت لهم أكلات جزائرية وبعد الغداء قدم الامير والدته الى ضيفه الكبير فتقدم الامبراطور وقبل يدها وطلب منها الدعاء ثم قدم له أولاده واتباعه فشكروا الامبراطور لعفوه عن سيدهم واميرهم فقابلهم بالفرح واتى الى باريس مستبشرا ومودعا بالاحترام والامتنان ٠

وبعد ايام وصلته دعوة الامبراطور فتوجه الى باريس وقوبل باحتفال عظيم واستقبل من رجال الحكومة يتقدمهم الوزراء وقادة الجيش واقيمت الحفلات وزاره علية القوم وكان الناس ذكورا ونساءا يزدحمون في الطرقات أثناء مروره لمشاهدته ٠

يقول مسيو (شارل اينار) الفرنساوى في بعض كتاباته منتقدا الجنرال « لاسورسيير » ان الجنرال المذكور شوهد يمشي في طرقات باريس مهملا لا يلتفت اليه أحد والامير يدخلها دخول المنتصر والجماهير تحتفي به وتزدحم الطرقات لمشاهدته وتحيته[1] ٠

وقال بالمار في تأريخه ـ وكانت الدولة قد عينته لمصاحبة الامير مدة اقامته في باريس (بينما كنت جالسا في محل الاستقبال اذ خرج الامير من حجرته وفي يده ورقة وقال (بلغني ان جرائد فرنسا ذكرت ان البرنس لما حضر الى « امبواز » اشترط علي شروطا وعلق تسريحي على قبولها وانه استحلفني على الوفاء بها ، واني قبلت تلك الشروط وحلفت له على الوجه الذى امر به ، ومع انهذا

---

(١) انظر تحفة الزائر ص ٥٦٢ وما بعدها ٠

لم يقع بيني وبينه أصلا ، غير اني لما كنت في امبواز قبل سفري هذا عزمت على ان اجدد عهدي للبرنس الى ان يرجع الى محل ضيافته) .

قال بالمار ان البرنس ادب له ــ للامير ــ مادبة حافلة في قصر (فرسالية) حضرها سائر الوزراء ومن دونهم من اعيان الدولة .

وصار يتنقل بين مآدب يدعى اليها ومنازه تعرض عليه وصناعة غريبة يطلع لميها وكان يخاطب الناس على حسب احوالهم ومشربهم ، وقال :

« والحاصل ان ما راه اهل باريس من محاسن الامير ومكارمه وما راه هو منهم ، من حسن المعاملة والمجاملة لا يصفه لسان ولا ياتي على وصفه قلم »

واستأذن في العودة الى امبواز ليتهيأ الى السفر ، فأذن له البرنس وودعه قائلا له (ان دولة فرنسا ستعين لك مرتبا شهريا يكفي لنفقاتك ويغنيك عن التناول من خزينة غيرها ، وقد كنت امرت ان يهيأ لك سيف يليق بمقامك وسيصلك الى بروسة على يد السفير في الاستانة واعلم انني اقدم لك هذا السيف وانا على يقين بانك لا تجرده على فرنسا . فاجابه الامير انا الان استخدم القلم بدلا من السيف فتبسم البرنس وقال (حيث انك سلمت سيفك الى قائد الجيش الفرنسي احببت ان تخرج من فرنسا بسيف عوضا عن سيفك)

وفي اثناء اقامته في باريس مدحه الاديب اللبناني احمد فارس الشدياق بقصيدة رائية طويلة اجزل له الامير جائزتها بعطية سنية .

سفر الامير الى الاستانه

في مطلع ربيع الاول سنة ١٢٦٩هـ سافر الامير باهله واتباعه بعد توديع حار حافل وركب باخرة خاصة اقلته وحاشيته من مرسيليا وكلما مر بمكان قوبل بالترحاب والتبجيل ومر بصقلية ونزل فيها بحفاوة من قبل حاكم الجزيرة وتنقل في ارباضها ومشاهدها ، وذكر ما قام للمسلمين فيها من حكم ومدنية ووصفها العلامة الطيب ابن مختر بقصيدة ذكر فيها ما لحق بها وبمن سكنها

من المسلمين من انواع النوائب واصناف المصائب ، وختمها بمدح الامير ، منها :

هذي صقلية لاحت معالمها ... تجر فيها فضول الريط من ألم
دار أقر لها بالفضل ذو نظر ... والفضل ما شهدت فيه ذوو الهمم
كانت منار هدى كانت محط ردى ... كانت سماء شموس الفضل والكرم
هذي منازلهم تبكي مآثرهم ... بكاء طرف قريح بات لم ينم
هذي المساجد قد دكت قواعدها ... هذي المآذن بالناقوس في سقم
هذي المحاريب قد عاد الصليب بها ... هذي منابرها قفرا من الحكم

وسار مركبه يمخر عباب المتوسط حتى وصل الاستانه يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٦٩هـ من كانون الثاني سنة ١٨٥٣م وعند وصوله البر زار ضريح ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه ، وتوجه الى جامع أيا صوفيا وفي اليوم الثاني زار الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا وعرض على الامير ان ينزل الى البلد مع أفراد عائلته فاعتذر ثم زار شيخ الاسلام العلامة عارف حكمة وشكره على تشجيع السلطان بأمر كفالته ، وفي اليوم الثالث دعي لمقابلة الخليفة فحضى بمقابلة السلطان عبدالمجيد خان ولقي منه كل ترحاب وشكره على ما كابده في الدفاع عن الدين والوطن وحمده على صبره على ما قاساه ايام اسره ومدح الامبراطور نابليون الثالث على وفائه بالعهد والقيام بشانه وقال له انك مختار في السكن في اى بلد شئت من الممالك العثمانية . وفي اثناء اقامته بدار الخلافة اقيمت له حفلات تكريم من قبل الصدر الاعظم ومن شيخ الاسلام ومن سفير فرنسا ، وبعد عشرة أيام سافر الى بروسه واستقبل من الحكومة والشعب استقبال الفاتحين واعجبته بروسة لانها تشبه القطر الجزائرى ولا سيمان تلمسان من وجوه كثيرة ، فابتنى دارا واشترى مزرعة واقبل عليه الزائرون من الجزائر والشام وغيرها يسلمون عليه ويتبركون به .

وعرض عليه واليها خليل باشا باذن من السلطان تعيين راتب شهرى يقوم بنفقاته فشكر للسلطان مبرته ولكنه اعتذر من قبول الراتب لان الامبراطور عين له ما يكفيه ويسد مصروفاته وبعد الاستقرار راح يكتب ويؤلف ويقرىء أولاده واتباعه فقه

ابن مالك بشرح المكردي والسنوسية بشرح المصنف في مناقب سيدي عبدالعزيز الدباغ ، وشهدت تلك الايام حرب القرم مع روسيا فكان يتتبع اخبارها ويدعو للمسلمين بالنصر ولما توالت الهزات الارضية واستوخم اتباعه مناخ بروسة استأذن السلطان عبدالمجيد بالرحلة الى الشام واتخاذها دار مقامه .

وبعد : فسيرة الامير لا تلم بها الموجزات ولو ارخيت للقلم عنانه في تقصي اخباره وما لقي من الحفاوة والتكريم من اعيان البلاد وما اثر عنه من المكرمات ولا سيما ايام الحرب الاهلية في سوريا ولبنان وحمايته للمسيحيين مما جعل الاقلام تسطر له مواقفه بمداد الفخر والشكر واهديت له اوسمة التقدير من ملوك اوربا وامراء البلاد ومدحه الشعراء والكتاب لمواقفه الشريفة في حماية من لجأ الى بيته من الراهبات والقناصل وغيرهم فقد أصبح الامير رجلا عالميا ذكره يتردد في كبريات الجرائد الاوربية والاسيوية واختارته الجمعية العلمية الفرنسية عضوا مراسلا ، فراسلها ، وكانت وفاته في الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ١٣٠٠ الرابع والعشرين من ايار سنة ١٨٨٣ فاهتزت لموته البلاد الاسلامية وعز نعيه على القاصي والداني ، ومشى في تشييع نعشه علية القوم وجماهير الشاميين ودفن عند الشيخ محيالدين بن عربي في الصالحية ، وبكاه الفضل والكرم وندبه السيف والقلم ونعاه الناعون في سائر المعمورة رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته .

الامير عبد القادر
الاديب
١٨٠٧ - ١٨٨٣

الامير عبدالقادر - نشأ نشأة عربية دينية كان يحفظ القرآن وله اطلاع واسع على العلوم الاسلامية صوفي النشأة ،وهو الى جانب ذلك اديب وكاتب وخطيب واداري حازم وشجاع فارس ورائد مقدام وقد رأينا الكثير من أدبه فيما تقدم وهذا نص اثبته

من رسائله التى احتوتها سيرته ـ تحفة الزائر ـ كتبها الى الجنرال ـ بيجو ـ وهي تنبيك عن شجاعته ودرايته باساليب السياسة والحرب ، قال رحمه الله :

« الحمد لله وحده .

من ناصرالدين عبدالقادر بن محيالدين ، الى (المارشال بيجو)

اما بعد : فان كانت دولة فرنسا ليس لها من الارض ما يكفى رعاياها ، وارسلتكم لتغتصبوا ارضنا وتبذلوا نفوسكم واموالكم فنحن نتخلى لها عما هو في ايدينا من السواحل ونبقى معها جيرانا ينتفع بعضهم من بعض ، وان ابت الا ان تسترعي على جميع ارضنا ووطننا فنحن نبذل وسعنا في مدافعتها وحماية ارضنا منها الى ان يقضى الله بيننا وبينها بما شاء ، فان البلاد بلاده والعبيد عبيده ...

دولتكم تدعى انها اول دولة في العالم تحب الانصاف وتستعمله وتحافظ على ميزان العدل وتحتكم به ففعلها يكذب دعواها ويبطل مدعاها وانتم وغيركم من رجالها نراكم دائما تساعدونها على الاعتداء والاغتصاب وتبذلون انفسكم في ذلك ابتغاء مرضاتها ...

والحروب تربينا عليها وتغذينا بلبانها فنحن اهلها من المهد الى اللحد وحروبنا كما علمتم لا نرجع فيها الى قانون يحرمها ، بل نحن مخيرون مطلقون نصرفها كيف شئنا ، واما انتم فقد بذلتم اموالكم وافنيتم شبابكم في تعلم طرقها القوية وعند اشتباك الصفوف تعاجلكم عن مراجعاتها الرماح والسيوف الخ ... »

وللامير المجاهد شعر كثير منه ما قاله أيام وقائعهوانتصاراته على جيوش الاحتلال الغزاة ومنه ما قاله اثناء اعتقاله في فرنسا ، ومنه مساجلات ورسائل وتأملات يكون ديوانا ضخما ، اقتبس منه ابياتا من قصيدة يفتخر بها بعد انتصاره في موقعة (خنق النطاح) وفيها ابلى الامير في نزال أعدائه بلاءاً اثار دهشة الفرسان بمهارته وشجاعته والمقصورة هي كما سجلتها سيرته تحفة الزائر :

---

(١) تحفة الجزء الثاني ص٨٥٧ خلافا لما جاء في كتاب النصوص الادبية ص ٦٣ ج٤ رالقيه محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين .

توسد بمهد الامن قد مرت النوى
وزال لغوب السير من مشهد الثوى
وعر جيادا جاد بالنفس كرها
وقد اشرفت مما دهاها الى التوى
وكم قد جرت طلقا بنا في غياهب
وخاضت بحار الآل من شدة الجوى
وكم من مفازات يضل بها القطا
قطعت بها والذئب من هولها عوى
لذا قد غدت مثل القسي ضوامرا
وتلك سهام للعدى وقعها سوى
الى ان بدت نيران اعلامنا لها
وما ضوء نيران الكرام له انزوى
ولا سيما اهل السيادة مثلنا
بنو الشرف المحض المصون عن الهوى
فانا اكاليل الهداية والعلى
ومن نشر علياهم ذوى المجد قد طوى
ونحن لنا دين ودنيا تجمعا
ولا فخر الا ما لنا يرفع اللوى
مناقب مختارية قادرية
تسامت وعباسية مجدها احتوى
فان شئت علما تلقني خير عالم
وفي الروع اخباري غدت توهن القوى
ومنها
وانا سقينا البيض في كل معرك
دماء العدى والسمر اسعرت الجوى
الم تر في خنق النطاح نطاحنا
غداة التقيناكم شجاع نها لوى
وكم هامة ذاك النهار قددتها
بحد حسامي والقنا طعنه شوى
واشقر تحتي كلمته رصاصهم
مرارا ولم يشك الجوى بل وما التوى

تجد القصورة بطولها في صفحة ١٤٩-١٥٠ من تحفة الزائر طبعة بيروت ١٩٦٤ .

بيوم قضى نحبــا أخــي فارتقى الى
جنــان لــه فيهــا نبي الرضــى أوى

فما ارتد مــن وقع السهام عنــانه
الى ان أتــاه الفوز يرغــم من عــوى

* * *

ولمــا بــدا قرنــى بيمنــاه حربــة
وكفى بهــا نار بهــا الكبش يشتوى

فأيقــن انــى قابض الــروح فانكفا
يولــى قوافــاه حســامي مذ هــوى

شــددت عليهــم شــدة هاشــمية
وقــد وردوا ورد المنايا عــلى الغوى

وللامير في وصف قصـره الصيفي الذي شيده في دمر مـن مصايف الشام النضرة هذه الابيات :

عج بــي ـ فديتك ـ في اباطح دمــر
ذات الريــاض الزاهــرات ، النضــر

ذات الميـــاه الجاريات عــلى الصفــا
فكأنهــا ، مــن مــاء نهــر الكــوثر

ذات الجــداول كالاراقم جريهــا
ســبحانه مــن خالــق ومصــور

ذات النســيم الطيب العطــر الــذي
يغنيــك عــن رنــد ومســك أذفــر

والطــير فــي أدواحهــا متــرنم
برخيــم صوت فاق نغمــة مزهر

مغنى بــه النســاك يزهــو حالهــا
ما بــين اذكــار ، وبــين تفكــر

ما شئت ان تلقى بهــا من ناســك
أو فاتك فــي فتكــه متطــور

اقرأ تفصيلات هذه الرسائل والمراسيم في تحفة الزائر الجزء الثــاني طبعــة بيروت ١٩٦٤ .

أين الرصافة والسدير وشعب بو
ان اذا انصفتها من دمر ؟!

وشطرها شعراء كثيرون منهم الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ محمد المبارك .

الجزائر تحتفل باستقبال
رفاة الامير المجاهد عبد القادر الجزائري

لم تنس الجزائر وهي تعيش فرحتها بالنصر والاستقلال مناضلها الاول وحامل لواء الجهاد البطل الامير عبد القادر الجزائري فاقامت له تمثالا تستمد منه العبرة والقوة والصبر وتستلهم من جهاده الحيوية والايمان والتضحية اقامت له تمثالا في اوسع شوارع العاصمة وهو على صهوة جواده الادهم واحتفل بنقل رفاته من الشام وطنه الثاني ومن احرى بالتكريم والتقدير من المجاهدين الاحرار يكرمون القائد البطل الذي دوخ فرنسا سبعة عشر عاما فزعزع قواها العسكرية وتغلب عليها بوقائع عديدة هزم ١٥٠ قائدا وعشرة مارشالية ، وخمسة امراء من العائلة المالكة وستة عشر ممن تولوا وزارة الحربية[١] وجيوشا لا يقل عددها عن مائتى الف مقاتل وكلف الخزانة الفرنسية مليارات الفرنكات ، وهل الامير عبد القادر الا رمز للكفاح الذى طال عهده عبر ١٣٠ عاما وكان يستلم راية الجهاد أبناء الجزائر الاباة بعده عاما بعد عام وحقبة بعد حقبة لا يعرفون الوهن ولا يتسرب الى نفوسهم الضعف مهما تطاول بهم الزمن ومهما تضاعفت عليهم قوى الاستعمار قاوموا قوى الشر بعناد واصرار وجالدوا بصبر وعزم لاثبات حقهم في الحياة والاستقلال وقدموا الضحايا تلو الضحايا في سبيل ادراك الحرية والحياة الكريمة حتى نالوها وضربوا اروع الامثلة في حربهم التحريرية ، لقد كان عبدالقادر الجزائري امة في رجل وقائدا في زي صوفي ومتدينا في غير تعصب وعالما في فهم فقيه ، وخطيبا في لسان شاعر ، وثائرا يكره الظلم ومحاربا في راية مسالم وعظيما في هيئة رجل بسيط متواضع ، وكان من حقه على الاحرار

---

(١) انظر كتاب الامير علي بن الامير عبدالقادر ملك الاقطاع التونسية المغربيه والارياض الجزائرية ومقدمة تحفة الزائر للامير محمد بن الامير عبدالقادر الجزائري .

بعد الانتصار ان يحتفلوا بذكراه ويقيموا له المهرجانات فهو جزء موصول بتاريخ ثورتهم وهــو عنوان لامجادهم ورمز لبطولاتهم ، وفي هذا الاحتفال القى الرئيس بومدين كلمته الرائعة وقد جاء فيها :

« هناك في تاريخ الامم لحظات حاسمة لا تتاح الا مرة واحدة وان كانت تضرب بجذورها في الماضي السحيق وتتجاوز بأبعادها الحاضر لتشمل المستقبل الى اخر الدهر ، لحظات تتلخص فيهـا امال والام تلك الامم تقف فيهـا دقيقـة تأمل وتفكير لتستعرض فيها كل ما مر بها من محن وما ارتكبته من اخطاء وتغلبت عليـه من صعاب وكل ما حققته من انجازات واحرزت عليه من انتصارات، ومن هذه اللحظات الحاسمة والمناسبات الفريدة هذا اليوم العظيم الذي نحتفل فيه بعيد تتمثل فيه جميع أعيادنا ، يوم يتلخص فيه اكثر من قرن وربع قرن من تاريخنا الحبيب .

يوم مشهود تسطر جميع تفاصيله بأحرف مـن ذهب ونور بعدما سجلت قبلـه الاف الايام بأحرف مـن دموع وبحروف مـن دم ونـار .

انه ليوم نقف فيـه اجلالا أمـام أرواح جميع من أتاحوا لنا افراحه التي لم ننسها على مر الزمن ، يوم يتمثل فيه ماضي الجزائر وحاضرها ومستقبلها ، يوم ارتفع فيه صوت الحق ، وزهق فيـه الباطل ، يوم رفرفت فيه رايتنا المقدسة تهلل بعودة بطل من أكبر أبطالنا عبر التأريخ وعلى مر العصور ، نعـم انه ليوم خالد في تاريخنا هذا اليوم الذي عـاد فيه رفاة البطـل العظيم وقائـدنا الجليل الامير عبد القادر بن محـي الدين الجزائري الى جزائره الحبيبة اليه والعزيزة عليه ، الى جزائره التي كافح من اجلها طوال سبعة عشر عاما متواصلة ترفرف في ارجائها وتلهب شعبها حماسا واقداما في الدفاع عن الحق ورد العدوان والمعتدين ، اننا نرى في رجوع الامير الى وطنه بعد اكثر من قرن تطبيقا لذلك المبدأ العظيم الذي هو الرجوع الى الاصل وذلك ان الحق ينتصر في النهاية مهما طال الزمن ومهما حاول المتحذلقون تزوير التاريخ ، فقد قالوا وكرروا مدة طويلة ... مدة اكثر مـن قرن وربع ان الجزائر لم يكن لهـا أبدا وجود كامـة متحدين بذلك التاريـخ والمعاهدات

والاتفاقيات الدولية ومنكرين الحقيقة وهي ان الجزائر كانت امة كان لها دولة ذات سيادة حتى ٥ يوليو ١٨٣٠ أي حتى العدوان الاستعماري الذي وضع موقتا حدا لوجودها الدولي وكان يظن ذلك امرا نهائيا ابديا ، ولم يكن يدري كما قال احدهم ان الامم لا تموت ابدا وانها قد تختفي موقتا في ظروف خاصة لتعود ابرز ما كانت واقوى ما يمكن ان تكون » .

الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس

١٣٠٥ - ١٣٥٩
١٨٨٩ - ١٩٤٠

ولد الامام عبد الحميد بن باديس في عمالة قسنطينة في بيت عريق في السيادة والمجد والعلم ينتهي نسبه الى المعز بن باديس موسس الدولة الصنهاجية الاولى ، التي خلفت الاغالبة على مملكة القيروان ، ومدت ظلها على قسنطينة ومقاطعاتها حينا من الدهر لم يكن قليلا ، كان يكبر الشيخ الابراهيمي سنة وبضعة اشهر ، ومن منطقة واحدة فكلاهما من القسم الشرقي من الجزائر .

أتم دراسته الاولى في قسنطينة وعلى اهل بيته ومشائخ بلده ثم هاجر الى جامعة الزيتونة وكانت الهجرة في سبيل العلم عادة جارية عند اهل المغرب العربي ومتوارثة وما يزال الجزائريون يهاجرون في طلب العلم الى الازهر والى الجامعات العربية في القاهرة والشام وبغداد ، فاتم ابن باديس دراسته العليا في الزيتونة بتونس ، وهاجر الى الشرق الى مصر والحجاز وجاور في المدينة المنورة ثلاثة اشهر وكانت الاقطار الشرقية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين « تتجاوب بالدعوة الى تحرير البلاد العربية من الاستعمار الذى اخذ يهاجمها ، مقرونة بالدعوة الى تحرير العقل من الاوهام ، وتخليص الدين مما ران عليه وكدر صفاءه خلال القرون الاخيرة والرجوع به الى ينابيعه الاولى وهي الدعوة التي كان يحمل لواءها الاستاذ الامام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا ، فلا جرم كان لهذه الهجرة اثرها في تلقيح العقول وتنوير البصائر وفي تقوية الروح الجزائرية المتمثلة في اولئك المهاجرين وبعث نشاطها ، وفي اثارة الرغبة في تخليص الجزائر

مما حاق بها »[1] .

يقول البشير الابراهيمي عن هجرة ابن باديس ولقائهما « كان من تدبير الاقدار الالهية للجزائر ومن مخبآت الغيوب لها ان يرد علي بعد استقراري بالمدينة المنورة سنة وبضعة اشهر ، اخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبدالحميد بن باريس اعلم علماء الشمال الافريقي ، ولا اغالى ، وباني النهضات العلمية والادبية والاجتماعية والسياسية للجزائر » وقال « كنا نودي فريضة العشاء الاخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ونخرج الى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين الى اخر الليل حتى يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ثم نفترق الى الليلة الثانية الى نهاية الثلاثة الاشهر التى اقامها الشيخ بالمدينة المنورة » .

كانت هذه الاسمار كلها تدبيرا للوسائل التى تنهض بالجزائر ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صوراذهنية تتراءى في مخيلتنا ، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة ، واشهد الله على ان تلك الليالى من سنة ١٩١٣ ميلادية هي التى وضعت فيها الاسس الاولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود الا في سنة ١٩٣١ »[1] .

لذلك رأيت ان لا عذر لمن يكتب عن الجزائر وثورتها الجبارة ان اغفل الكتابة عن الامام أبن باديس ولتنويه بسيرته لان سيرته هي الجهاد الموصول مع جهاد الجزائر والباعث لثورتها ، فهو المصلح الكبير ، وصاحب الرسالة الثورية الاصلاحية ، وهو غارس جذور الثورة والحرية في نفوس شبابها وله اليد الطولى على نهضتها وتحررها وهو الذى حمل لواء التجديد والاصلاح الديني ومحاربة الاوهام والخرافات متأثرا بدعوة الامام محمد عبده وكانت أقواله ودعوته تصل الى تونس وتأثر بها علماء الزيتونة الذين درس على يدهم ابن باديس ، ولقد قضى حياته بعد تطوافه بالشرق العربي ، في محاربة البدع والقضاء على الخرافات ، ودعا الى

---

(١) جوانب من الحياة العقلية والادبية في الجزائر للدكتور طه الحاجري .

(١) مجلة المجمع اللغوي الجزء الحادي والعشرين ترجمة الابراهيمي بقلمه .

السلفية التي هي الاسلام السليم من كل شائبة ، وانشأ المدارس الحرة العربية فكان لهذه المدارس ولجهوده ونشاط زملائه فى نشر دعوته من جماعة العلماء ولا سيما زملائه الشيخ الابراهيمي والشيخ توفيق المدني والاستاذ الطيب العقبي الاثر الفعال في مناوءة الاستعمار ، واصدر مجلة (الشـــهاب) ذات الاهـــداف التبشيرية والتوعية لنفوس الجماهير الى مفاهيم الاسلام والى الحرية والانعتاق من ربقة الاستعمار ، فجمع شمل الامة ودفع بتعاليمه الجزائريين للنهوض ، ودعا الى التعليم والصناعة والتجارة ، كما دعا الى الرجوع الى منابع الدين الاساسية ، وكان شديد الحملات على العلماء الجامدين الذين راحوا يخدمون المستعمرين بالسكوت وعدم النهوض بالشعب الى ضرورة المقاومة الشعبية ، وحاولت السلطات الفرنسـية اغراءه وشراءه بالمناصب والرواتب ولوحت له بمنصب (رياسة الامور الدينيـة العليـا) في الجـزائر فرفض قبولها ، فناصبه الفرنسيون العداء ولولا مركز بيته وحرمة والده لزج بالمعتقلات كما فعل مـع غيره ولكنهم راحوا يقاومونه بسـد مدارسه وتهديد العمـال بأرزاقهم ان ارسلوا أولادهم الى تلـك المدارس واضطهده وقاومه العلماء الجامدون بايعاز من الفرنسيين ، ومع ذلك لم يتطامن لهـم ولم يكترث لما نالـه من أذى التهويش والاتهامات ولا رضـخ لقوتهـم وتهديداتهم واندفـع فى منهجـه الاصلاحي بهمـة ونشاط وظل الامل يراود نفسه الشجاعة فـي تحول المجتمع الجزائرى عـن طريق مدارسـه التى انتشرت فـي طول البـلاد وعرضها ، اراد ان يحوله مـن مجتمع متأثر بالثقافة الغربية مقلـد للغرب الى مجتمع اسلامي عربـي واع لما يدبر لـه الاستعمار من محو شخصيته ومحو لغته ونسيان قوميته ٠

وكان قيام جمعية العلماء المسـلمين حدثـا مشهودا له اثره وكان ذلك في العام الذى احتفل فيه الفرنسيون بمرور مائة عام على استعمار الجزائر وقـد راحوا ينظمون المهرجانات فـي مدى ستة اشهر كاملة تجلى فيها غرور الفرنسيين واستخفافهم بالشعب الجزائري بل وصلافتهم وظهرت من بعض مسؤليهم تصريحات دلت على قحتهم وتعصبهم الصليبي فقد جاء بخطاب احد كبار ساستهم قولـه : « لا تظنوا ان هذه المهرجانات من بلوغنـا مائة سنة في

هذا الوطن ، فقد اقام الرومان فيه قبلنا ثلاثة قرون ومع ذلك خرجوا منه • الا فلتعلموا ان مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الاسلام بهذه الديار » •

كانت هذه المهرجانات تحديا سافرا صارخا لمشاعر الدين والقومية مما أثار الجزائريين واهاج خواطرهم فاتخذ منها ابن باديس وصحبه فرصة لتذكير الجماهير بمآسي الاستعمار وجنايته على الدين والكرامة ، يقول الابراهيمي :

« فاستطعنا بدعايتنا السرية ان نفسد عليها كثيرا من برامجها فلم تدم الاحتفالات الا شهرين واستطعنا بدعايتنا العلنية ان نجمع شعب الجزائر حولنا ونلفت انظاره الينا » وقبل ان ابدأ بذكر تأسيس جماعة العلماء اود ان ازيد القارىء الكريم علما عن نشاط ابن باديس قبل قيام الجمعية ولا ترك الشيخ الابراهيمي يقص علينا هذا النشاط والمسعى ، قال :

« وشرع الشيخ بعد رجوعه من اول يوم ، في تنفيذ الخطوة الاولى من البرنامج الذى اتفقنا عليه ، ففتح صفوفا لتعليم العلم ، واحتكر مسجدا جامعا من مساجد قسنطينة يعرف بالجامع الاخضر• لالقاء دروس التفسير ، وكان اماما فيه ، دقيق الفهم لـكتاب الله فما كاد يشرع في ذلك ويتسامع الناس به ، حتى انهال عليه طلاب العلم من الجبال والسهول ، الى ان ضاقت بهم المدينة ، واعانه على تنظيمهم وايوائهم ، واطعام المجاويع منهم ، جماعة من اهل الخير ومحبي العلم ، فقويت بهم عزيمته ، وسار لا يلوى على صائح ، واشتعلت الحرب العالمية الاولى وهو في مبدأ الطريق ، فاعتصم بالله فكفاه شر الاستعمار ، وكان له من وجود والده درع ووقاية من بطش فرنسا التي لا تصبر على اقل من هذه الحركات ، وكان لوالده مقام محترم عند حكومة الجزائر ، فسكتت عن الابن احتراما لشخصية الوالد ، وظهرت النتائج المرجوة لحركته في السنة الاولى، وكانت في السنة الثانية وما بعدها اكبر ، وعدد الطلبة اوفر الى ان انتهت الحرب ورجعت الى الجزائر ••• ورأيت بعيني النتائج التي حصل عليها ابناء الشعب الجزائرى في بضع سنوات من تعليم ابن باديس ، واعتقدت من ذلك اليوم ان هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها ، وان هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن

باديس هي حجر الاساس في نهضة عربية في الجزائر ، وان هذه المجموعة من التلاميذ التى تناهز الالف هى الكتيبة الاولى من جند الجزائر ، ولمست بيدي اثار الاخلاص في اعمال الرجال ، ورأيت شبابا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد اصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة[1] ، وتركيب عربي ومعان بليغه ، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الامة ، واوصاف رائعة في المجتمع الجزائرى ، وتشريح لادواته ، ورأيت جماعة اخرى من اولئك التلامذة ، وقد اصبحوا يحبرون المقالات البديعة في الصحف فلا يقصرون عن امثالهم من اخوانهم في الشرق العربي واخرين يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية فيرتجلون القول البليغ المؤثر ، والوصف الجامع ، ويصفون الدواء الشافى بالقول البليغ » . فلما عاد البشير الابراهيمى والطيب العقبى وانضم الى الثلاثة الاستاذ احمد توفيق المدنى قويت الحركة وشدوا من عضد الدعوة الى الاسلام والعروبة والى توعية الجزائريين في ضرورة مقاومة الاستعمار واظهار الشخصية الجزائرية التي يعمل الفرنسيون الى اذابتها والى محوها وتعددت مراكز النشاط الى انحاء مختلفة فكان الابراهيمى يتولى الدعوة والارشاد في « اسطيف » وتوفيق المدني في « مدينة الجزائر » والطيب العقبي في « بسكرة » وبقي مركز ابن باديس في قسنطينة واتباعها ، وراح كل واحد منهم يعمل في نشر الدروس والقاء المحاضرات التاريخية والدينية ويطعمها بالسياسة والتوعية الوطنية .

واتخذت الجمعية الى جانب النشاط التعليمي الصحافة اداة لها تعبر عنها ، ويمارس خريجوها الكتابة في الخط الذى التزمته الجمعية ، فانشأ ابن باديس صحيفة باسم (المنتقد) فما عتمت ان اغلقها الفرنسيون فاصدر مجلته (الشهاب) والتي صدر منها في حياته ١٥ مجلدا وذلك من سنة ١٩٢٤ ، كما انشأ الطيب العقبي في « بسكرة » جريدة الاصلاح سنة ١٩٢٧ .

واتجهت الحركة الى انشاء الاندية التى تتيح لجماعات

---

(١) ان الذين كانوا ينظمون باللهجة العامية كثيرون وهي كامة الواسطة لانتقال الافكار ضد الاستعمار أو كان الشعراء ينظمون أفكارهم وأحاسيسهم بالفرنسية.

الجزائريين المثقفين ان يلقى فيها بعضهم بعضا ، ويتحدثون ويتسامرون ، ويكشف كل واحد منهم عن ذات نفسه ، ويفضي اليه بما يعرف ويرى »(١) من هذه الاندية نادى الترقي .

ويرى الاستاذ المدني ان فتح هذا النادى كان حدثا من الاحداث الخطيرة فقد كان له التاثير العظيم على الحياتين السياسية والاجتماعية فكانت قاعاته الفسيحة تجمع النخبة المفكرة من متعلمي العاصمة (الجزائر) ويؤمها الكثيرون من خارجها وكانت المسامرات والمحاضرات والحفلات تتوالى فيه ويقبل الناس عليها اقبالا عظيما(٢)

وكانت هذه الاندية تتيح للجمعية واعضائها من وجوه النشاط ما لا تتيحه المساجد بطبيعتها وانها للعبادة والدراسة فقط ، ومما انشىء في السنة الثانية من تأسيس الجمعية نادى (الاتحاد) بقسطنطينة في السادس عشر من تموز ١٩٣٢ وكان يوم افتتاحه يوما مشهودا بما اجتمع فيه من الشخصيات وما القي فيه من الخطب والشعر وكان من خطبائه الدكتور محمد صالح بن جلول رئيس النادى والامام عبدالحميد بن باديس والبشير الابراهيمي والاستاذ مبارك بن محمد الميلي والاستاذ العربي بن بلقاسم .

قيام جمعية العلماء المسلمين

وصف البشير الابراهيمي الخطوات التى اكتنفت تأسيس الجمعية بقوله :

« تكامل العدد ، وتلاحق المدد ، العدد الذي نستطيع ان نعلن به تأسيس الجمعية ، والمدد من اخوان لنا كانوا بالشرق العربي مهاجرين او طلاب علم ، فاعلنا تأسيس الجمعية في شهر مايو (مايس) سنة ١٩٣١ على قواعد من العلم والدين ، لا تثير شكا ، ولا تخيف . وكانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم ، وتعتقد انا لا نضطلع بالاعمال العظيمة ، فخيبنا ظنها والحمد لله .

دعونا فقهاء الوطن كلهم وكانت الدعوة التى وجهناها اليهم باسم الامة كلها ، ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باريس ، لان اولئك الفقهاء كانوا يخافوننا ، لما سبق لنا من الحملات الصادقة على

---

(١) جوانب من الحياة الفكرية والادبية في الجزائر .

(٢) انظر الفصل الذى كتبه احمد توفيق المدني في كتابه الجزائر عن الاجتماعات.

جمودهم ، ووصفنا اياهم بانهم بلاء على الامة وعلى الدين ، لسكوتهم عن المنكرات الدينية ، وبأنهم مطايا الاستعمار ، بذل الامة ويستعبدهـ باسمهم ، فاستجابوا جميعا للدعوة ، واجتمعوا في يومها المقـــرر ، ودام اجتماعنا في نادى « الترقي » بالجزائر اربعة ايام ، كانت مـن الايام المشهودة في تاريخ الجزائر ولما تراءت الوجوه وتعالت اصوات الحق ، ايقن اولئك الفقهاء انهم ما زالوا في دور التلمذة ، وخضعوا خضوع المسلم للحق ، فاسلموا القيادة لنا فأنتخب المجلس الادارى من رجال اكفاء ، جمعتهم وحدة المشرب ، ووحدة الفكرة ووحـــدة المنازع الاجتماعية والسياسية ، ووحدة المناهضة للاستعمار ، وقـد وكل المجتمعون ترشيحهم الينا ، فانتخبوهم بالاجماع وانتخبوا ابن باريس رئيسا وكاتب هذه الاسطر وكيلا نائبا عنه ، واصبحـــت الجمعية حقيقة واقعة قانونية وجاء دور العمل[1] .

اهداف الجمعية

تكتب بالعربية

بعد ان اصبحت الجمعية حقيقة قائمة واجيزت رسميا وصار لها كيان قانوني حرص البشير الابراهيمي ان يكتـــب لائحتـــها وأهدافها باللغة العربية والمتعـارف ان اللوائح لا تكتب عنـدهم الا بالفرنسية ، ووقر في اذهان القانونيين منـــذ عهد بعيـــد ان اللوائح لا تكتب بالعربية وانها غير قادرة على المحتوى القانوني ، فجـاءت صياغة هذه اللائحة حدثا من الاحداث حرصت الجمعية عـــلى ابرازه لتعلن للناس ان العربية صالحة للتعبير عن القاوتن والعلـــوم وان تختار مفرداتها لا تقف امامها لغة اخرى فدعـــت رجـــال القانـــون والصحافة من الذن يتأدبون بالفرنسية ويتقاضون بها ويحسبـــون ان العربية من التخلف بدرجة لا تنهض بالتعبير من المواد القانونية فكانت دهشتهم كبيرة مما اثار اعجاب الصحفيين والقانونيين الذين لم يملكوا الا ان يقولوا (في نهاية عرض اللائحة بأن العربية اوسع

---

(١) وانتخب الاستاذ احمد توفيق المدني كاتم السر العام والاعضاء الاداريون من السادة : الطيب العقبي والاربعة الاول هم المؤسســون ، والباقون الذين عرفناهم هم : المبارك الميلي والعربي التبسي ، ومحمد السعيد الزاهري ، والهادى السنوسى الزاهري ، والامين العمودى ، والفضل الورتيلاني والشاعر محمد العيد ، والمولود بن الصديق الحافظي .

اللغات وانها اصلح لغة لصوغ القوانين ومرافعات المحامين وكانما دخلوا في الاسلام من ذلك اليوم (١) .

وقد حرصت الجمعية وحرص رئيسها على انتهاج فكرة بارزة هي تجنب الاصطدام بالمستعمرين وان تتجنب السياسة وتقتصر سياستها على التعليم والاصلاح الديني والتوعية الاجتماعية وكانت مواد نظامها الداخلي هي :

١ ـ تنظيم حملة جارفة على البدع والخرفات والضلال في الدين ، بواسطة الخطب والمحاضرات ، ودروس الوعظ والارشاد ، في المساجد والاندية ، والاماكن العامة والخاصة حتى في الاسواق (ان لزم الامر) والمقالات في جرائدنا الخاصة التى انشاناها لخدمة الفكرة الاصلاحية .

٢ ـ الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار ـ فيما تصل اليه ايدينا من الاماكن وفي بيوت الاباء ، ربحا للوقت قبل بناء المدارس .

٣ ـ تجنيد المئات من تلامذتنا المتخرجين ، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم ابناء الشعب .

٤ ـ العمل على تعميم التعليم العربي للشبان ، على النمط الذى بدأ به ابن باديس .

٥ ـ مطالبة الحكومة برفع يدها عن مساجدنا ومعاهدنا التى استولت عليها لتستخدمها في تعليم الامة دينها وتعليم ابنائها لغتهم .

٦ ـ مطالبة الحكومة بتسليم اوقاف الاسلام التى احتجزتها ووزعتها على معمريها لتصرف في مصارفها التي وقفت عليها (وكانت من الكثيرة تساوي ميزانية دولة متوسطة) .

٧ ـ مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الاسلامي في الاحوال الشخصية مبدئيا .

٨ ـ مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين المدنيين ، الخ ...

وكانت وسائل تنفيذ خطتها وتطبيق منهجها في انشاء المدارس وابتناء المساجد والنوادى والصحافة لنشر الثقافة العربية والوعي

---

(١) البشير الابراهيمي من حديثه عن الجمعية .

الديني والاجتماعي الذي يتوقف عليهما الوعي السياسي وظلت الجمعية بجهود اعضائها وعلى رأسهم رئيسها ابن باريس تفرض نفوذها على ابناء الشعب وتوقظ فيه الشعور بشخصيته ازاء الاستعمار وخططه القاضية بالادماج وقد تجلى نشاطها في هذا الصدد اثناء تصلبها في موقفها في المؤتمر الاسلامي ومعارضتها الشديدة للادماج ولكن صوتها بدأ يخفت في الايام الاولى من الحرب الثانية : وقبيل الحرب دعي الشيخ عبدالحميد من قبل حاكم قسنطينة فقال له فيما قال يستشف رأيه ايها الشيخ (ان العالم كما ترى ـ مقبل على الحرب فكيف ترى مصيرها ومصير الجزائر معها في المعركة) فأجاب الشيخ : (ان الجزائر ثلاث طبقات طبقة الاكثرية وقد قتلتم احساسها بالحياة فلا تفرق بين فرنسا وابن باريس ، وطبقة الاقلية الواعية ، وقد ملأتم افواهها بعظم الوظيف تلوكه بين اشداقها وهي تحسبه غذاء ، وطبقة المعزولين ، يعيشون للمستقبل ولا خطر منهم على دولتكم اليوم) ويعني بالمعزولين اعضاء جمعية العلماء ، وقررت الهيئة العليا للحزب توقيف صحافتها اثناءالحرب وقرروا السكوت ، « لما تجهمت الايام وتنكرت الاحداث واشتبهت المسالك ولوح لها ان تجرى على ما يراد بها لا على ما تريد » حتى كاد ان يختفي صوتها بعد وفاة رئيسها واعتقال الرئيس الثاني البشير الابراهيمي ..

وكان الامام ابن باريس محور الحركة وباعث نهضة الجماعة وان ابعد اثرا على الاستعمار من المدفع ومن القنابل انه من الرواد الاوائل المصلحين لا يقل اثره عن جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا وربما كان اثره في نهوض الجزائريين اعمق من اثر اولئك العلماء المجددن في شرقنا الاسلامي العربي ، انه واحد من اولئك المجددين الذين دعوا الى ان يعود المسلمون الى القرآن ويتفهموا هدايته ومبادئه فانه افضل نظام لحياة الانسان دنيا واخرى ورأوا القرآن صالحا لمسايرة التطور في كل عصر وعلى هذا المنهج والتوعية سار ابن باريس في تفسيره (في مجالس التذكير) واتخذ هذا الرأي قاعدة فيما فسر وشرح وصفه الدكتور محمد البهي بقوله[١] .

---

(١) مقدمة تفسير بن باديس .

(اتخذ هذا الرأى قاعدة فيما شرح ودستورا لقوله ومنطقة فيما دعا وتحدث ، وسنة للعمل فيما طبق ٠

لم ينافق ولم يمالى ولم يطلب دنيا بدين ولا متاعا عارضا بأيمان ولم يلبس في تذكيره ومجلسه وفي رسالته لباس الحرفة والمهنة ولم يخدع نفسه ومواطنيه)

« وكان مصدر حياة لجيل الثورة الجزائرية ومبعث للاسلام والعروبة فيها فهو الاب والمعلم والرائد والكاتب والقدوة بعمله وايمانه قبل منطقه وحديثه ٠

ولم يكن في حياته التى عاشها بأحسن حالا من جمال الدين الافغاني ولا من رشيد رضا فلم يذق فيها الا مرارة المؤمرات والمناورات ولم يسمع فيها الا صوت النشاز ممن احترفوا الدين لخدمة الاستعمار ولم ير فيها الا صنوف القسوة من المستعمرين ٠

ان عبدالحميد بن باريس لم يكن شخصا وانما كان قبسا من نور الله كشف به ظلام الاستعمار في الجزائر وهدى به قوما كادت تضلهم ظلمته وتيئسهم محنته ، واصبحوا اقوياء بعد ضعف ووحدة بعد فرقة واصحاب امل في الحياة بعد بأس منها ٠

وطالما كتاب الله باق فيهم وهو ذلك الكتاب الذى اشع به النور عبدالحميد بن باريس فانهم لن يضلوا ولن يتفرقوا ولن ييأسوا ابدا » ٠

مقاومة ابن باديس للاندماج

كان الشكل الذى اتخذته جمعية العلماء التى اسسها الامام ابن باديس واصحابه سنة ١٩٣١ في وقت مقارب لنشأة جمعية شمال افريقيا ، شكلا غير سياسي وكان عملها الاساسي والظاهرى دينيا تدعو الى الرجوع الى القرآن والسنة وهاجمت رجال الدين المروجين للخرافات واتباع الاستعمار فكان النهج الذى اتخذته لنفسها ولمدارسها يحميها بعض الشىء من ملاحقة الاستعمار واستبداد حكامه ولكنا ما عتمت ان اصطدمت بالمستعمرين وذلك بسبب الظروف التى تجتازها الجزائر وما كان يتمخض فيها من احداث ونشاطات ترمي الى تكوين جمعية ظاهر امرها تطبيق اصلاحات

جذرية روجت لها فرنسا نفسها على لسان اتباعها فتكون في ١٩٣٦ برنامج عرف ببرنامج « فيوليت » ، ويقضي هذا المشروع بالادماج التدريجي للشعب الجزائرى وكان يروج له بعض المثقفين بالفرنسية فسارعت جمعية العلماء وشاركت في الموءتمر الاسلامي الجزائرى لابطال تلك الفكرة الخطرة ورفض الاندماج ، واعلن الامام ابن باديس رأيه (اننا نرى ان الامة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر امم الارض وهي لا تزال حية ولم تزل ولهذه الامة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والقبيحة كمثل سائر امم الدنيا وهذه الامة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد ان تصبح هي فرنسا ولو جنسوها)

وهاجم ابن باديس التيار اليسارى هجوما شديدا ويقول (ان هذا الاستقلال كما نراه وليس الاستقلال الدموى كما يراه اعداوءنا ونعتقد انه يمكننا الاعتماد في الوصول الى هذا الاستقلال على الوقت وبصمودنا) ورد على القائلين بابعاد الدين في الطابع العام الذى ترتكز عليه الاحزاب كي يشمل الاستقلال غير المسلمين من اوربيين وغيرهم ، فرد عليهم ابن باديس بعنف وفند هو والابراهيمي هذه المزاعم ورمي دعاتها بالجبن والتخاذل ومخالفة الرأي العام الجزائري المتدين ، ولذلك فان الادارة الفرنسية ناصبت جمعية العلماء العداء وحاربت رجالها واضطهدت مدارسها وقد اشرت الى ذلك فيما مر • ويوم احتفلت فرنسا بمرور مائة عام على احتلالها للجزائر وزعمت ان الجزائر اصبحت فرنسية عن طواعية واختيار لغة وارضاواخلاقا رفعت جمعية العلماء شعارها (الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا ، وانشد الامام ابن بادس نشيده الوطني فاصبح يردده الشعب الجزائرى بأجمعه •

خصائص تفسير ابن باديس

كتب الامام الشيخ بشير الابراهيمي وصفا لخصائص تفسير ابن باديس نقتبس منه هذه الفقرات والابراهيمي اعرف الناس بابن باديس وبمنهجه قال رحمه الله •

« كان للاخ الصديق عبدالحميد بن باديس » رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كانه حاسة زائدة خص بها يرفده ــ بعد الذكاء المشرق والقريحة الوقادة والبصيرة النافذة ــ بيان ناصع واطلاع واسع وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية وباع مديد في علم الاجتماع ورأي سديد في عوارضه وامراضه ، يمد ذلك شجاعة في الرأى وشجاعة في القول لم يرزقهما الا الافذاذ المعدودون في البشر

وله في القرآن رأى بني عليه كل اعماله في العلم والاصلاح والتربية والتعليم وهو انه لافلاح للمسلمين الا بالرجوع الى هديه والاستقامة على طريقته وهو رأى الهداة المصلحين من قبله ٠

وكان يرى ــ حين تصدر لتفسير القرآن ــ ان في تدوين التفسير مشغلة عن العمل المقدم لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد ، وكان رحمه الله يستطيع ان يجمع بين الحسنيين لولا انه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل وتربية امة ومكافحة امية ومعالجة امراض اجتماعية ومصارعة استعمار يؤيدها فاقتصر على لتفسير درسا ينهل منه الصادى ويتزود منه الرائح والغادى ، وعكف عليه الى ان ختمه في خمس وعشرين سنة » ٠

وفي حفلات التكريم للامام ابن باديس حين ختم دروسه في التفسير وقد حضرت الوفود الى قسنطينة من مختلف انحاء البلاد ولقيهم اهل قسنطينة بالحفاوة وكرم اللقاء وبشاشة المظهر واكرام المثوى واغداق الضيافة فكان ان سال بعض العلماء اية اية تصلح ان تكون عنوانا على القرآن كله بحيث اذا كتبت على ظهر المصحف كانت تعريفا كاملا به شاملا لحمد المعاني الكلية التي يجدها المتصفح فيه فكان جواب الامام : هي قوله تعالى :

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولو الالباب) ٠

نموذج من نهج الامام ابن باديس
ـ في التفسير ـ(١)

قال تعالى :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شانهم ، فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم ، لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم »

(آيتان ٦٢ ، ٦٣ من سورة النور)

الالفاظ :

(الامر الجامع) هو الحادث الذى يتطلب الاجتماع بطبيعته فيجمع الامام الناس من اجله ، من ذوي الرأي والمعرفة بمثله والخبرة والتجربة فيه ، من كل ما يعم نفعه او ضرره من امور السلم والحرب ، وشوون الحياة والاجتماع ، ليتشاوروا فيما بينهم ويستعينوا بعضهم برأى بعض ، (الاستئذان) هو طلب الاذن من الامام بمفارقة الاجتماع لعذر قاض بالمفارقة .

المعنى : ـ

يأمر الله المومنين اذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع الا يفارقوا محله كلهم او بعضهم الا بأذنه ، واكد هذا الامر بما وطأ له من ذكر الايمان بالله ورسوله تنبيها على انه من مقتضاهما ، ويقرنه بهما وجعله ثالثا لهما تعظيما وتنبيها على ملازمته لهما من صدق فيهما حتى كان غير المستأذنين هم دون غيرهم وبإعادته في الجملة الثانية بيان ان الذين يستأذنونهم دون غيرهم الثابتون في ايمانهم المستمرون عليه تعريضا بالذين لا يستأذنون

(١) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص٤٢٦-٤٣٠ .

وتقييما لحالهم بأنهم لا ثبات لهم في الايمان ولا استمرار منهم على العمل به فليسوا بالمومنين ولا بالذين يومنون .

ثم جعل الخيار لرسوله في الاذن وعدم الاذن لهم اذا استاذنوه لبعض شأنهم تعظيما لامر الاجتماع وتعظيما للصالح العام ، وتوكيدا لحق الامام على الجماعة لحفظ الاجتماع وتقييم الاعمال .

ثم امره ان يستغفر لهم فقد يكون العذر دون الاضطرار . وقد يكون ما فاته من بركات الاجتماع وحسنات المشاركة فيه بالرأي والاهتمام وتكثير السواد ـ بسبب ذنب كان منهم في امر غير الاجتماع . واكد هذا الامر بانه الكثير المغفرة لعباده الدائم الرحمة بهم .

الاحكام : ـ

لما كان الاجتماع ، شرع للمصلحة والذهاب ، بدون استئذان حرم للمفسدة ، فالمشروعية والتحريم دائمان بدوام المصلحة والمفسدة ، فاحكام الاية مستمرة الاحكام عامة للمسلمين في كل زمان ومكان مع ائمتهم وقادتهم المقدمين ، منهم فيهم في كل ما يعرض من اجتماع لصالح عام .

فمن احكام الآية

١ ـ ان على المسلمين وذوي القيادة فيهم اذا نزل بهم امر هام ، ان يجمعوا جماعة المسلمين الذين يرجى منهم الرأى والعمل ،فيما نزل ، فلا يجوز لهم ان يهملوا امرهم ، ولا ان يستبدواعليهم .

٢ ـ وان على المسلمين ان يجتمعوا اليهم ويكونوا معهم ، يظاهروهم ويؤيدوهم ، وينصحوا لهم ، فلا يجوز لهم ان يتخلوا عنهم ولا ان يخذلوهم .

٣ ـ ون على المجتمعين الا يذهب واحد منهم الا باذن .

٤ ـ والا يستأذن الا لعذر ببعض الشأن .

٥ ـ وان على الامام ان ينظر في الاذن وعدمه فيفعل ما هو اولى .

توجيه وارشاد :

انما ينهض المسلمون بمقتضيات ايمانهم بالله ورسوله اذا كانت

لهم قوة ، وانما تكون لهم قوة اذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة ، لهذا قرن الله في هذه الاية بين الايمان بالله ورسوله والحديث عن الجماعة وما يتعلق بالاجتماع فيرشدنا هذا الى خطر امر الاجتماع ونظامه ولزوم الحرص والمحافظة عليه كاصل لازم للقيام بمقتضيات الايمان وحفظ عهود الاسلام ٠

موعظة : ـ

ما اصيب المسلمون في اعظم ما اصيبوا به الا بأهمالهم لامر الجماعة والاجتماع ونظامه اما بأستبداد ائمتهم وقادتهم ٠ واما بافتقار جماعتهم بضعف روح الدين فيهم وجهلهم بما يفرضه عليهم وما ذاك الا من سكوت علمائهم وقعودهم عن القيام بواجباتهم في مقاومة المستبدين وتعليم الجاهلين ، وبث روح الاسلام ، الانساني السامي ، في المسلمين ٠

فعلى اهل العلم ، وهم المسوءولون عن المسلمين بما لديهم من ارث النبوة فيهم ـ أن يقوموا بما ارشدت اليه هذه الآية الكريمة ، فينفخوا في المسلمين ، روح الاجتماع الثوري في كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم ، حتى لا يستبد بهم مستبد ، ولا يتخلف منهم متوان ، وحتى يظهر الخاذل لهم ، ممن ينتسب اليهم ، فينبذ ويطرح ، ويستغنى عنه بالله ، بالموءمنين ٠

موازنة وترجيح :

هنالك المصلحة العامة وهناك المصلحة الخاصة ، ومحال ان تساوى هذه بتلك ، انظر الى الذكر الحكيم كيف عبر عن الاولى بالامر الجامع ، وفي هذا ما فيه من تفخيم عبر عن الثانية ببعض الشان ، وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل ٠

وفي قرنها بالاستغفار تنبيه على ترجيح الاولى على الثانية وانها ما كانت تعتبر الا على وجه الرخصة والاستغراق في الاهتمام التدبير للمصلحة العامة احق واولى ٠

امتثال ورجاء :

لنجعل المصلحة العامة غايتنا ، والمقدمة عندنا حتى لا يكون ـ ان شاء الله ـ في مصالحنا الخاصة ما يصرفنا او يشغلنا عنها ،

راجين من الله أن يعيننا على ما قصدناه ، وأن يوفقنا الى استعمال كل مصلحة ، خاصة لنا في مصلحة عامة لنا ، ولاخواننا انه نعم الموفق والمعين .

وهذا نمط من تفكيره ودعوته توعيته للجماهير من مقال له بعنوان « واجب المسلمين العناية بتأريخهم ومدنيتهم » .

عناية القرآن بالعرب :

« وأما عناية القرآن بالعرب فلاجل تربيتهم لانهم هم الذين هيئوا لتبليغ الرسالة فيجب ان يأخذوا حظهم كاملا من التربية قبل الناس كلهم ، ولهذا نجد كثيرا من الآيات القرآنية في مراميها البعيدة .. اصلاحا لحال العرب وتطهيرا لمجتمعهم واثارة لمعاني العزة والشرف في نفوسهم ومن هذا الباب الايات التي يذكر بها العرب ان القرآن أنزل بلسانهم ، مثل :

« انا جعلناه قرآنا عربيا » و « انا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون » .

والذين يعقلون القرآن قبل الناس كلهم هم العرب ، ومن أول القصد الى العرب العناية بلسانهم وتنبيههم الى ان القرآن انزل بلسانهم دون جميع الالسنة جلبا لهم حتى يعلموا انه انزل لهم وفيهم قبل الناس كلهم .

عزة العرب بقوميتهم :

ان العرب قوم يعتزون بقوميتهم وهم قوم ذوو عزة واباء خصوصا في الجاهلية وكان من حكمة القرآن ان يجلب نافرهم ويقرب بعيدهم بان هذا القرآن انزل بلسانهم ، ومن هذا الباب توسعة الله في قراءة القرآن على سبعة احرف هي اللهجات التي تجتمع على صميم العربية وتختلف في غير ذلك ، وسع عليهم في ذلك لتشعر كل قبيلة ان هذا القرآن قرآنها لان اللسان الذي نزل به لسانها ، وهذا هو ما يقصده القران ومن هذا الباب ايضا اشعارهم بان صاحب الرسالة منهم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»

خصائص الطبيعة العربية :

فمن الطبيعة العربية الخالصة : انها لا تخضع للاجنبي في

شيء ، لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتهما .

لذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف ويحدثها كثيرا عن امة اليهود التي لا يناديها الا بيا بني اسرائيل تذكيرا لها بجدها الذي هو مناط فخرها .

كل ذلك لانها امة تحيا بالشرف والسمو والعلو ، ويذكرها بالذكر وهو في لسانها الشهرة الطائرة والثناء المستفيض ، يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن : « فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على سراط مستقيم » « انه لذكر لك ولقومك » والانبياء لم يبعثوا الا في مناسب الشرق ومنابع القوة ولمناسبة العزة ليبني المجد الطريف من الدين على المجد التليد من احساب الامة وأنسابها وشرفها وعزتها ، وما كان لها من مناقب تلتئم مع اصول الدين فقوله تعالى :

« وانه لذكر لك ولقومك » يعني انه شرف لكم ، وقومه هم العرب لا محالة .

اعباء التشريف :

ويقول بعد ذلك « وسوف تسألون » ليشعرهم ان عليهم من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي اعطوه ما ليس على غيرهم ، ولا شك ان ثمن المجد غال .

الاعباء واجبة التنفيذ :

وهذا الشرط الذي ذكره الله وذكر به العرب هو شرط واجب الاعتبار والتنفيذ ، لان الامة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه ، ثم هي امة لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها .

وانما ذكرهم الله بذلك لينهضوا بالامم على ذلك الاساس وهو احياء الشرف الانساني في نفوسها وليعاملوها على ذلك الاساس بالعدل والرحمة والتكريم ، وما ذكر القرآن العرب بتكريم بني ادم وخلقهم في أحسن تقويم الا ليعاملوها على هذه القاعدة التي وصفها الخالق وان اعداء البشرية اليوم وقبل اليوم يعمدون الى قتل الشرف من النفوس ليستذلوا من هذا النوع ما أعز الله ويهينوا منه ما كرم الله .

والخلاصة :

ان عناية القرآن باحياء الشرف في نفوس العرب ضرورية

لاعدادهم لما هيئوا له من سياسة البشر ، وبهذا نستعين على فهم الحكمة في اختيار الله العرب للنهوض بهذه الرسالة الاسلامية العالمية واصطفائه اياهم لانقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل وهذا السر هو ان ما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها والاعتداد بها هو الذي هيأهم لذلك ولو كانوا اذلاء لما تهيأوا لذلك العمل العظيم « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

« شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب »
« من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب »
« أو رام ادماجا له رام المحال من الطلب »

وبقيت الشعلة التي رفع شهابها ابن باديس يتقد لهبها حتى انار الجزائر كلها وانتشرت تعاليمه في الحواضر والبوادي وحمل الراية من بعده زميله الامام البشير الابراهيمي الرائد الثاني للاستقلال والقائد المظفر للكفاح المظفر والوطني الشجاع والمناضل في سبيل الحفاظ على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها من تاريخ ولغة ودين من عبث الاستعمار وعملائه .

الامام البشير الابراهيمي[١] :
١٨٨٩ ـ ١٩٦٥

ولد البشير الابراهيمي ونشأ بدائرة سطيف في قبيلة ريغه الشهيرة باولاد ابراهيم قرب بلدة رأس الوادي ، في بيت من بيوت العلم والادب والدين فتلقى دروسه الاولى على أهل بيته ولا سيما عمه الذى كان علامة جليلا بقية من مدارس الامير عبدالقادر الجزائري فتدرج بتدريسه العلوم العربية في سن مبكرة وحفظ القرآن الكريم والفية ابن مالك وهو دون الحادية عشرة من عمره ودرس شرح ابن معطي على الالفية وحفظ ديوان الحماسة وديوان المتنبي والكثير من شعر ابن خميس التلمساني شاعر المغرب والاندلس ، وخلف عمه في تدريس تلامذته وعمره لا يزيد على الرابعة عشر عاما ، وفي العشرين من سنه هاجر الى المدينة فرارا من مظالم فرنسا ، وكان من تأثير مدرسة عمه ان نشأ نشأة عربية

---

(١) جاء في ترجمته انه ولد ببجاية بالجزائر انظر ص١٥٦ من كتاب (المجمعيون) الجزء الثاني .

اسلامية وطنية ، فدرس على فطاحل علماء المدينة ولازم ثلاثة من كبار علمائها وهم الشيخ عبد العزيز الوزير احد افذاذ علماء الزيتونة وكان مجاورا ، والشيخ محمود الشنقيطي اللغوي المحدث والشيخ حمدان الونيس القسنطيني ، وكان شعله من الذكاء والالمعيه نادرة في جودة الفهم وسرعة الحفظ لا يقرأ شيئا الا وحفظه وما دخل مخه امر ونسيه كان ذا ذاكرة عجيبة لا يند عنها امر مهما بعد زمنه ، وأكمل دراسته على اولئك العلماء وحفظ اصول اللغة ومفرداتها وغريبها ، وانكب على القراءة ومطالعة امهات المصادر واتصل بالنهضة الحديثه ووفد ابن باديس الى الحج وجاور في المدينة فصحبه البشير ثلاثة شهور وفي هذه الاجتماعات تبلورت فكرتهما لانشاء مدارس التعليم وبث الاصلاح وهي الفكرة التي كانا قد تأثرا بها عن منهج الامام محمد عبده .

البشير الابراهيمي
يتحدث عن نفسه :

قال : « نشأت في بيت والدي كما ينشأ ابناء بيوت العلم . فبدأت في التعلم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري ، على التقليد المتبع في بيتنا ، الشائع في بلدنا ، وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا من حفاظ القرآن ، ويشرف علينا اشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله ذلك الزمان ، عمي شقيق والدي الاصغر ، الشيخ محمد المكي الابراهيمي ، رحمه الله ، وكان حامل لواء العربية غير مدافع ، من نحوها وصرفها اشتقاقها ولغتها ، أخذ ذلك عن البقية الصالحة من علماء هذه الفنون باقليمنا ، منهم العلامة المتقن الشيخ زبيع قرى اليعلاوي ، ومنهم العلامة الشيخ محمد ابو القاسم البز جليلي ، ومنهم العلامة الشيخ محمد ابو جمعة القلي ، خاتمة المتبحرين في العربية والفقه ، ولم يكن هؤلاء العلماء رحلوا الى الامصار الكبرى ذات الجامعات العلمية التاريخية ، كفاس وتونس والقاهرة ، وانما كانوا يتوارثون العلوم الاسلامية ، طبقة عن طبقة ، الى الاجيال المتخرجة من مدن العلم الموجودة بوطننا ، كبجاية ، وقلعة بني حماد ، وكلتاهما كانت منارا للعلم ومهجرا لطلابه ومطلعا لشموسه ، الى الفترة التي تبدأ بالاحتلال التركي ، وكان ائمة العلم لا يعتمدون

على الشهادات الرسمية ، وانما كانوا يعتمدون على الاجازات من مشايخهم الذين يأخذون عنهم ، فلما بلغت سبع سنين استلمني عمي من معلمي القرآن ، وتولى تربيتي وتعليمي بنفسه ، فكنت لا افارقه لحظة حتى في ساعة النوم ، فكان هو الذي يأمرني بالنوم، وهو الذي يوقظني منه ، على نظام مطرد في النوم والاكل والدراسة ، وكان لا يخليني من تلقين ، حتى اخرج معه واماشيه للفسحة ، فحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السن ، مع استمراري في حفظ القرآن ، فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القران مع فهم مفرداته وغريبه وكنت احفظ معه الفية ابن مالك ومعظم الكافية له والفية ابن معطي الجزائري والفيتي الحافظ العراقي في السير والاثر ، واحفظ جمع الجوامع في الاصول ، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني ، ورقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب ، واحفظ الكثير من شعر ابي عبد الله ابن خميس التلمساني شاعر المغرب والاندلس في السابعة ، أحفظ معظم رسائل بلغاء الاندلس، مثل ابن الشهيد ، وابن برد ، وابن ابي الخصال ، وابي المطرف بن ابي عميرة ، وابن الخطيب ، ثم لقنني عمي دواوين فحول المشارقة ورسائل بلغائهم ، فحفظت صدرا من شعر المتنبي ثم استوعبته بعد رحلتي الى الشرق وصدرا من شعر الطائيين ، وحفظت ديوان الحماسة ، وحفظت كثيرا من رسائل سهل بن هارون وبديع الزمان ، وفي عنفوان هذه الفترة كنت حفظته بارشاد عمي كفاية المتحفظ للاجدابي الطرابلسي ، وكتاب الالفاظ الكتابية للهمذاني ، وكتاب الفصيح لثعلب ، وكتاب اصلاح المنطق ليعقوب السكيت ، هذه الكتب الاربعة هي التي كان لها معظم الاثر في ملكتي اللغوية .

ولم يزل عمي - رحمه الله - يتدرج بي من كتاب الى كتاب تلقينا وحفظا ومدارسة للمتون والكتب التي حفظتها حتى بلغت الحادية عشرة ، فبدأ لي في درس الفية ابن مالك ، دراسة بحث وتدقيق ، وكان قبل ذلك اقرأني كتب ابن هشام الصغيرة قراءة تفهم وبحث ، وكان يقرئني مع جماعة الطلاب المنقطعين عنده لطلب العلم على العادة الجارية في وطننا اذ ذاك ويقرئني وحدي ويقرئني وأنا اماشيه في المزارع ، ويقرئني على ضوء الشمع وعلى قنديل

الزيت وفي الظلمة حتى يغلبني النـوم ، ولم يكن شيء من ذلـك يرهقني لان الله تعالى وهبني حافظة خارقة للعادة ، وقريحه نيرة ، ذهنا صبورا للمعاني ولو كانت بعيدة ، ولما بلغت أربع عشرة سنة مرض عمي مرض الموت ، فكان لا يخليني من تلقين وافادة وهو على فراش الموت بحيث اني ختمت الفصول الاخيرة من الفية ابن مالك عليه وهو في تلك الحالة[١] .

ويصف عمله بعد أن عـاد الى الجزائر واتصل بابن باديس وبعد ان اخذ كل واحد من الاربعة المؤسسين لفكرة جمعية العلماء ، هم ابن باديس والبشير الابراهيمي والطيب العقبي واحمد توفيق المدني ، قال : (وحللت بلدي ، وبدأت من أول يوم في العمل الذي يؤازر عمل اخي ابن باديس ، بدأت أولا بعقـد الندوات العلميـة للطلبة والدروس الدينية للجماعات القليلة ، فلما تهيأت الفرصة انتقلت الى القاء الدروس المنتظمة للتلامذة المـلازمين ، ثم تدرجت لالقـاء المحاضرات التاريخية والعلمية على الجماهير الحاشدة فـي المدن العامرة ، والقرى الاهلة ، والقاء دروس في الوعظ والارشاد الديني كل جمعة في بلد ، ثم لما تم استعداد الجمهور الذي هزته صيحاتي الى العلـم اسست مدرسـة صغيرة لتنشئة طائفة مـن الشبان نشأة خاصة وتمرينهم على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالغـذاء الضروري من العلم ، وكانت أعمـالي هذه في التعليم الذي وقفت عنايتي عليـه فاترة احيـانا ، لخوفي من مكايد الحكومة الاستعمارية ، اذ ليس لي سند آوي اليه ، كما كان لاخي ابن باديس ، كانت حركاتي منذ حللت بأرض الوطن مثار ريب عند الحكومة ومبعث شكوك ، حتى صلاتي وخطبي الجمعية ، فكنت اتغطى لها بألوان مـن المخادعة حتى اني تظاهرت لهـا عدة سنين بتعاطي التجارة ، وغشيان الاسواق لاطعام من أعولهم مـن أفـراد اسرتي ، ولكنها لم تنخدع ولـم تطمئن الى حركتي فكـان بوليسها يلاحقني بالتقارير ويضيق الخناق عـلى كل من يزورني من تونس أو الحجاز ، كل هذا وانا لم أنقطع عن الدروس لطلاب العلم بالليل[١] وكان من اثر قيـام جمعيـة العلماء ان افسـدت على الفرنسيين احتفالاتهم بمناسبة مرور مائة سنة على غزوهم الجزائر

(١) مجلة المجمع اللغوى الجزء الحادى والعشرون من ١٣٦ وما بعدها .

ويقـول (فاستطعنا بدعايتنا السرية ان نفسـد عليها كثيرا مـن برامجها فلم تدم الاحتفالات واستطعنا بدعايتنا العلمية ان نجمـع شعب الجزائر حولنا ونلفت الانظار الينا) وهكذا حقق ابن باديس واخوانه نجاحا بعيد المدى في مواجهة الاستعمار بما احبطوا مـن خططه ، فلما وجدوا القدرة على المواجهة علانيـــة شرعوا بتنفيـذ فكرتهم التي نبتت في اذهانهم منذ عهد بعيد وخرجت حركة انشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مرحلة الاعداد والتهيئة الى مرحلة التنفيذ والتنظيم .

يقول أحمد توفيق المدني :

« ولم نكن الا أربعـة رجال عندما أخذنا في ركن مـن أركان النادي نضع الاسس لتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين »(١).

واستنار ذهنه منذ شبابه الاول بما كان يقرأ فهو طلعة قـرأ المجلات والجـرائد وقرأ طبيعة الاسـتبداد للكواكبي واتخـذ مدرسة المصلح الكبير جمـال الدين الافغـاني والامام محمد عبـده مبدأ له في الاصلاح الديني الاجتماعي وكان معجبا بمصطفى كامل ووطنية عرابي فاتخذ من منهجهما مبدءا له في محاربة الاســتعمار والدفاع عن شخصية الجزائر وكل البلاد العربية والاسلاميـة التي ابتلاها الله بالاستعمار .

وحين بدأت الامور تعنف وتأخذ شكلا عنيفا بين الاتراك والعرب وبدأت سياسة الاتحاديين في البطش بأحرار العرب فارق المدينـــة وانتقل الى الشام فعلم في التجهزية وفي بعض المعاهد والقى دروسـه في مساجدها وكان من أبرز المفكرين الذين التفوا حول الامير فيصل وازره في الشام وشارك في تأسيس المجمع العلمي لتعـريب الادارات الحكومية ، ولتسيير شؤون الدولة العربية الناشئة وحاول الملـك فيصل ان يعينه في منصب كبير في المدينة ، فرأى البشير ان الجزائر بحاجة الى ابنائها ليشدوا من أزرها ويأخذوا بيدها الى الحفاظ على عروبتها واسلامها ، فاتصل فور رجوعه برائد النهضة الامام ابـن باديس ، وباخوانه وراح يعمل باجتهاد واخلاص متكاتفا مع اعضاء

---

(١) المصدر السابق ، انظر ص١٢٢_١٢٣ محاضرات الدكتور طه الحاجري عن الحركة الفكرية في اجلزائر .

جمعية العلماء حين تأسيسها ، وكان من ابرز اعضائها العاملين .

« وكان هو وابن باديس صاحبي الافكـــار الحقيقية التـــي كافحت لتخليص الشعب الجزائري مـن الاستعمار الثقافي الذي فرضته فرنسا فنظم حربا على البدع والخرافات في الدين وطالب بتعليم اللغة العربية للتلاميذ وطالب باستقلال القضاء الاسلامي في الاحوال الشخصية وبعدم تدخل الحكومة في تعيين الموظفين . وقـد أصبح الشعب الجزائرى بفضل جمعية العلماء التي كان هو أبرز اعضائها يعرف حقوقه »(١) .

كانت عمالة وهران المركز المعين لجهاده وحركته الدينيـــة والوطنية فما لبث ان عمم الحركة في جميـع مدن العمالة ، فانشأ المدارس والمساجد والنوادى العربية فيها ولقي من المستعمرين عنتا قابلوا نشاطه بالمقاومة فأغلقوا النوادي وسجنوا العلماء العـــاملين فلم يفل ظلمهم من عزمه ولا ثنوه عن جهـــاده ولقي منهـــم ومن مقاومتهم وعنتهم ما تهن له عزائم الرجال فلم يزدد الا مضيا فيمـــا ندب لــه نفسه .

وفي اثنـــاء الحرب الثانية ساوموه كما ساوموا بقيـة اعضاء جمعية العلماء عـلى التعاون معهـم بابقاء صحفهم لينشروا فيهـــا ما يؤيدهم ولكن العلماء رفضوا التعاون معهم واوقفوا صحفهـــم حتى لا تكون الة بيد السلطة الاستعمارية تسخرها لرغباتهم .

وحاولوا اغراء الابراهيمي في تحرير الصحف التي انشأوها أو ان يتعاون بالقاء المحاضرات عن طريق الاذاعة مقابل منح مغـرية فرفض طلبهم وخيب املهم فقرروا نفيه الى معتقل « افلو » الرهيب مكث في المعتقل ثلاث سنين تحت الضغط والارهاق والحرمان فلم يضعف ولم يبدل من اصراره .

وعلى أثر خروجه من الاعتقال قامت حركة « احباب البيان » وحدت تحت لوائها كل المنظمات الوطنية وزعمائها واتحد الشعب اتحادا كاملا سنة ١٩٤٤ وغايتها اعداد الامـة وتهيأتها للمطالبـة بحريتهـــا واستقلالها بالمفاوضة والحسنى والا فبالقوة والثـــورة المسلحة والحرب على أبواب انتهائها وقـد وضح النصر للحلفاء والجيش الفرنسي يضم عشـــرات الالاف من الجـــزائريين الذين

---

(١) المجمعيون ص١٥٦ .

ناصروا حركة تحرير فرنسا وهزموا النازية من ربوعها ، وراح الشعب يتسلح وقامت المظاهرات ٨ ماي ١٩٤٥ في مدن الجزائر فانقض عليها الفرنسيون المستوطنون الكولون واغتالوا عددا كبيرا بلغ زهاء « ٤٥٠٠٠ » شهيدا فاعتبر الامام البشير بصفته رئيسا للجمعية احد المسؤولين الزعماء لهذه الثورة المسلحة وقبض عليه وسجن في السجن العسكري بتهمة الثورة واشهار السلاح امام السلطات الفرنسية وهي تهمة حكمها الاعدام وعذب في سجنه مما أورثه أمراضا لازمته طوال حياته .

وبعد تسريحه استانف نشاطه بهمة لا تعرف الخور أو الخوف أو التردد وأعاد فتح المدارس التي اغلقت ايام الحرب واخذ يقوم بجولات في سائر انحاء الوطن يذكي روح الوطنية ويؤسس المدارس والنوادى ويؤسس المساجد التي كانت مراكز للتعليم والتجمع وبث الوعي الثوري وانشأ في هذه المرحلة « لجنة التعليم العليا » التي كانت مهمتها الاشراف على شؤون التعليم في أنحاء القطر الجزائري ، وتولى تحرير وادارة (جريدة البصائر) التي كانت تعالج القضايا الاسلامية والعربية ومن يقرأ البصائر ويتابع ما كان يكتبه البشير رحمه الله يدرك دوره الطليعي في القضية الجزائرية أ القضية الفلسطينية والقضايا العربية في مختلف دنيا العرب ، وحتى القضايا الاسلامية كانت موضع عنايته من ذلك يدرك انه كان رائدا شجاعا وقائدا حكيما يشنها حملات نارية يصلى بشواظ قلمه الاستعمار وأذنابه ، وسافر الى فرنسا مرتين ليتصل بالعمال الجزائريين ويتفقد أحوالهم ويرص صفوفهم ويربط قلوبهم بوطنهم وعين لهم اقدر الاعضاء من جماعته لتوعيتهم ورعاية شؤونهم .

وتسنى له في هذه الاسفار الاتصال بالوفود العربية لدى الامم المتحدة وتوصل معهم الى الاتفاق على قبول البعثات العلمية لقبول الطلاب الجزائريين في جامعاتهم ومعاهدهم العليا وبذلك تمكنت وفود من الطلاب من اكمال تحصيلها في القاهرة ودمشق وبغداد والرياض والمدينة وفي هؤلاء عدد تخرجوا في الحقوق والهندسة والمعلمين والتجارة فأشغلوا بعد الاستقلال مراكز في الاطارات الحكومية .

وفي سنة ١٩٥٢ أوفدته الجمعية الى الشرق للاشراف على البعثات الثقافية وتنظيمها وليبسط ما تلاقيه العربية والقوميه والاسلام في الجزائر من عنت السلطات الفرنسية فعمل على بث الدعاية لشعبه ونشر الفصول الطوال كتابة وخطابة عن اوضاع الجزائر وهو الخطيب المصقع والداعية القدير والعالم الاديب العارف بأساليب الاعلام فكان لخطاباته تاثير كبير على الجماهير ونحن في العراق هز عواطفنا وألهب احاسيسنا في محاضراته وأحاديثه ، لم نشهد أديبا أو داعية بمقدرته وطول نفسه واجادته لفن القول وسعة اطلاعه على الاعيب الاستعمار ، فقد كان ممن شرح الله صدره ويسر له لسانه وانار بصيرته بنور الايمان ، كان صادق الحب لوطنه ولدينه ٠

كان شديد الحنين لوطنه الجزائر والشوق اليها في هذه الفترة التي غاب عنها بجسمه وما غابت من روحه وفكره لحظة من ليل او نهار ٠

قال يخاطبها (لا تنسي اني كنت لك من عهد التمائم الى عهد العمائم ، مما شغلت عنك الامك ولا خرجت عنك الا عائدا اليك ، خطت الاقدار في صحيفتي ان افتح عيني عليك وانت موثقة ، فهل في غيب الاقدار ان اغمض عيني فيك وانت مطلقة وكتبت الاقدار على الا املك من ارضك شبرا فهل تكتب لي ان احوز في ثراك قبرا) نعم لقد قرت عين البشير وثلج صدره ٠ وملأ البشر نفسه ورأى وطنه الجزائر حرا منتصرا مستقلا وصلى بالوف المصلين بالمسجد الجامع « كتشاوة » أول جمعة بعد الاستقلال في المسجد الذي كان الفرنسيون قد حولوه الى كتدرائية ولم يصل به مسلم منذ ١٣٢ عاما فكان يوما مشهودا وفي ١٩٦١ انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية الذي يضم صفوة علماء العربية وادبائها في العالم العربي كله بعد ان كان عضوا مراسلا كما كان عضوا بالمجمع العلمي بدمشق والمجمع العلمي ببغداد وكان جديرا بهذه العضوية وأهلا لها علما وأدبا وفهما وعلمه بأسرار العربية ومفرداتها مما يثير الاعجاب والتقدير يضاف الى ذلك انه يحيط علما بتفسير القران وبأسرار التنزيل ويعرف محكمه ومتشابهة وعلى اطلاع

واسع بالحيث واصول الفقه والتأريخ والاجتماع فهو بحق موسوعة لمعارف القديم والحديث ، سمعته وهو يخطب في مهرجان شوقي ويوجه عتبه الموجع الى الادباء والشعراء الذين يوءثرون فرنسا ويمجدونها والجزائر ذبيحة لمدنيتها التى اعشت عيون اولئك الادباء ومنهم شوقي ٠

أما فنه في الخطابه فيذكرنا بعهودها الزاهرة ايام الامام علي ومصعب بن الزبير وداود بن علي العباسي واضرابهم ، ونثره الفني يذكرنا بالجاحظ وعمر بن مسعد والبديع وله في الشعر براعة وجزالة له ارجوزه زادت على جميع ما نظم في الملاحم عن قصائد بلغت ٣٦ الف بيت تضمنت فنونا كثيرة وضروبا من المعرفة كتاريخ الاسلام والمذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبدع في الدين والاستعمار ومكايده ودسائسه ٠

موءلفاتـه :

من كان كالامام البشير بمهامه الاجتماعية والعربية والسياسية والدينية لا يتسع وقته للتاليف والبحث وكثير من علمائنا الكبار اعتاضوا بالتدريس والاصلاح عن التأليف والتصنيف فالتاليف يحتاج الى الفراغ من الاعمال ويحتاج الى الانقطاع الى الكتب والبحث في المظان لما يراد اخراجه للناس من كتاب أو علم ، فهذا جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وابن باديس واضرابهم ممن عنوا بالشوءون السياسية والاصلاح الاجتماعى لم يخرجوا للناس ما يتناسب مع شهرتهم وغزير علمهم وهذا كان شأن البشير الابراهيمي فأشعاره ومحاضراته واجتماعاته وتدريسه وتوجيهه كل ذلك كان لا يبقى ل فراغا ومع ذلك فقد ترك بحوثا ومحاضرات ومقالات ورسائل تدل على غزارة علمه ، وكلها مخطوطه هي :

١ ـ عيون البصائر ـ هي مجموعة مقالات نشرت في جريدة البصائر ثم طبعت وهي الكتاب الوحيد الذي طبع له في حياته ٠

٢ ـ النفايات والنقايات في لغة العرب : فيه كل ما هو على وزن « فعالة » من مختار الشيء ومرذوله ٠

٣ ـ اسرار الضمائر العربية

٤ ـ التسمية بالمصدر

٥ ـ الاطراد والشذوذ بالعربية
٦ ـ رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك
٧ ـ رواية كاهنة أوراس
٨ ـ رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية
٩ ـ شعب الايمان « في الاخلاق والفضائل الانسانية »
١٠ ـ الملحمة الشعرية وهي ارجوزة بلغت ٣٦ ألف بيت في اغراض شتى .

الذكرى الاولى :

بمناسبة مرور عام على وفاة الرائد الامام البشير اجتمعت اللجنة التحضيرية في دار وزارة الاوقاف وتحت اشراف وزيرها العربي سعدوني ووضعت الخطوط الرئيسيه لهذه الذكرى فكانت خطتها تتالف من نقاط ثلاث :

١ ـ اختيار مدرسة وطنية تحمل اسمه الكريم
٢ ـ وضع اسم الشيخ الابراهيمي على شارع من اهم شوارع العاصمة
٣ ـ اقامة حفل جامع في قاعة ابن خلدون .

وثم تعينت لجان الاختصاص للاتصالات الضرورية وقامت كل لجنة بمهمتها وقام كل فرد بما اسند اليه فلم يكد يوم الذكرى يحين حتى كان برنامج الذكرى محددا واعلنت الصحافة والاذاعة في الجزائر نبأ الذكرى للجزائر العاصمة :

يوم السبت ٢١ مايس ١٩٦٦ :

أ ـ بعد صلاة الظهر ، القيام بزيارة ضريح الامام للترحم على روحه الكريمة .
ب ـ التوجه مباشرة الى مدرسة تخريج الاساتذة لرفع الستار عن لوحة تذكارية تحمل اسم : مدرسة الشيخ محمد البشير الابراهيمى لتخريج الاساتذة .
ج ـ الانطلاق الى شارع السفراء بحيدرة لتدشين لوحه باسمه على هذا الشارع .

د ـ انطلاق الجموع الى قاعة ابن خلدون حيث ينتظم حفل الذكرى وتلقى خطب وقصائد التأبين ٠

وتوافد الناس على القاعة الفسيحة تتقدمهم اسرة الامام فالسلك السياسى العربى والاسلامى فرجال الدولة والاساتذة والمعلمون وجمع من علماء وادباء الجزائر ٠

وفي الساعة الخامسة والنصف بدأت الحفلة فالقى رئيس اللجنة التحضيرية الاستاذ عبد الرحمن شيبان المفتش العام للتعليم العربي بوزارة التربية الوطنية تقدم بخطاب افتتح به الحفلة باسم اللجنة والشعب ، وبعد انتهائه توالى الخطباء والشعراء على المنصة ٠

- خطاب السيد وزير الاوقاف العربي سعدوني
- خطاب الاستاذ مالك بن نبي مدير ادارة التعليم العالى (مرتجل)
- قصيدة الشاعر الجزائري الشيخ احمد سحنون
- خطاب الشيخ السعيد الصالحى مفتش وزارة الاوقاف
- خطاب الاستاذ احمد حماني استاذ بالجامعة العربية الجزائرية
- قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ محمد العيد ال خليفة
- خطاب السيد محمد الطاهر فضلاء استاذ اللغة العربية ٠

وختمت الحفلة بخطاب مسجل بصوت البشير رحمه الله وهو الخطاب الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية للمجمع اللغوي بالقاهرة فكان لصوته وخطابه هذا وقع عظيم في نفوس المستمعين لم يملك أكثرهم نفسه من البكاء كذلك قال ناعت الاحتفال :

واني أقتصر على كلمة رئيس لجنة التحضير وفقرة واحدة من خطاب العربي سعدوني لما في اقتباسي هذا من انارة وايضاح لجوانب متعددة من سيرة الفقيد المجاهد ، والحقيقة ان الخطباء قد لمسوا جوانب من حياة البشير كلها حريه بالاقتباس والتقدير ولكن ذلك يخرج بي عن القصد وعن نهج هذا الكتاب وما الحقت به سيرة المجاهدين الثلاثة الا لان الصورة تكون ناقصة بدون ذكرهم ولان تاريخهم موصول بتاريخ الجزائر وان الزائر الى الجزائر كلما اجتمع بعالم أو اديب أو سياسى يسمع ذكر الامير

عبد القادر وابن باديس والبشير يتردد على السنتهم وسيرتهم تعطر أحاديثهم ·

عبقرية الامام الابراهيمي :

بقلم عبد الرحمن شيبان رئيس لجنة الاحتفالات بالذكرى الاولى لوفاة الراحل الكريم ، وبعد المقدمات قال :

« في مثل هذا اليوم منذ عام مضى أفل نجم من نجوم الجزائر أضاء بنوره الساطع مدنها وقراها ، جبالها وسهولها ، ما يزيد على نصف قرن من الزمان ·

في مثل هذا اليوم منذ عام مضى توقف قلب كبير قضى العمر نابضا بالايمان الراسخ والحب الصادق والارادة الجريئة ·

في مثل هذا اليوم منذ عام مضى سكت لسان كان يصدع بالحق ، ويدعو الى الهدى ، ويدفع الباطل ويصارع الظلم والظالمين ، ويستنهض الهمم الى المعالي والمكارم ، ويتغنى بأمجاد الامة في ماضيها ، لتتخذ منها طاقة تدفعها الى تحقيق امالها في حاضرها ومستقبلها رغم اضطهاد الطغاة المستعمرين ، وتضليل الدجالين الماكرين ، وخيانة العملاء المأجورين ·

في مثل هذا اليوم منذ عام مضى ، شيعت الجزائر العربية المسلمة في موكب شعبي منقطع النظير بطلا من أبطالها البارزين الذين امنوا وجاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين ظلموا السفلى ، ذلكم هو سماحة الاستاذ الامام محمد البشير الابراهيمي طيب الله ثراه ورضي عنه في الخالدين ·

وها هي الجزائر اليوم تحتفل في هذا الجمع الزاخر ومعها ممثلون عن الدول العربية والاسلامية بالذكرى الاولى لوفاة هذا الامام الرائد لتضيف الى شخصيته منقبة من المناقب نسيت أو تنشر صفحة من تاريخه الحافل طويت · فالبشير الابراهيمي قد سجل بجهاده البطولي وعبقريته الفذة وبآثاره الخالدة ما يجعله في غنى عن أي تنويه أو تمجيد ، ولكننا نحتفي بذكراه لحق واجب وطلبا للاسوة والتماسا للعظة ووفاء لجهاده الطويل الشاق في سبيل الجزائر والعروبة والاسلام ·

فالبشير الابراهيمي قائد من قادة الثورة الاصلاحية السلفية، التي نادى بها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وسار على نهجها من بعدهما محمد رشيد رضا في المشرق وعبد الحميد بن باديس في المغرب ، ايمانا منهم بأن الاصلاح الديني القائم على كتاب الله وسنة رسول الله هو الاساس المتين للاصلاح الاجتماعي والسياسي

والبشير الابراهيمي امام في العربية وبلاغتها تفقه في أسرارها وتغذى بادابها واستنار بقرآنها ، حتى اقام لنفسه منها مدرسة تشهد بأن لغة العرب ما تزال كما كانت في عصورها الذهبية ، صالحة لان تكون لغة العلم والفن والجمال ٠

وهو رحمه الله فيلسوف في ميدان التربية والتعليم ، يرى ان غاية الغايات من التربية هي : توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه وتصحيح نظراته الى الحياة ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه ، الى مضطرب أوسع منه دائرة وأرحب افقا وأصح اساسا ، وتفقيهه في دينه ولغته وتعريفه بنفسه وبمعرفة تاريخه ٠

يرى التعليم رسالة وجهادا فيخاطب المعلمين في احدى وصاياه الحكيمة :

« ها أنتم قد تبوأتم في مدارسكم ميادين جهاد فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان واوقفوا أنفسكم لاحدى خطتين : الدفاع المجيد أو موت الشهيد ، واعلموا انكم عاملون فمسوءولون عن أعمالكم فمجزيون عنها من الله ومن الامة والتاريخ٠

أما التلاميذ والطلاب فيقول لهم :

« انكم يا أبناءنا مناط امالنا ، ومستودع أمانينا ، نعدكم لحمل الامانة وهي ثقيلة ولاستحقاق الارث وهو ذو تبعات وتكاليف ، يا أبناءنا ان الحياة قسمان حياة علمية وحياة عملية وان الثانية منها تبنى على الاولى قوة وضعفا وانتاجا وعمقا ، وانكم لا تكونون أقوياء في العمل ، حتى تكونوا اقوياء في العلم ٠

والبشير الابراهيمي خطيب مصقع ، يهز القلوب ببيان ساحر، يعيد الى الاذهان ما كان للخطابه العربية من مكانة وسلطان ٠

وهو محدث بارع لطيف يغمر مجالسه بالحكمة ويجملها بالنكتة ، ويعطرها بأريج ينشر الارواح والعقول ٠

وهو ديوان لايام العرب وادابهم وتقاليدهم في أفراحهم وأحزانهم في حربهم وفي سلمهم ، يروي عن فهم وبصيرة ويصدر عن حافظة واعية وذاكرة منجدة .

وهو شاعر فحل في الفصيح والملحون ، يذكرني بالمعري في لزومياته وأبي الطيب المتنبي في حكمه وأمثاله ، أما اسلوبه في الكتابة فهو جاحظ عصره وبديع زمانه مما يجعله بحق معجزة من معجزات الثقافة العربية الاسلامية في القرن العشرين بشهادة المجامع العلمية والمحافل الادبية في المشرق وفي المغرب .

والامام الابراهيمي ، قبل هذا كله وبعد هذا كله ، وطني صادق الوطنية كرس حياته لخدمة وطنه ، داعيا قومه للثورة والجهاد من اجل التحرر والانعتاق ، فلنستمع اليه وهو يخاطب الجزائر قبل ثورتها الكبرى بشهور :

« أيها الوطن الحبيب سلام عليك يوم لقيت من « عقبة » وصحبه برا ، فكنت شامخا مشمخرا ، ويوم لقيت من (بيجو) وحزبه شرا فسلمت مضطرا وامسيت علينا مكفهرا وللانتقام مسرا»

بل لقد كانت كل أماني البشير في الحياة ان يعود الى بلاده التي اغترب من أجلها وقد استعادت حريتها ليدفن في اخر أيامه في تربتها الزكية .

« خطت الاقدار في صحيفتي ان افتح عيني عليك وانت موثقة ، فهل خطت الاقدار ان اغمض عيني فيك وانت مطلقة ، وكتبت الاقدار ان لا أملك من تربتك شبرا فهل تكتب لي ان احوز في ثراك قبرا » الخ (١)

ومما جاء في كلمة العربي سعدوني الرائعة :

« ذكرت في اول كلمتي ان الابراهيمي ظاهرة ثقافية يحار المرء في الاحاطه بها نعم هو كذلك واكثر من ذلك ، والتاريخ كفيل باظهار عظمة هذا الجزائرى ..

والكل يعلم الظروف التى احاطت بموته وكيف ودع الشعب فقيده بما لم يودع به أحد من قبله واختفت يومئذ روءوس كانت تعتقد انها كبيرة وانها قادرة على ان تفعل ما تريد ..

---

(١) انظر الامام الرائد الشيخ بشير الابراهيمي ص ٤٥ـ٤٦ .

فهبت العاصمة وكان سكانها كانوا على موعد ، ولم يكونوا كذلك بل قادتهم روح الابراهيمي الثائر الكبير فشيعت الرجل بما يجب أن يشيع من كانت حياته وقفا على غيره وهب خير ما يوهب في سبيل المثل العليا وبالروعة الواهب وبالجمال ما وهب ٠

أيها المثقفون ولا استثنى أحدا ان امامكم جزائريا حيا للمثقف في العصر الحديث لا تطلبونه في بلد اخر غير بلدكم ، ولا تلتمسون تعليلا بعد اليوم على أن طراز المثقف العالمي نادر في بلادنا ، لقد وجدت القدوة الحسنة فليكن الاقتداء الحسن ، فقد كان صاحبكم وعاءا للعلوم العربية والاسلامية قديمها وحديثها مع مشاركة ملحوظة ومحمودة في علوم كثيرة مستحدثة ، وفهم رفيع لاحداث العصر ومسايرة تامة للحضارة الحديثة ، فليحاول كل منكم أن يقيس عقله وعلمه بعقل الابراهيمى وعلمه وعمله ولنتعلم التواضع ولنهجر الغرور القاتل فان كثيرا من مثقفينا او ممن (يتعاطون الثقافة) قد حال بينهم الغرور وبين ما يشتهون فحرمت بذلك الامة من مجهوداتهم وما يمكن ان يتم على أيديهم من نفع عام اذكروا ان الابراهيمى كان يسعى الى العامة قبل الخاصة من الناس يبشر بالفكر الحر ويوءدى الامانة الى أهلها غير متعالم ولا متعال ، يحمل في صدره قلبا قد وسع الناس حبا وعلى وجهه بشر يغرى بالاقبال عليه وفي شفتيه ابتسامة البراءة والصفاء ، وقد كان وهو الشاعر الكبير ينظم الملاحم بالشعر الملحون يغزو به العقول والقلوب والمشاعر ، ولقد كان يبكي ، ولا يبكي غير الفنان الكبير حين يسمع الشعر الملحون لفحول شعراء الجزائر الذين تغنوا بخصائص هذا الشعب وأودعوا فيه تاريخ الاباء والشمم والكرامة ٠

ومن قرا عيون البصائر يدرك لا محاله قيمة الكلمة العربية بين اخوانها في اللغات الاخرى ، وليس من المبالغة بل من الفخر للجزائر أن اقول ان الابراهيمى من أبلغ وأندر الكتاب الذين عرفتهم العربية في جميع عصورها ٠

فلم يتح لكثير من قبله ان يديروا الكلمة بين أصابعهم أو في أفواههم ويلعبوا بالعقول كما يشاوءون ويريدون ، ولا نعلم ان

أحدا قبله في الجزائر قد طوعت له البلاغة العربية ودانت له حتى لكانه هو البلاغة ، ومن يعرف للادب قيمته وقرأ عيون البصائر يعلم ان لم يكن قد علم ان فيها ألوانا من الادب كالمقالة والاقصوصة والمأساة والملهاة ، وهل أتاكم حديث حي عبد الحي ؟ وسجع الكهان ؟

هذا هو الابراهيمي في كلمات ناثرا وشاعرا وفنانا وانسانا نحمد الله ان كان منا وقد عاش فوق أرضنا ننتسب اليه حين نطلب النسب في مجالات الفكر والفن والادب ، ونفاخر به في ميدان التفاخر .. ولقراء العربية قبل غيرهم أن يلتمسوا فيه القدوة والمثل الكريم .. وهم بذلك أحوج الناس الى ان يهجروا النوم العميق ويستيقظوا للحاق بالركب السائر ، وليعلموا ان هناك قاعدة وقمة للثقافة .

فالقاعدة هي العلوم الصحيحة والقمة هي الفن وهو التعبير عما تكنه النفس وتختزنه ولنفكر في الخروج من العزلة اللغوية فليس يكفي لغة واحدة فان عصر اللغة الواحدة قد ولى ولن يعود بأحلامه .

وهناك خطأ شائع بيننا يجب تصحيحه لان الخطأ قد تجاوز العامة الى الخاصة .. فعندنا الناس صنفان : صنف ناطق بالعربية وصنف ناطق بالفرنسية فنقول عن الاول انه مثقف بالعربية ، وعن الثاني مثقف بالفرنسية ، والمسالة لا تعدو أن تكون أداة للتعبير بهذه اللغة أو تلك ، وليست لها صلة بالثقافة الا على انها أداة تثقيف وكثيرا ما نسمع أن فلانا مثقف بالثقافتين وهو بريء من هذه التسمية سوى انه يحسن لسانين متباينين ، أما ماذا قرأ وأي شيء في رأسه وما قيمة عقله وما مدى تجاوبه مع معارف العصر فهذه كلها امور لم تخطر على بال المسكين .

ان الثقافة قيمة من القيم السامية يبلغها المرء من طرق مختلفة منها اللغة ومنها التجربة في الحياة ، والمثقف بفضل غيره بعقليته وعمق تجربته وحسن أدائه وتبليغه لما يحسن فهو كالنحلة تنتقل من زهرة الى زهرة ، والزهور مختلفات تأخذ من هنا وهناك وتقدم للناس شهدا يختلف طعمه بين ذائق وذواقه .

والناس في عالم الثقافة لا يتفاضلون باللغة لانها اداة ووسيلة

الا اذا أردنا ان نقارن بين لغـة ولغة ومبلغ كل في الوفاء والاداء ،
ومع ذلك فاللغة العربية تقصر دونها اللغات جميعهـا فهـي اللسان الكامل دون منازع ، وفي غير تعصب واسألوا غير العرب عن لغة العرب ان كنتم ترتابون[1] • بل اسألوا الجملة العربية •• وما تزخر به من جمال دافق واشراق معجز وبيان مبين لا احيلكم على القرآن الكريم ولا على جوامع الكلم من السنة بل احيلكم على ما كتب الابراهيمي فاقرأوه وتفهموه ثم اتوا بحديث مثله ان كنتم قادرين •

ان التثقيف بعد ذلك جهاد عنيف وهو لا يتـاح الا لموهوب مثابر يأنف الراحـة والرضى بالقليل كلما خيل اليه انه وصـل سخر منه الواقع وأمده بمجهود جديد •

أيها الاخوة ان الجزائر تنتظر منكم البذل من الوقت والجهد في سبيل الكمـال واطرحوا الاماني وازهدوا فيما تعلمون لانـه قليـل •• وتخلقوا بأخلاق العلمـاء العاملين يهدكم الله سـواء السـبيل •

رحـم الله الابراهيمي وهدانا الى الاقتداء بـه انسانا وناثرا وشاعرا ومصلحا ثائرا خالدا •

ذكرى الامام الابراهيمي في عمالات الجزائر :

اقيمت حفلات ذكرى الابراهيمي بمناسبة مرور سنة عـلى التحاقه بالرفيق الاعلى في كثير من العمالات والمدن الجزائريه وردد ذكراه خطبـاء وشعراء مـن زملائـه وتلامذته فقـامت في البليدة والقليعـة ، وسطيف ، وبجـاية ، وقسنطينة وباتنـه وتلمسان وبسكرة وسكيكدة وعنـابة وتبسه وتلمسان ، عاش رحمـه الله للشعب فبكاه الشعب وافتقده رائـدا ومعلما ومجاهدا وثائرا راد النهضة وقاد الثورة ونفخ بأرواح الجزائريين من روحـه فعادت عزيزة كريمة لا تتطامن لغاصب ولا تستكين لظالم وهبت تقـاتل المستعمرين وتحارب جيوشه في السهل والجبل في البدو والحضر في القرى والمدن حتى كلل جهادهم بالنصر فكـان من حـق البشير

---

(1) العربي السعدوني يعرف الفرنسية كاحسن مثقفيها من أبنائها وهذا بيانه بالعربية يشهد على طول باعه فيها •

الذي وهب لشعبه راحته وحياته ونظم كتائب ذلك الجهاد المقدس ان يكرمه الجزائريون ويذكروه بالتجلة كلما مرت على الجزائرذكراه.

كلمة الابراهيمي في المجمع اللغوي :

أيها الاخوة الكرام : حياكم الله وبياكم ، وأدامكم واحياكم ، وأبقاكم للعروبة تصونون عرضها وتستردون فرضها ، وللغة العرب تجمعون شتاتها ، وتحيون مواتها ، وترعون ـ على تحبهم الاحداث وسفه الوراث ـ متاتها ، ولهذا المجمع تعلون بنيانه وترفعون على العمل النافع أركانه ..

أيها الاخوة : ان هذه اللغة العربية الشريفة التي طرقنا خيالها الموهوب ، ثم اسمعنا داعيها المثوب ، فاجتمعنا على بساطها اليوم من جميع أقطار العروبة ، هي الرحم الواصلة بيننا ، وهى اللحمة الجامعة لخصائصنا وادابنا ، فمن بعض حقها علينا ان نبلها ببلال ، وان نرعى حقها في كل منسوب اليها كما ان من بعض حقها علينا أن نخف لنجدتها كلما مسها ضر أو حزبها أمر ، وان ما كنتم فيه مذ اليوم من هذا الاستقبال المتهلل ، واللقاء المرحب الموهل ، باخوانكم أعضاء المجمع الجدد ، هو فن جميل من البر بالعربية في أبنائها ، يرضى الله الذى اصطفاها ترجمانا لوحيه ، ويرضي محمدا الذي ادى بها امانة الله ، وبلغ بها رسالته الى خلقه ، ويرضي يعرب ونزارا اللذين سكبا بها التغاريد العذبة الجميلة في آذان الاجيال ، وتركاها كلمة باقية في الاعقاب ، ويرضي أسلافكم الذين ساسوا بها العقول ، وصقلوا بها الاذهان والقرائح، وراضوا على بيانها الالسنة ، ودونوا بها العلم والحكمة وخطوا بها التأريخ ، وشادوا بها الحضارة الشماء التي لا تطاول ، ووسعوا بها افاق الخيال العربي ، ورققوا ببيانها العواطف الكثيفة ، وحدوا بها ركب الانسانية حينا فأطربوا .

أيها الاخوة : لقد كانت العربية قبل اليوم وان رباعها لمحفوة ، وان قصاعها لمكفوة ، وان رقاعها لغير ملتامة ولا مرفوة ، ولقد كانت تلقى الاذى من الغريب المتنمر ، ومن القريب المتنكر فيخف لنصرتها افذاذ من أبنائها الاوفياء وجنودها المجهولين ، ولكن لا يسمع لهم صوت لتفرقهم في أقطار العروبة المتباعدة حتى

ظهر هذا المجمع فسعى في اعادة شبابها وتجديد معالمها وجمع أنصارها عن تعثر خطواته في السنوات الاولى لانشائه كشأن كل ناشىء ثم ما زال يقوى ويشتد وكلما انضمت اليه طائفة من رجال العربية ، وفرسان بيانها انتعش وشاعت فيه الحياة ووخزته الخضرة من جوانبه ، ثم ما زال المدد يتلاحق ، والعدد يتكامل حتى وصل الى الحالة التي هو عليها اليوم ؛ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ، وان هذا المجمع اذا اطرد سيره وتم تمامه ليكونن أداة فعالة في وحدة العرب ، ولا عجب فاقوى جامع لكلمة العرب كلام العرب ، ولئن تم ذلك لتكونن هذه الاسرة اعز رهط في العرب ٠

أيها الاخوة : لقد كنا معشر المشغوفين باللغة العربية الهائمين بحبها في كل واد نتتبع أعمال هذا المجمع باهتمام ، ونتلقف كل ما يقوله أو يقال عنه ، فنبحثه في مجتمعاتنا الخاصة بانصاف ، ونستعرضه فصلا فصلا ، وكلمة كلمة ، وكنا نعرف منه وننكر ، نعرف تلك الاراء القيمة التي يعلنها بعض اعضائه ، وتلك المباحث الجليلة التي يقدمها بعضهم ونستحسن تلك الافكار الجريئة فى توسيع دائرة النحت والقياس والاشتقاق ، التى كان المجمع يتناولها بالتمحيص الى كثير من حسناته ومزاياه ، وننكر منه هنات لا تحط من قيمته في انفسنا ٠٠ ولا تقدح فيما نضمر له من اجلال واكبار ، ننكر عليه البطء والتثاقل في السير ، وعدم التعجل بتقديم تراثه الى الامة في مجلته ونشراته ، وتقصيره فيما يجب الاسراع فيه وأشد ما كنا ننكر من اعمال استعانته بالمستشرقين في شأن هو من خصائص الامة العربية ولكننا كنا ولا نستطيع الجهر بما ننكره على المجمع ، ولا نشيع قالة السوء عنه لاننا نعلم انه ناشىء وان النشأة فطنة للنقص ، وننتظر به مرور الزمان ، واستحكام التجارب ، ومواتاة الفرص ، حتى يصلح من شأنه بنفسه ، والزمان يقيم الامت ، ويقوم السمت ، الا شيئا واحدا ما كنا نقبل فيه عذرا ولا نتسامح فيه فتيلا ، وهو مسألة الاستعانة بالمستشرقين ولقد كنا نستسيغ الاستعانة بالاجنبي في بناء سد ، أو مد سكة ، أو تخطيط مدينة ، مما سبقنا اليه الاجانب وبرعوا فيه ، اما الاستعانة بهم في شأن يخصنا كاللغة فلا ٠٠ ومتى رأينا مستشرقا بلغ في العربية وفهم

أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ، ومضارب امثالها ما يبلغه العربي في ذلك كله ؟٠٠ على أن بعض المستشرقين الذين كانوا اعضاء بهذا المجمع كانوا مستشارين في وزارات الخارجية من بلدانهم ، وهذا قادح اخر يضاف الى قادح قصورهم في اللغة العربية ٠٠

ايها الاخوة : ان مواطن العروبة لمتفرقة متباعدة ، وان الرابط بينها هو هذه اللغة ، وقد ألم بها من الاحداث ما أضعف تلك الرابطه حتى رثت حبالها ، وغالبتها العامية ، في كثير من أحكامها وكثير من مفرداتها ، ولكنها لم تبتل بداء مثل هذا الداء العقام الذي نسميه الاستعمار ، ولو انصفنا لسميناه الطاعون ، فهو الذي ألح عليها عن قصد وتعمد حتى كاد يزهق روحها ، لايقانه بمبلغ تأثيرها في تثبيت الروابط بيننا ، ومن بلاء العربية ان هذا الداء تسلط على جميع أقطار العروبة فتمكن من حرب العربية في جميعها بوسائل شيطانيه لولا عناية الله ، وما اودعه فيها من القوة والمناعة لقضي عليها ، ولقد حاربنا على ارضنا واقواتنا وكل وسائل الحياة عندنا فأفلح ، ولكن حينما حارب لغتنا وتلمس الى مذب السرائر ومكمن العقائد من نفوسنا باء بالهزيمة ، فلا خوف بعد اليوم وقد تنبه رب البيت فخاب اللص وباء بالفشل والخيبة ، وابرز الامثلة لحرب الاستعمار للعربية منعه لتعليمها في الجزائر ، وحكمه بانها لغة اجنبية في بلدها ، ومنعه للكتب العربية التي تطبع في الشرق العربي من الدخول الى الجزائر ٠ ما ذلك الا لغاية واحدة هي اضعافها ثم الاجهاز عليها ، وما جرى في الجزائر جرى في غيرها من اقطار العروبة على اختلاف في الشكل ، والاستعمار كله ملة واحدة ، وانا ما زلت اتلمح العامل الالهى لحفظ هذه اللغة وحفظ الاسلام الذى يحميها وتحميه ـ اتلمح هذا العامل في هذه المذاييع التى ينفق عليها الاستعمار اموالا طائلة لتذيع القرآن بلغته في العواصم الكبرى ، فتبلغ اطراف العالم في كل ليلة ، انه لعمركم انتصار للعربية ، وان كان للاستعمار فيه مآرب اخرى يقصدها اولا وبالذات ، ولكن الدعاية للعربية بعمله هذا حاصل غير المقصود بل مناقض لقصده ٠

ايها الاخوة : ان اسرة المجمع اصبحت اسرة عربية لا تخالطها عجمة ، ولا يطرق ساحتها دخيل ولا يداخل نسبتها اقــراف ولا هجنة ، فلنعمل للغتنا بانفسنا ، ولنسكب عليها عصارة أرواحنا ، ولنضاعف جهودنـا ، ولنشد حيازيمنـا ، ولنشحذ عزائمنـا ، ولنوجه كل قوانا لخدمتها والذب عـن حرماتها ، ولنعلم انـه ان اصابها سـوء ونحن عصبة انـا اذن لخاسرون ولسنا لعدنان ولا لقحطان ان سيمت العربية ضيما ونحن حمـاة ثغورها ، ولعـل اخواني الاعضاء الجـدد يشاركونني في اليقين بانكم ما اوليتمونا شرف العضوية بهذا المجمع للراحة ولين المهـاد ، وانمـا لنتحمـل بهذه العضوية أعباء تستدعي سهر العيون وانضاء العقول والقرائح ومتاعب التنقيب على ما اودع الاسلاف في هذه الاسفار من كنوز ، فلنوطن أنفسنا على ذلك كله برضى واطمئنان وانها لصفقة رابحة ٠

ايها الاخوة : ان اللغة العربية يحملها من كل خلف عدوله ، لينفوا عنها تحريف الغالين ، وزيغ المبطلين وانتحال المسومولين ، وانتم اولئك العدول ، فانفوا بجـد واخلاص عن هـذه اللغة زيغ المبطلـين من هـذا الجيل الذين اصبحوا يتنكرون لهـذه اللغـة ويعفرون في وجهها ، وقـد فاتهم ان يحصلوا منهـا عـلى طائل ، فأصبحوا يرمونها بالعقم والجمود وعدم المسايرة لركب الحضارة، ويرتضخون لكنـة لا هي بالعربية ولا هـي بالصالحة لان تخلف العربية ، ويتمردون على البيان العربي وعـلى كل مناحي الشـعر العربي وعروضه وقافيته ورويـه ويلوون السنتهم بالسوء فـي ذلك كله ٠٠

ايها الاحبة : اعيدكم بشرف العروبة ان تكونـوا كاعضـاء المجمع الفرنسي ، دعوا بالخالدين فأوهمهم هذا الوصـف انهـم خالدون حقا فركنوا الى الكسل واصبحوا سخرية الساخر ، ايهـا الاخوة : ـ انا واخواني الاعضاء الجدد الذين اتكلم باسمهم نتقدم اولا بالحمد لله على ن شرفنا بالانتساب الى هذه الامة الجليلة وعلى ان فتق السنتنا على لغتها الحرة الاصيلة ، وعلى ان رزقنا من بيانها ما نستطيع به ان نعلق بغبار جياد السبق في ميادينها ٠

ثم نتقدم بالثناء العاطر على اخواننا السابقين الاولين من اعضاء المجمع على ما انفقوا في سبيله من وقت وجهد وافاضو عليه من معنويات راسخة ، ونفضوا عليه من الوان ثابتة جميلة على ما وسعوا من افاقه وميادينه وعلى ما سعوا فيه من الحاق اخوان لهم من اقطار العروبة تكثرا بهم ، والعزة للكاثر ، وتعاونا على هذه الام البرة ، والتعاون على البر كالتعاون على البر كلاهما منقبة وقربة وحسن احدوثه وقالة خير فاشية ·

ثم نتقدم بالشكر لشعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومتها ورئيسها على احتضانهم للقومية العربية التي هى مدد هذا المجمع ، وحسن رعايتهم للغة العربية التي هي وظيفة هذا المجمع ، بل امدادهم لهذا المجمع بوسائل الحياة ·

ايها الاخوة : انا سعيد بأن اتكلم في هذا اليوم وفي هذا المحفل ووطني الجزائر مقبل على استقلاله الذى اشتراه بالثمن الغالى ، وستلحق الجزائر بالركب العربي عن قريب ، وسيخرج من اجيال المغرب العربي عمار لهذا المجمع وحماة لهذه اللغة الشريفة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

البحوث والمحاضرات
١٩٦١ ـ ١٩٦٢
المجموعة الثالثة ص ١٧ ـ ٢٠

مقتبسات من اقواله :

(لقد تظافرت وتواطات في عصركم هذا جهود الاجنبي الحاقد الحانق على تغريب امتكم بعد ان عجز عن تخريبها فكونوا عينا يقظة وحافظوا على « عينها » قبل ان يعجمها المعجمون فيكون في اعجامها مسخ لكم ومسخ لامتكم ·

ان هذا الاجنبي الحاقد الحانق يريد لامتكم ان تكون هيكلا لاتترابط اجزاوءه ولا تتماسك اعضاوءه ، يوجه وجهه الى الغرب ويمكن في افكاره لاهواء الغرب وفي لسانه لرطانات الغرب ، وهو يريد ان يقتلع جذور هذه الامة من تربة ، ويغرسها في تربة فتاتي مضعوفة هزيلة لا من هذه ولا من هذه) البصائر ·

(ان العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها الناشر لمفاخرها وحكمها فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه ، وكل معتز بالعروبة فهو دليل الا ان تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد ، فلينظر ادباء العروبة الذين لا يديرون السنتهم على حكمتها في اية منزلة يضعون انفسهم) البصائر ٠

« ان منكم من يحتقر لغة الامة فلا يقيم لها وزنا ، وفيكم من يحتقر دينها فلا يقرأ له حسابا وفيكم من يحتقر بناتها فلا يتزوج منهن ، وفيكم من يانف من خوءولتها لابنائه فيختار لهم اخوالا غرباء وان بعض ذلك لفدح محسوس في امتكم الحاضرة ، وان بعضه لسم مدسوس في اعراق امتكم المقبلة » البصائر ٠

* * *

(ان شباب الامة هو الدم الجديد في حياتها فمن الواجب ان يصان هذا الدم عن اخلاط الفساد ومن الواجب ان يتمثل فيهم الطهر والفضيلة والخير ومن الواجب ان تربى السنتهم على الصدق وقول الحق لا على البذاءة وعورات الكلام) البصائر ٠

ذكرى ٨ ماي ـ مايس ـ

تحتفل الجزائر كل عام بذكرى ٨ مايس ويلفها الاسى والحزن وتجيش ذرياتها لشهدائها الابرار الذين ذهبوا ضحية الغدر والبطش والطيش ازهقت ارواحهم جملة واحدة في هذا اليوم ٨ ماي عام ١٩٤٥ وسبب تلك المأساة الاليمة او الفجيعة التى اقترفها الاستعمار الفرنسي ان الشعب الجزائرى خرج في مظاهرة سلمية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واحتفاء بانتصار الحلفاء يطالب بحقه في الحرية والانعتاق ويطالب بانجاز الوعود التى قطعتها فرنسا على نفسها في حربها التحررية والتي ساهم فيها الجزائريون بأموالهم وانفسهم وخاضوا معركة تحرير فرنسا من النازية ، ولكن فرنسا تنكرت للوعود وحصدت الشعب حصدا جماعيا وابادتهم ابادة غير مبقية على احد ذكورا او اناثا وسواء كانوا مشتركين في المظاهرت ام كانوا في طريقهم الى بيوتهم او اعمالهم فذهب ضحية هذا البطش ٤٥ الفا من الانفس البريئة صعدت تشكو خالقها ظلم الانسان لاخيه الانسان ٠

فكتب بهذه الذكرى الامام العلامة المرحوم الشيخ بشير الابراهيمي الخطيب والمصلح المعروف والمجاهد المناضل رئيس جمعية علماء الجزائر ، قال رحمه الله ٠

(يوم مظلم الجوانب بالظلم ، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة ، مقشعر الارض من بطش الاقوياء ، مبتهج السماء بأرواح الشهداء ، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور ، وخرج شهره من طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور ، وغبنت حقيقته عند الاقلام فلا تصوير ولا تدوين تستحسن العقول قتل القاتل وتؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل ، ولكن الاستعمار العاتي يتحدى العقول ،لانه عدوها والشرائع لانها عدوه ، فلا يقوم الا على قتل غير القاتل ، ويغلو في تأله الطاغي فيتحدى خالق العقول ، ومنزل الشرائع وينسخ حكم الله بحكمه ، ورحمة الله بقوته ، فيقتل الشيوخ والنساء والاطفال ٠٠

لك الويل ايها الاستعمار ٠

اهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فانجدك واستصرخته حين ايقنت بالعدم فأوجدك ؟

اهذا جزاء من يسهر وابناؤك نيام ؟ ويجوع اهله واهلك بطان ويثبت في العواصف التى تطير فيها نفوس ابنائك شعاعا ؟

ايشرفك ان ينقلب الجزائري من ميدان القتال الى اهله ــ بعد ان شارك في النصر لا في الغنيمة ، ولعل فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة، فيجد الاب قتيلا والام مجنونة من الفزع ، والدار مهدومة او محروقة والغلة متلفة والعرض منتهكا ، والمال نهبا مقسما ، والصغار هائمين في العراء ، يا يوم ! ٠٠ لله دماء بريئةاريقت فيك ولله اعراض طاهرة انتهكت فيك ! ولله اموال محترمة استبيحت فيك ! ولله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك ! ولله ايامى فقدن بعولتهن فيك ٠

يا يوم ، الك في نفوسنا السمة التى لا تمحى ، والذكرى التى لا تنسى فكن من اية سنة شئت فأنت يوم ٨ ماى وكفى ٠

وكل ما لك علينا من دين ان نحي ذكراك وكل ما علينا لك من واجب ان ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس الخ ٠٠٠

نعيه في المجلات والصحف

كان لنبأ وفاة الابراهيمي صدى اليم في نفوس عارفي فضله فراحت الاقلام تسطر مآثره واثاره وشرعت الصحف والمجلات والاذاعات في مختلف اقطار العروبة تدبج المقالات في نعيه للامة العربية وتعدد اخباره وخدماته للجزائر وللعروبة والاسلام ، وخصصت هذه الاذاعات برامج مسهبة في اذاعة سيرته واثاره في خدمة الوطن العربي وفي خدمة الاسلام والمسلمين ، ونعاه الناعون وابنه المؤبنون في المجامع العلمية والادبية واللغوية وكان ابرز اولئك المتحدثين صديقه وتلميذه الشيخ العلامة وزير الاوقاف السابق للجزائر والسفير الدبلوماسي في العراق محمد توفيق المدني القى بحثه القيم في المجمع اللغوي في القاهرة بمناسبة انتخابه عضوا مكان الراحل الكريم .

ونشرت مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق في عددها الثاني من المجلد الحادي والاربعين لعام ٦٦ فصولا ضافية عن مكانته الادبية والعلمية واثره الكبير في خدمة الجزائر وفي حربها التحررية كما نشرت مجلة حضارة الاسلام مقالا بقلم الاستاذ الحكيم واخر في العدد الثاني للسنة السابقة للمجلة بقلم الاستاذ عبدالرحمن غريب .

ونشرت الدكتورة الاديبة الكاتبة (بنت الشاطىء) بجريدة الاهرام مقالا رائعا وكان ذلك في ٤ حزيران سنة ١٩٦٥ .

كما نشر المقال في جريدة الجيش الجزائرى في العدد ١٦ من السنة الثانية بتارخ ١٢ حزيران ١٩٦٥ .

ونشرت مجلة الثقافة مقالا مسهبا عنه بقلم انور الجندى .

ونشرت جرية الجيش مقالا بقلم حمزة بوكوته .

ونشرت حضارة الاسلام السورية في اب ١٩٦٥ مقالا بقلم عمر الحكيم .

وكتب الاستاذ محمد المبارك مقالا بعنوان جمعية العلماء ومكانتها في تاريخ الجزائر نشره في مجلة حضارة الاسلام في أب ١٩٦٥ .

وكتب عبدالله التل مقالا نشره بمجلة « دعوة الحق » لوزارة الاوقاف المغربية العدد ١٩٦٥/١٠٢٩ الشيخ محمد البشير

الابراهيمي عالم الجزائر بقلم الاستاذ محمد بهجة البيطار ، نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في الجزء الثاني المجلد الحادى والاربعين بتاريخ نيسان ١٩٦٦ ٠

ونشر الاديب سعيد زايد مقالا بعنوان محمد البشير الابراهيمي في ذمة الخلود ، نشره في مجلة المجلة المصرية ، في ٢٠ مايس سنة ١٩٦٥ ٠

وما زال الكتاب والادباء يبحثون سيرته العطرة وما كتب عنه في العراق والكويت والمغرب العربي والحجاز والرياض يكون مجلدا ضخما وانى اختم بحثي عن سيرة الامام البشير بمقال الدكتورة بنت الشاطيء ليكون مسك الختام ٠

(١)

على درب الجهاد التقينا
والى حزب الله انتمينا
وبالقلم والضمير تعارفنا
من قبل ان يجمعنا مكان
كان قد سبقنا على الدرب الوعر
مع الصحبة الابرار من علماء الجزائر
وتقدم بعد (عبدالحميد بن باديس)
فحمل اللواء المبارك الاغر
يحدو مسرى امته بدعاء الفجر
ويضيء لها ظلمات الليل البهيم الدامس
بقبس لا ينطفيء من نور الله
ويفجر في اعماقها ينابيع الايمان نقية سخية
ويعبيء كل طاقاتها الروحية وذخيرتها المعنوية
تأهبا لمعركتها الفاصلة وجولتها الحاسمة
نضالا عن الوجود الكريم الحر ودفاعا عن شرف الانسان

(٢)

ضد العصبة الباغية من حزب الشيطان
سبقنا طويلا على الدرب الوعر

حين كنت لا ازال في حداثة الصبا الغر
لم ادر شيئا عن اهوال الطريق ومخاطره
ولم اميز اوله من اخره
حتى التقينا على صفحات البصائر
بعد ان حلت عني تمائم الصبا الباكر
فأيقنت اننا لسنا غرباء
وقد جمعتنا وحدة اللواء
من ذلك العهد البعيد مضيت اتتبع خطاه
وهو يعلمنا امانة الكلمة
ويدربنا على حمل سلاح القلم
ويلقننا سره الاكبر
في مقاومة الباطل ومجاهدة الشر
وسحق جبروت البغي والطغيان

(٣)

وهنا في القاهرة دار هجرته
قابلته لاول مرة والصراع في الجزائر
في ذروة احتدامه وعنفوان ظراوته
وكنت اتصور انني سرت على الدرب خطوة
واحتملت نصيبا من تكاليف الجهاد بالكلمة
غير اني لم اكد اراه حتى اغضيت مهابة واجلالا
وتضاءلت استحياء وخجلا
فعلى جبينه المغضن كان يتألق نور الاستشهاد
وفوق كاهله الشيخ كان عبء نصف قرن
من البذل والفداء
وفي صوته الخافت زئير الجنود البواسل على قمم اوارس
وفي برق بصره الكليل كان وهج الغرام المستعر على سفوح الاطلس
وفي خفقات قلبه كان نبض المعركة الدائرة على ارض الجزائر
وعلى اهاب النخيل ، كان مثوى الشهداء من ابطالها
كيف زين الغرور انني كنت مع جنود الحزب
كيف خيل لي الوهم انني سرت خطوة على الدرب

كيف جمح بي التطاول فادعيت شرف الانضمام الى
رفاق السلاح من حملة القلم
كلا : ما كانت خطاي الا على درب الوهم
ولا كان حظي من شرف الجهاد
الا اللفظ العقيم الاصم

(٤)

ارسله بأيسر جهد خلية البال من كل هم
وانا في منطقة الامان
على البعد الاقصى من الميدان
لم اصب شيء ولا مسني اذى
فوا خجلي من شيخ الحمى
يحمل على كاهله عبء نصف قرن من التضحية والبذل
ويطوي جوانحه على الف الف شهيد
وانحنيت في خشوع فلثمت يده المباركة
وكأني بذلك اعتذر اليه واستغفره
وتعودت ان اسعى اليه طوال سنوات المعركة
اتدرب من جديد على حمل سلاح القلم
وأتعلم منه صدق المعاناة
واتلقى منه شرف المجاهدة وارادة الحياة
واجتلي في ملامحه نور الايمان
بالمصير الظافر لنضال الجزائر
ولما تجلى الفجر واعلنت بشرى النصر
ودعنا (الشيخ البشير) عائدا الى الحمى
وآن للمهاجر ان يثوب الى داره
ويطوف بالربوع الغالية وقد طهرتها الدماء الزكية
من رجس الكفر ودنس الاستعمار
وتواعدنا على اللقاء هناك ...
وفي عيد النصر ، سعيت احج الى الجزائر
ولقيت الشيخ البشير في داره بالشريعة على قمة
الاطلس (قرب البليدة)
وعلى غير ما توقعت الفيته يسترجع الذكريات

الخوالي ويعيش بكل وجدانه مع الراحلين
من رفاق الجهاد ، ويشجيه الحنين الى صحبتهم
فيغيب عن تلاميذه ومريديه منصرفا الى طيف
يحوم حوله ، ويرفع اليه النجوى
هذا لواؤك المنتصر يرفع خفاقا على ارض الجزائر
لبيك يا عبدالحميد ، لبيك يا ابن باديس
فهل آن أن نلتقي ،
ويجتمع الشمل بعد طول فرقة واغتراب ؟
هناك ايقنت ان « البشير » يتعجل الرحيل
ليزف الى السابقين الاولين من الاصحاب بشرى
انتصار الجزائر
وعلى طول الطريق ما بين الشريعه ومصر
كان صدى نجواه ملء مسمعي ملء خاطري
فاتمنى لو اني اعود اليه فأتزود لفراق طويل
ورحل (البشير) بعد ان ادى رسالته
لحق بصحبه الابرار واوحشت منه الدار
وشط بيننا المزار فلم يبق منه الا الطيف
والذكرى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بكة سامر
رحل البشير وامتزج رفاته بالثرى الطهور
واطمأن به المثوى في مقبرة الشهداء
وحلقت روحه في الافق الاعلى
تطل على الحمى المصون وتبارك حماته الاحرار
وتحنو على كل مخزون لفقده لا يملك
الا الاسى والشجى
لا اوحشت دارك من شمسها
ولا غلا غابك من اسده
ومن ابى في الرزء الا الاسى
كان بكاه منتهى جهده

عائشة عبدالرحمن بنت الشاطىء

صدى الثورة في الشعر العراقي

سجل الشعر العراقي الحديث ، احداث الامة العربية الخالدة، وفي جملته سجل يمثل وحدتها بكل ابعادها ، فهو لا يعرف الاقليمية ، ولا يعترف للوطن العربي بالحدود المصطنعة ، وانما كان وما يزال يستوحي احداث العروبة ، من تطوان الى غمدان ، ومن شنقيط الى عمان ، ولو رحت اسجل كل ما قيل من الشعر الثورى لشعرائنا العراقيين وحدهم عن هذه الثورة التي صفق لها العراق ، واهتزت لانتصاراتها الامة العربية اجمعها وطربت لها الشعوب المتعطشة للحرية ، لو فعلت ذلك لكان حصيلة ذلك ديوان ضخم ، فقد تجاوب الشعراء العراقيون ، شيوخهم وشبابهم ، اصحاب القريض منهم وارباب الشعر الحر ، وتفجرت احاسيسهم ، وطغت عواطفهم ، يسجلون هذه المشاعر الجياشة متجاوبين مع أحداث الثورة ، انشدوها اهازيج للكرامة ، ولحنوها أناشيد للعزة ، يحيون بها أبطال الثورة التي أقضت مضاجع المستعمرين ، واقتلعت الاستعمار من جذوره ، واجتثها من أرض الجزائر ، هبوا يدبجون ، قصائد المجد ، يحيون بها الشهداء الخالدين ، الذين سقوا بدمائهم الزكية ، شجرة الاستقلال فنمت وربت واينعت واثمرت دولة الجزائر الفتية، التي ضرب ابناوءها أروع الامثلة في الفداء والعطاء ونكران الذات ، لم يثنهم عن هدفهم تهديد أو وعيد ، أو سجون أو تعذيب أو مشانق، ولم ترهبهم فرنسا الباغية ، بأساطيلها وجيوشها ولا بتدميرها وتقتيلها من خلفوا بالديار ، واسعروها حربا لا تبقي ولا تذر ، تحصد جنودها فريقا بعد فريق ، وارخصوا أرواحهم فداء للوطن وبذلوا من الثبات والاستبسال والتضحية ، ما لم يروه التاريخ الحديث لشعب من الشعوب ، ومعذرة لشعرائنا ان لم استطع ان اروي لهم كلهم فهم كثر — بارك الله فيهم — وانا بصدد الاستشهاد لا الاستقصاء فذلك له كتاب خاص ..

محمد بهجت الاثري

احد شيوخ الادب والقوامين على اللغة العربية ، عضو المجمع اللغوي في القاهرة ودمشق ، ونائب رئيس المجمع العلمي العراقي سابقا ، ومن ابرز شعراء العراق ، المحقق الثبت والمؤلف الواسع الاطلاع والمنافح عن الاسلام والعروبة ، والاستاذ الاثري في شعره ونثره بليغ مشرق الديباجة ملتزم في حدود دينه وعروبته تجاوب مع الثورة الجزائرية ، وهو بطبيعته ثائر على الاستعمار وعملائه ، تجد في شعره صدى للاحداث الجسام التى المت بامته العربية ، والشعوب الاسلامية ، وقصائده الخرائد ملاحم حربية ومطولات ثورية لقضايانا ، في مقدمتها احداث فلسطين ، وانتفاضاتنا ضد الاستعمار وفي عراقنا الحبيب في حربنا وثورتنا على الانجليز ٢ مايس ١٩٤١ وفي الغدر الثلاثي على السويس ، في المغرب العربي ومشرقه ، في نكسة ٥ حزيران ، وفى كل ما يلم بامتنا او ينتابها من ملمات ، تجد ديوانه سجلا معبرا لهذه النكبات ، تجد أساها يرسلها من جراحات نفسه رقراقة في تضاعيف خرائده ، وهذه واحدة منها :

ثورة الجزائر
تحية واكبار

حييت من شعب مساور ... وحييت مأثور المفاخر
ناضلت ظالمة الشعو ... ب ، ودنت قاهرة الاساور
ام البنين الجاذمـ ... ـن عرا المحبة والاواصر
المرتوين من الدما ... ء المتخمين من المجازر
المتكلين ... الموتـ ... ـين المجترين على الكبائر

لم يثنك الباس الشديـ ... ـد عن المخاوف والمخاطر
كالطود .. فى ثبج العوا ... صف راسخ الجنبات وافر
تزكو على طول الجهـا ... د وتستعز على المفاقر
والتبر انضر ما يكو ... ن اذا تقلب فى المصاهر

اصبحت مــن فوق الثنـا ء وفـوق منزلـة المفـاخر

لفتت بطـولتك الزمـا ن ، وهزت الـدول الغوادر

حتـى غـدت بجلالهـا مثـلا من الامثـال سائر

⊙

ايـه ·· مواليـد الجزائر ما للبغـاة وللجزائر ؟

الـدار ليسـت داركـم والجنس مختلف المشاعر

لا الــرأي متفـق ، ولا ألفت سوى الاحن الضمائر

فبـأي حـق تملكــو ن وتوقعون بهـا الجرائر ؟

وبـأي شـرع تعســفو ن وتستبيحون المنـاكر ؟

وبـأي دسـتور يعيـ ش النـاس مأسورا وآسر

ان كان لنسيف انقضـا ء نعضـد ومى [illegible] ل بائر

ان الثـلاث الخاليـا ت أرين جندكـم النواقر(١)

هـذا زمـان ·· قد رمى بالقيـد ، واطرح القيـاصر

دارت رحـاه عـلى البغـا ة واسقط الـدول الفواجر

⊙

قـد قـام قائـم « يعرب » بين البوادي والحـواضر

فلتصبـون بكـل أر ض صولة الاسد الخوادر

ولتسـمعن زئيرهــا يعلـو الزمازم والزماجـر

سير الاوائل في الحفا ظ ، رجعن في الخلف الاواخر

أوطاننـا هــي ملكنـا ولنحن ذادتها القساور

الثـائرون عـلى الطغـا ة الصابرون على الفواقـر

القاصمـون عـلى المنـا يا الهاجمون على الكواسـر

سنـذود عنها الطـامحـ ـين الى الموارد والمصادر

ونسـاؤنا كـرجالنا من كـل ثائـرة وثائـر

يتجاذبون مـلاءة العـليا ، وابـراد المـآثر

⊙

باريـس ·· يا بنت الحضا رة ليت مـن ولدتك عاقر

هل انت من احنـت على البسـ تيل ؟ واصطلت النوائـر ؟

وأطحت طاغيـة الملـو ك كما يطيح الشاة جازر

---

(١) النواقر : المصائب والدواهي

وكتبت تحريـــر الـــورى وضعت «تقرير المصاير[٢]»
حكمت بردتــك الشعـو ب ، وصرت هزاة كل ساخر
زيـدى البعــوث الى الجزا ئر واملئى منهـا الدساكر
المــوت ما حكمت عليــك بــه ، ولا عيــش لمــاكر
فـى كل شبر ٠٠ مدفن لبنيك مـــن آت وغـــابر
فتنظريهـم ٠٠٠ يرجعــوا يــوم المآب مـن المقـابر

⦿

ليــل الجزائـر ســاهر يقظــان مرتجـز مغـامر
حــران ٠٠ اطمـات العـدا دمــه الـى دم كل غــادر
آلـى ، وأيمـــان الاكـــا بر غــير ايمـــان الفواجر
ان لا ينـــام ولا ينيــ ــم وفى حشا الاوطان واتر
قســما بمــا آلـى بــه والنجح مـن قسم المثابر
لتديل من حكـم البغـــا ة الحـق كالاصباح زاهــر
وتطــوف باستقلالها ال أنبــاء ضاحكـة البشـائر
وتـروح بالخزي البغـــا ة تجـر اذيـال المحـاقر

ديوان محمد بهجة الاثري المخطوط

(٢) يشير الشاعر الى تقرير حقوق الانسان ٠

حافظ جميل

وهذه قصيدة للشاعر الكبير ذي الديباجة الجزلة والمعاني الفخمة الاستاذ حافظ جميل حيا بها الثورة في عامها السابع وعبرت عن مشاعر صادقة وعواطف دافقةوالقصيدة تبلغ تسعين بيتا كل ابياتها رائع ومن النسق العالي : ويعد اليوم حافظ من كبار شعراء العروبة له ثلاثة دواوين اشتملت على غرر الشعر معنى ومبنى .

– من أعلى الجزائر –

الى م تراوغين .. وتخدعينا — وأين الصدق فيما تدعينا
مددت يد الوئام فحام شك — فكيف به وقد محق اليقينا
أعندك ان م نفاوضت قوم — اذا ما طلتهم يستسلمونا ؟
وانهم الضعاف متى توالت — متاعبهم عنوا لك صاغرينا ؟
وأين الضعف الا فى اناس — يوالون الوعود ويخلفونا
وأين العار الا فى رجال .. — لكل فضيلة يتنكرونا
وأين الخزى الا فى طغاة — يعانون الفناء ويشمخونا
طريق الحرب وعر يا فرنسا — وكم أنضى جهود السالكينا
قطعت به السنين السبع هوجا — وكم سبع هناك ستقطعينا
وفلت عزمك النكبات وهنا — وما اوهنت عزم الثائرينا
أبيت لهم سوى التسليم حلا — وعز اليوم يوم يسلمونا
فما ثاروا ليرتدوا عبيدا — ولا نفروا ليمضوا خاضعينا
ولا شهروا سلاحهم ليجثوا — امامك ركعا يتضرعونا
ولا خاضوا المنون ليستكينوا — ولا بذلوا الدماء ويبذلونا
ولا عافوا منازلهم ليبقوا — عراة فى الفلاة مشردينا
ولا جاعوا ولا ظمئوا ليدموا — بطون علوجك المستوطنينا
ولا وهبوا حياتهم ليشروا — بها الطاف عفوك شاكرينا
احيلي ارضهم طوفان نار — فهل تجدينهم يتهيبونا
وهل تجدين انضاهم كفاحا — يحدث نفسه ان يستكينا

قضوها في الجهاد سنين سبعا   فما ملو ولا كلوا متونا
ولو ابليت ما أبلوا لدانت   لهيبتك الخلائق اجمعينا
جهلنا شرعة المستعمرينا   فيا ام الشرائع خبرينا
ابيت على (الجزائر) كل حق   يجاوز حقها في التابعينا
وعز عليك ان تحظى بحكم   يقيها شبرة المتحكمينا
احق السادة الدخلاء حق   ودون الحق حق الاخرينا
تدارست الحلول لها تباعا   وما أدهى حلول الماكرينا
فما استهواك كالتقسيم حل   يعد مكانها في اللاجئينا
ولا كمكيدة الصحراء .. ختل   يسير على هداه الغاصبونا
الا خسئت حلولك من حلول   وخاب رجاك فيما تأملينا
متى كنت الوصى على البرايا   تبيعين الشعوب وتشترينا
وهل رأت (الجزائر) فيك الا   فلول عصابة يتآمرونا
هبيها أوت الغرباء يوما(١)   فهل فقدت حقوق المالكينا
وهل لبنيك بالصحراء عهد   وفي أي الممالك يصحرونا ؟
وما خلق الجبان اخا فياف   ولا عرف الوهاد ولا الحزونا
ولا سكن الصحارى غير ليث   تاجم(٢) حر رملتها عرينا
شهدنا بأس جندك في الصحارى   يجوبون الفلاة مدججينا
فلم نشهد هناك سوى جراء   تصايح أو ارانب يملعونا(٣)
اذا سمعوا بداجية صفيرا   أقاموا الليل ما يتنفسونا
وان لمحوا على بعد خيالا   فشكل الموت ما يتخيلونا
سلي صيد (الجزائر) كم اطاحوا   على فلواتها منهم هجينا
سلي (وهران) كم تركت قتيلا   يعانق جرح صاحبه طعينا
سلي (اوراس) كم قطعت رؤوسا   كأن هضابها وفرت بطونا(٤)
فما تبغين من اخضاع شعب   تسامى عزة لك ان .. يدينا
حشدت له جحافل من رعاع   وضعف حشودهم من مجرمينا
فهل جازوا لمعقله سياجا   وكانوا في اللقاء موفقينا

---

(١) ولو قال غصبا بدلا من (يوما) لكان اوقع ولتقابل حقوق المالكينا .
(٢) تاجم دخل الاجمة وهي ماوى الاسد
(٣) يملعون = يسرعون
(٤) فرت : شقت

وأين من العقاب بغاث طير تعاف الوكن ان سمعت طنينا

⊙

دعي لغة الحديد وحاجبينا لعلك بالوقائع تدمغينا
خلالك «في الجزائر» كل شبر وصرفت الامور بها سنينا
وبدلت الوجود بها فناء فهل بدلتها لغة ودينا
وعايشها بنوك ٠٠ ورب عيش يتوق لمثله ٠٠ المتنعمونا
فهل قطعوا الاواصر او تناسوا مع الايام أمهم الحنونا
فمالك كلما سألتك عنفا ألحت نها بسيفك ترعدينا
أراعك ان ترود سواك مرعى فتصبح لقمة ٠٠ للسائغينا
كفى بك في خداع الناس افكا وحسبك باطلا ما ترغمينا
أحقا انت للراجين كهف يلوذ بك الضعفاء ويحتمونا ؟
وأين حماة أرضك يا « فرنسا غداة تعرضت للطامعينا
وكيف انها لم يسعفه شهر يرد به الغزاة الفاتحينا
وأين منبع حظك يوم حافوا (بماجينو) فزادوكم جنونا
تركتم كل حامية وراء ورحتم بالهزيمة تحتمونا
وساقكم العدو سياق بهم فما حدتم شمالا أو يمينا
ركعتم كالعبيد له صغارا يسومكم العذاب وتنظرونا
فأين فخاركم ان قام فخر وأين مكانكم في العالمينا
فما خضتم لمعركة غمارا وعدتم بانفخار متوجينا
ولا فزتم على خصم بحرب سوى في سوء ما تتخلفونا
فيا لملىء ماضيكم فسادا ويالمزيد حاضركم شجونا
عجمنا[٥] عودكم سلما وحربا وشمنا طبعكم عنتا ولينا
فلم نلمح كروحكم انهزاما ولا كنفوسكم ذلا وهونا

⊙

حياء ايها المتغطرسونا ورفقا بالشعوب الوادعينا
نزفتم رزقهم سلبا ونهبا فهل أبقيتم ما تسلبونا
وسمتم عيشهم نكدا وبوسا وعين الله ترعى البائسينا
طغت أطماعكم حتى لكادت تغير على عظام الميتينا
أبيتم غير جنتكم نعيما وغير شعوبكم مترفهينا

---

(٥) عجمنا = اختبرنا ٠

أكان الكفر ان تجدوا سواكم بنعـمة ربهـم يتحـدثونا
الا تبـا لنزعتكـم وسـحقا لافئـدة القسـاة الظـالمينا
واتعس بالخلائق ان يساسوا بعقـل الساسـة المتعفنينـا
يسود الابيض المسـود قلبا وتحتقر الشعوب ملونينـا
ورب مسـود ما سـاد الا بتضليل السواد الغافلينـا
ومنتهز يعيش الدهـر كـلا عـلى عرق الجموع الكادحينا
دعوا سلطانكم بالامس واعنوا لحكـم الدهر غـير مكابرينا
فلم يعـد الزمان لكـم ولياً ولم تعد الشعوب لكم قطينا[٦]
غلوتم في العتو وأي بـاغ اطاقـت بغيـة الدنيا قرونا
فما تالو البرية من أذاكـم تعج كوارثا ما ينتهينـا
فما من فتنة شبت بأرضـ ولم يك مكركم فيها كمينـا
ولا سالت بمجزرة دمـاء ولستـم جندها المتسترينا
دنت ايامكم ولـرب يـوم سيطلبكم ولو في الهامدينا
فليس كمشهد التاريخ عرض يلوح الناس فيه مصورينـا
فخطـوا فيه صفحتكم وسـيروا بلعنات الشعـوب مودعينـا

(ديوان اللهب المقفى)

---

(٦) القطين : الحدم والتبع .

خالد الشواف

وللاستاذ الشاعر الاديب خالد الشواف الشاعر الذى امتلا قلبه ايمانا بربه وحبا بوطنه واعتزازا بعروبته مواقف مشرفة يحيى امجاد قومه ويذكر الجماهير بمفاخر امته ويسهم بشعره الثائر فى الاحداث التي تمر بها امتنا في مشرقها ومغربها ، في صراعها مع الاستعمار ومع الصهيونية ومع الالحاد · شاعر ملتزم في شعره تلمس الوطنية الصادقة والخلق الرفيع ، التوجيه الهادف والتوعية الجماهيرية· وله فى المناسبات الوطنية والاسلامية والثورات العربية قصائد روائع تهتز لها النفوس وتصفق لها القلوب استحسانا قبل الأكف ، من تلك المواقف قصائده فى ثورة الجزائر الجبارة منذ اندلاع نارها الى يوم انتصارها وقيام جمهوريتها ، ففى عام ١٩٥٥ حياها بقصيدة حماسية رائعة بعنوان :

الجزائـــر

يقول فيها :

قربي يا أخت ، فالعتق قريب	هكذا ينتزع الحق السليب
تقطف النصر ، وان حف به	أسل من شوكه الكف الخضيب
قربي يا أخت لا تستكثري	مهجا في جاحم النار تذوب
غلة للعتق يرويها دم	في ثراك الطهر مسفوح صبيب
قربي أغلى اضاحيك ، فمن	يبذل الغالي بالغالى يؤوب
انت يا اخت على الدرب الذى	وصلت حين مشت فيه الشعوب
لك فى المشرق أجلى مثل	فخذى فالحر للحر ضريب

ـ الجمهورية الجزائرية ـ

وفي مطلع السنة الخامسة للكفاح الجزائري المجيد اعلن ميلاد الجمهورية الجزائرية والقى الاستاذ خالد الشواف هذه القصيدة تحية للجمهورية الوليدة التي هلل لها بنو الضاد في جميع اقطارهم وآزروها ومدوها بالمال والسلاح واعترفوا بقيامها . القاها الشاعر في احتفال اقيم ببغداد في تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ :

لا تقل اين .. ولا أيان ترسي ... خفق الطير على مطلع خمس

جازت الفلك على اليم مدى ... كل ظن .. وتعدت كل حدس

يلهث الموج على حيزومها ... وتخور الريح غيظا حول قلس

وهي تفرى الدم والماء معا ... اربعا غير مشوبات بنكس

بشراع عربي خافق ... ببطولات وامجاد وبأس

رفعته عصبة صابرة ... ليس في قاموسها معنى ليأس

وقفت في ظله صامدة ... وقفة الذائد في ظل الدرفس

تصبح الصبح بنصر رائع ... وبنصر غيره اروع تمسي

لاتقل .. اين .. على الثغر الذى ... حضن الاحرار منا يوم امس

لاتقل أيان .. في فجر غد ... وغد حبل وريد .. حين ترسي

يوقظ التاريخ منها ظفر ... عربي فوق خذلان فرنسي

يعجز (الدستور) ان يطوى حمى ... عربيا بسطور فوق طرس

كل شيء يا فرنسا غير أن ... ينطوى جنس كما شئت بجنس

المساواة التى اطلعتها ... لشعوب منيت منك ببؤس

ليس فيها يا فرنسا غير ان ... تشربي الكأس وتحسو فضل كأس

والقوانين التي شرعتها ... لشعوب شقيت منك بتعس

ليس فيها يا فرنسا غير ان ... تتلوى بين شدقيك لفرس

قد بلونا شرع جلاديك في ... فتية ذادت عن (الاهراس) حمس

شرعة الغاب .. وبئست شرعة ... تكل الحكم لناب ولضرس

حرقي من شئت منهم واصلبي ... واقذفي من شئت في غيهب حبس

واخطفي من ظفر الكيد بهم(١) ... حين لم تمدد يد الحرب للمس

لن تردى عنك من ايديهمو ... قدرا منتظرا يجرى بنحس

يا فرنسا والضحى في رأده ... لن يقوم الليل من اطباق رمس

---

(١) يشير الشاعر الى اختطاف الزعماء الخمسة كيدا وخيانة .

نسخت كف الضحى مهزلـــة   حاكها الليل بتلفيق ودســـ
تلك دعواك ٠٠ وهذي راحـــة   نضحت انملها الخمس برجس
كلما ذكـــرت الاولى مشـــت   خلفها الاخـــرى لتمحوها وتنسى
قد أصخنـــا فسمعنا حســـنا   ونظرنـــا فرأينا فـم طلـس
فوعينا ما رأت أعينتنـــا   وصممنا السمع عن لين جرس
لم يعد فى الارض من يخدعـــه   اطلس يخطب فى بردة قس

⊙

التحيـــات ٠٠٠ لجمهورية   طلعت كالشمس من مغرب شمس
يا عروسا هزج الشرق لهـــا   وتغنى بأسمها في يوم عرس
ترفع الابطـــال فى موكبهـــا   هودجا يزهو بأبراد الـدمقس
هي من عـين لعين فوقـــه   وهو فـوق الهام من رأس لرأس
شرف الفردوس هل شارفها   وضح منك وقد جليت امس ؟
الضحايا الكثر فيهـــا ازدحمت   ترمق الركب باجلال وقدس
ابصرت فيك وقد طالعتهـــا   بدلا عن نفس غـــال ونفس
لم يضع ما سال من اعراقهـــا   فالجراحات سقت اطيب غرس

ديوان « حداء وغناء »

محمد مهدي الجواهري

وهذه قصيدة عصماء للشاعر الاستاذ محمد مهدى الجواهرى الذي كل اهابه الشعر والذى يهتز للاحداث الانسانية فيسجلها بشعره والذى ناصب الاستعمار حربا لا هوادة فيها ولا سيما بعد انتفاضاتنا وثوراتنا التحررية ، وفى الحرب التى اظهرت وحشية فرنسا وزيف تمدنها وهمجية جنودها لانهم في حربهم كانوا يقتلون الشيوخ والنساء والمرضى والاطفال ويدمرون وينهبون من غير ان تعرف قلوبهم الرحمة ، والمجازر التي تمارسها فرنسا اوحت الى الشاعر الجواهرى بهذه القصيدة والثورة في أيامها الاولى :

يوم الجزائر

ردي علقم الموت لا تجزعي ... ولا ترهبي جمرة المصرع
فما سعرت جمرات الكفاح ... لغير خليق بها اروع
ولا تهني أن سوم الفخار ... يشق على الهين الطيع
دعي شفرات سيوف الطغاة ... تطبق منك على المقطع
فانشودة المجد ما وقعت ... على غير اوردة قطع
وخل النفوس العذاب الصلاب ... تسيل على الاسل الشرع
فسارية العلم المستقل ... بغير يد الموت لم ترفع
ومدى يدا لمجر النجوم ... واخرى الى الجدث البلقع
فانك والموت دون الحياض ... صنوان للشرف الارفع
ردى علقم الموت بئس الحياة ... ترنق بالذل من مكرع

⊙

جزائر يا جدث الغاضبين ... بوركت فى الموت من مربع
ويا نبعة الصبر للصامدين ... لوتها الرياح ولم تقطع
تعاصت فلم تعط من نفسها ... لنكباء مجنونة زعزع

ثبي ، فمناط رجـاء الشعوب
جزائـــر ما أنت مجـــذومة
ولكن منـــى أمـــة ، والصميم
جزائـــر دارت بمستعمـــر
طحون تذرى هشيم العتاة
وأذن فجر الشعوب الهتوف
وكان النضال صـــدى يختفي
وكـان المناضل في لجة العم
فها هو فيها ٠٠ يهم الحـيـاة

ومـوت الطواغيت ان تفزعـي
ولا انت بالوتـــر لم يشـفـع
منهـا وذوب حشاشتها اجمـع
رحى من يضرس بها يهلـع
عـلى مصطلى ، نارهم مدقـع
ينشق عن يقظة الهجـع
ويخنق فـي زحمة المدفـع
ســايات ينداح كالقوقـع
والناس كالكـــف والاصبـع

⊙

جزائـــر سامك خسف الهوان
وضربه المثـل الصالحـات
أذيلت صحائفــه النيرات
مشت لك (باريس) ام الحقوق
تمـــزق اظفـــاره ٠٠ امة
فرنسا ٠٠٠ وما اقبـح المدعي
فـداء لمقصلــة الثـائرين
لك الويل من رائم اطعمـت
تهـدم بستيل في موضـع
أمن مشعل النور ما تحرقيـن
ومن يوم (تموز) ما ترسلين
ومن ـمطبخ ـ الثورة المدعـاة
فيا سـوءة الدهر لا تطلعـي
ويا قرحة في صميم الشعـوب
تواري فان هوان الحيـــاة
وظلي بحيث يظـــل الغراب
جزائر كيلي بصاعـــي حقود
عـلى موجع الظلـم بالاوجـع
خذى الوحش من ظفره وانزعي
دعيه يذق ما أذاق الشعوب

شرع لمثلـــك لم يشـــرع
ردت الى الخلـــق الاوضع
وديست وليثت بمستنقـع
وحشـــا يدب على اربع
بحق الحياة لها تدعـــي
كذابـا ، وما اخبث المدعـي
مجازر للشيب والرضع
دم الراضعين ولم تشبـع
وتبنى (بساتيل) في موضع
أباة على الضيم لم تربـع ؟
شــواظا عـلى هلـــع فزع ؟
ما رحت تطهـــين للجـــوع ؟
ويا ثورة الغـــدر لاتنبعي
فييء صد يدك واستبضعى
والطهر والعدل ان تطلعي
يجدح في جثث وقـع
عـم في ضراوته مقـذع
ومستبشع الحقد بالابشـع
ومـن نابـــه جردي واقلـع
من الهول والفزع الافظع

وجريـــه فوق رغـــام أجـــر ... عليـــه مواكبهـــا يركـــع
جزائـــر دقي بجرس المنـــون ... عـــلى مسمـــع مغلق يسمـــع
دعي حســـك الحقد والانتقام ... يقظـــان مـــن ناعـــم المضجـــع
وخلـــي الرقاب الغلاظ القباح ... ترف عـــلى ترف المبضـــع
وسلـــي المخـــالب مـــن أذؤب ... تعـــاوت عليـــك ومن اضبـــع
تلـــوك بلحمك فـــي ماضغ ... هربت بحـــر دم مشـــبع
ودوري بكاس الهوان المريـــر ... على مترع مثلها يكـــرع

محاضرات عن الشعر
العراقي للدجيلي

الدكتورة عاتكة الخزرجي

شاعرة رقيقة وشعرها كنسائم الفجر ، واديبة تجيد البحث وتحسن النقد ، اخرجت للقارىء العربي دراستها التى نالت بها شهادة الدكتوراه « العباس بن الاحنف » فكانت دراسة اصيلة ارضت القارىء والناقد معا ، واعجبت بهذه الدراسة وعللت اختيارها لهذا الشاعر الرقيق تعليلا كنت احسب انه الاساس فى هذا الاختيار ، فلما قرأت شعرها واستمعت الى نبرات صوتها عن طريق الاثير وفى بعض الحفلات وكم كنت اهفو لعاطفتها وهى تتذلل لسيدها على طريقتها الصوفية قلت حقا ان الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . العباس هام بالجمال وتغزل وشبب بمحبوبته والدكتوره تغزلت واحبت هذا اللون من الشعر العذب ولكن فى صوفية ومحبة روحانية ، والصوفية غير غريبة عنها فقد ورثتها عن والدها الذي كان من كبار شيوخ الطريقة النقشبندية وهى كما وصفت نفسها ووصفته رحمه الله :

عالمي روح من الحب ... ونفح من صلاة
وتسابيحي صدى الوحي ... ونجوى الذكريات
بنت ذاك القانت ... الحر الكريم الخلوات
هي ذاك القانت ... البر بجلباب فتاة

وليس الغزل وحده الذى يشتمل عليه شعرها العذب فهى قد نظمت واجادت كل الاجادة وعبرت احسن تعبير عن احداث امتها بحرارة وصدق ومن يقرأ (وحي الجزائر) و «هوى الوطن» (وفلسطين) و « صرح الظلم » و « سيروا الى الحرب» و «عيد العرب» وقصائدها فى النكسة وغيرها يعلم أي هوى تكن الدكتورة عاتكة لامتها وايقن

ان ما ينتاب الشعوب العربية من احداث يهتز لها كيانها فترسل انفعالها شعرا يصل شغاف القلوب ٠

من وحى الجزائر

بوركت يا يوم الجزائر
يوم المكارم والمحامد
اكرم به يوما اغر
ويقوده للنصر شعب
نفديك يا ارض الجزائر
افدي الجباه السمر
أفدي النفوس العاصفات
ورفعن خفاقا اغر منور
بوركت يا شعب الجزائر
فيك العروبة كلها

يوم البطولة والمآثر
والمحاسن والمفاخر
(به ابن بلا) قام ثائر
في ركاب العز سائر
مفتونة بين الشواعر
والغرر المكللة الظوافر
حفرن للظلم المقابر
آ علم الجزائر
وبقيت رمزا للمآثر
سبقت أوائلها الاواخر

شاذل طاقة

أديب مفكر ، وشاعر مقل ، ينظم الشعر العمودى ويجيده ، واستهواه الشعر الحديث ووجد فيه منطلقا اوسع لنقل افكاره ، وميدانا ارحب للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه القومية ، فهو شاعر ملتزم ، سجل في قصائده احداث امته وصور مشاهد من ماساة شعبه ، تجد عواطفه مجسدة في « قابيل في الدملماجه » و «الفجر في وهران» والجزائر والفجر والشهيد ، ورسائل من سجن الكوت ، وبعد ساعات يموت الليل ، وبطاقة عيد الى الموصل ، ورسالة حزينة، عبرت عن سجين حزين ، صور ملتاع القلب متفائل النفس رغم رغم القيود ، لنا الغد الزاهى السعيد ، شعر معبر من شاعر وقور رصين ٠

لنا ٠٠ لنا ٠٠ السواعد المتينة
تهز سور السجن ، تصهر الحديد ، وفي غد
تطهر ٠٠ المدينة

* * *

تجاوب مع الثورة الجبارة ثورة الشعب الثائر اختار له :

ـ الفجر في وهران ـ

الليل يموت ٠٠ ووهران
نول يغزل في اغوار الظلمه
كفنا ٠٠ للطغيان ٠٠
الليل يموت ولا نأمة
للجثمان ٠٠٠
ومشاعل من رايات مجدولة
تنثال على وهران ٠٠

عبر القمم الصخرية
تحدوها قافلة عربية
وصدى اغنيـة
ينداح من الافق المجهوله
عبر الوديان ٠٠ اغنية
غنتها في السجن جميلة[١]
خلف الزنزانة والاسوار
ويسمعها عبد الرحمن[٢]
فتغناها اغنيـة
بالحب مدماة الانغام
وتمناها امنيـة
ريا بدم الثوار
امنية محكوم بالاعدام
ان يطلع فجر الانسان ٠٠ الانسان
من افق جزائرنا العربية

* * *

وهذه مقاطع من قصيدته :

الجزائر والفجر والشهيد

الليل تطويه وتنشره المقابر ٠٠ والمدينة
ثكلى ٠٠ وخلف قبورها ينداح ٠٠ افق
وعلى الجراحات الدفينة
وهران اغفت والجزائر والصحارى
من قبل الف ٠٠ والرمال يحضنها للمجد توق
والثائرات على الذرى ، ينسجن للثوار غارا
للصامدين ، لكل عملاق يهز النجم زهوا وانتصارا
وعلى الجراحات الدفينه

---

(١) جميلة بوحيرد ، مثال البطولة للمراة الجزائرية في شجاعتها وصبرها على العذاب الوحشي الذي مارسه جنود المظلات في سجنها وحكم عليها بالاعدام فقامت احتجاجات على المستويين العربي والعالمي فابدل بالسجن ثم اطلق سراحها ٠

(٢) عبدالرحمن خليفة ، شهيد جزائري اعدمه الفرنسيون في اواخر تموز سنة ١٩٦٠

وهران أغفت وهي تحلم بالشهيد وبالشهيدة
بالباذلين يضمهم شعب ·· وتبعثهم عقيدة
من مات من ابنائها ·· من غاب من اقمارها
ما حف من ازهارها
ما اظلم من انوارها
والليل تطويه وتنشره المقابر ·· والمدينة
غضبى ليست على الجراحات الدفينة
والفجر آت ـ لا محالة ـ يا جزائرنا الحبيبه
يا ارض اجدادي الحزينة
اخوتى ·· يا اهل ودى ·· يا قرابين العروبة

من قلب مقبرتى ·· الى اعماق سجنك ياجميلة
تنداح رايات النضال
وترف في الاجواء اغنية نبيله
عبر المفاوز والجبال ··
عربية الانغام والالوان ترفل بالجلال
ونهز سور السجن ·· تبعث فى الرجال

يا نجمة الثوار **ياأختى جميلة**

يا أخت كل شهيدة ضم التراب لها جديله
يا اخت كل الثائرين ·· من العمومة والخوءلة ··
يا لغز ثورتنا ··· ويا ألق العروبة
يهمي من الاهراس ·· يمسح دمعة الارض الخضيبة
يا نجمة الثوار يا اختى جميلة
ياليل ياليل الطغاة العابثينا
اطبق وخيم بالضغينة
واجثم على وهران ·· والبيت القصى من المدينة
اطبق على الاطفال والام الحزينه
اطبق على بيت الشهيد مجلجلا ·· حرق سكونه
الباب اغلق منذ ساعات
فما من قادم له يفتحونه

وابوه ما اب بعد سفاره ٠٠ لكنه وفي ديونه
لاشوق
لا احلام ٠٠ غير بشائر الفجر الذي يترقبونه
وحكاية الام الحزينه
عن مقلتين مع الصباح
على الظلام يمزقونه
وعلى التراب ٠٠ يقبلونه
وعلى الشهيد يوسدونه
في واحة خضراء ٠٠ في قلب الفلاة
اطبق وخيم ٠٠ ان فجر الشعب أت
ياليـــل
ياليل الطغاة العابثينا

الشيخ محمد علي اليعقوبي

للأديب الشاعر رئيس جمعية الرابطة الادبية في النجف مواقف مجيدة يتجاوب فيها بشعره العذب مع الاحداث الهامة التي تحدث في العالم العربي ، فما من انتفاضة أو ثورة أو نكبة ، تحل في قطر عربي الا وتجد أصداءها في نفس الشاعر يتجاوب مع تلك المآسي فينشدها قصائد صادقة العاطفة ومعبرة عن عواطف الجماهير ، وله في هذا المجال قصائد كثيرة تتناول شوءون الامة العربية ، يندد بسياسة الاستعمار ويهاجم المستعمرين والطغاة • وديوانه الجزء الاول حافل بهذه الموضوعات الوطنية التي تخص الثورة العراقية الاولى وثورة ٤١ وفلسطين ، والوحدة ، وجهاد المغرب العربي وبطل الريف وعراقية الموصل ، الى تونس والجزائر • وفرنسا والجزائر قالها يوم دعت العراق ، والبلاد العربية الى الاضراب ، استنكارا لما ترتكبه فرنسا في الجزائر •

فرنسا والجزائر

قاطعوا شر أمة مارعت ذمة الامم
ليس من شأنها الوفا • ولا الخلق والكرم
لا نظام يصان فيها ولا عهد يحترم
كم جنت من فضائع ليس يجرى به القلم
اظهرت من حقودها كل ما كان مكتتم
ان جيشا غزت به – مصر – قد عاد منهزم
وكيانا قد حاولت هدمه ليس ينهدم
وسنا الحرب في الجزا ئر قد شب واضطرم

او تدرى فرنسة ... أى خطب بها ألم
ان نارا قد اوقد ... تها ففيها ستلتهم
قد دنا يومها الذي ... لم يفدها به الندم
وحد المغرب الصفوف ... وهيهات تنقسم
دون ما تبتغي به ... عقبات لاتقتحم
حيث عادت وأنفها ... بشبا الحق قد رغم
وتولت ووجهها ... بالمخازى قد اتسم
ان عهد استعمارها ... فيه قد زال وانصرم
والفنا غاية لمن ... جار فى الحكم او ظلم
ايها العرب جردوا ... عزمكم واشحذوا الهمم
فاخو البأس والحجى ... ان رأى الفرصة اغتنم
تسترق الرقاب في ... الشرق والحق يهتضم
أقعودا .. وفيئكم ... في بني الغرب يقتسم
ان من سيم خطة ... الخسف والضيم لم ينم
(مجلس الامن) .. ... لايفيد ولا (هيئة الامم)
لبس تصغي كأنما ... ملء اسماعها صمم
فاعيدوا المجد الذى ... كان فى سالف القدم
يوم كانت ببيضكم ... في الوغي تكشف الغمم
انما العز ديدن ... لكم والابا .. شيم
حكموا السيف في العدا ... فهو الفصل والحكم
نافذ الامر قد قضى ... ومطاع اذا حكم
واذكروا الخمسة الالى ... هتكت فيهم الحرم (١)
مارعوا لابن يوسف ... فيهم العهد والذمم
قطب المشرق عابسا ... منه والغرب يبتسم
حبذا نهضة .. لكم ... توقد الكون بالضرم
ما اعز الشعب الذى ... جمع الشمل والتأم
فنرى من وفاقكم ... عروة ليس تنفصم
وترى الشرق للعلا ... سار صفا قد انتظم

---

(١) أشار الى الزعماء الخمسة الذين اختطفتهم فرنسا وهم في طريقهم الى تونس وقد جاءوا بزمام محمد بن يوسف سلطان المغرب وابي رقيبة وكان يومئذ رئيس وزراء تونس .

للفرنسيس لم تـدع من سفير ولا علـم
(وبباريس) وقعها ينزل الويل والنقـم
أي قلـب من يعـرب ما بـه منهم الـم
وازروا المغرب الذى فى قواها قد اصطـدم
خاض ابناوه الوغـي حيث موج الردى التطـم
مانثاهـم عـن الكفـاح نكـول ... ولا سأم
لم تطش منهم الحلـو م ولا .. زلت القـدم
حـي منهـم اشاوسـا ليس تدرى سـوى الشمم
هاجمـوا كـل فيلـق جاء كالسيل ان هجـم
ليس يدرى العدو مـذ هاله الخطـب واحتدم
حيـث لم يلـف منهم ملجأ فيه يعتصـم

نازك الملائكـة

شاعرة ملتزمة ومجددة تعد في طليعة شواعر عصرنا ليس في العراق وحده وانما في دنيا العروبة كما أجادت قرض الشعر العمودي وبرزت فيه ونظمت في الشعر الحر وعدت في الطليعة بين من عـانوا هذا النوع من الشعر وعدها النقاد أو على الاصح بعضهم انها زعيمة أصحاب هذا الشعر والذي أريد ان اخلص اليه ان نازك الملائكة أديبة وكاتبة وشاعرة في النوعين من النظم ـ قومية تعنى بمقومات القومية العربية ـ ومن أبرز مقوماتها الدين واللغة والتاريخ وكثيرة التحسس لمآسي أمتها فياضة الشعور تعنى بأحداث العالم العربي ، تجد صدى ما ينتاب شعوب هذه الامة من نكبات وانتفاضات وثورات ومصائب بسبب الاستعمار والامبريالية والصهيونية تلقاه مجسدا في شـعر نازك السيدة الوقورة المتزنة في التفكير والرصينة في التعبير وقصيدتها التي عنوانها (نحن وجميلة) مصداق لهذا التفاعل مع ثورة الجزائر وقصيدتها الثانية الراقصة المذبوحة عبرت فيها عن منطق المستعمرين·

نحن وجميـــلة

جميلة ! تبكين خلف المسافات ، خلف البـلاد
وترخين شعرك كفـــك دمعك فوق الوســـاد
أتبكـين أنت ؟ أتبكي جميله ؟

أما منحوك اللحون السـخيات ، والاغنيـــات ؟
اما أطعموك حروفـا ؟ أما بذلـوا الكلمـــات ؟

ففيم الدموع اذن يا جميـله ؟

⊙

ونحن منحنا لوصف جراحيك كـل شـفه
وجرحنا الوصف خدش اسماعنا المرهفـه
وانت حملت القيـود الثقيلة
وحين تحرقت عطشى الشفاه الى كـأس مـاء
حشـدنا اللحون وقلنـا سنكتبها بالغنـاء
ونشدو لها في الليالي الطويلة

⊙

وقلنا : لقد أرشفوهـا الدماء ، سقوها اللهيب
وقلنا : لقـد سمروها عـلى خشـبات صليب
ورحنا نغني لمجـد البطولـه

⊙

وقلنـا : « سننقذها ، سـوف نفعل » ثم غرقنـا
وراء مدى « سوف » بين الحروف النشاوى وصحنا
تعيش جميله ! تعيـش جميله
وذبنا غـراما ببسمتها وعشقنا .. الخـدود
وأذكى هوانا الجمـال الذي اكلته القيـود
وهمنـا بغمـازة وجـديلة
أمن جرحها الثر نطعـم اشـعارنا بالمعاني ؟
أهذا مكان الاغاني ؟ اذن فاخجـلي يا اغانـي
وذوبي أمـام الجراح النبيلـه

⊙

هم حملوها جراح السكاكين في سـوء نيه
ونحن نحملها ـ في ابتسـام وحسن طويـه ـ
جراح المعاني الغلاظ الجهولة
فيا لجـراح تعمـق فيهـا نيـوب فرنسـا
وجرح القرابة أعمق من كل جرح وأقسـى
فوا خجلتا .. من جراح جميلة

ديوان شجرة القمر
صفحة ١٠٩

نعمان ماهر الكنعاني

نشأ نشأة عسكرية ، واختص بالفنون الحربية بمدرسة الاركان ومارس رتبها الفعلية ووصل الى رتبة عقيد ركن - وعمل مستشارا صحفيا لزعيم ثورة ١٤ تموز - فلما رأى انحرافها وابتعادها عن الخط العربي ورأى اخوانه الاحرار بين شهيد أو سجين فر من سامراء على دراجة بخارية الى سوريا وأقام فيها لاجئا ، فلما قامت ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ عاد الى وطنه ، ولم يشأ أن يرجع الى الجيش فعين مديرا عاما في وزارة الارشاد ثم اختير وكيلا للوزارة نفسها وأخيرا فضل احالة نفسه على التقاعد ليتفرغ الى أعماله وزراعته وشؤون بيته ٠

برغم هذه النشأة فانه هوى الشعر قبل ان يطر شاربه ونظمه وعاناه في المناسبات وشعره في « يقظة الوجدان » و « المعازف » و « اللهب في دجلة » ديوان حافل بالعواطف والصور الوجدانية وسجل لاحداثنا القومية منها هذه القصيدة التي حيا بها ابطال الجزائر سنة ١٩٥٦ ٠

صرخة الجزائر

صولي موفقة الصيال ... وتفيئي ظل النضال
وثقي بعزمك ليس تو ... هنه مخيفات النزال
وارعي الرضيع لجرحها ... حتى يصير الى اكتهال
أمد - وان طالت به ... الايام مضمون الزوال
ماذا ؟ ٠٠ اسائلك الثبات ... وانت من غرس الجبال
واقول لاتخشى وانت ... الرعب في صدر الخيال
لا لا فهذي عاطفات ... الشعر تاقت للمقال
فلانت ٠٠ فوق القول يد ... عو النافرين الى القتال
ولانت سفر النصر تكلوه ... الليالى ٠٠٠ الليالى

قل للجزائـــر ، والجـــزا
ئـــر صرخة بفـــم المعالى
سمعت بهـــا الدنيـــا نداء
الحق من ثغـــر العـــوالى
اغـــرودة هتفـ ت بهـــا
(وهران) في عرس الجلال
لتذيعها (باريس) مـــر
ثية لامجـــاد بوالى
اهـدتك افـــاق العـــرو
بة قلبهـــا نضو ابتهـــال
يا موقـــف التـــأريخ قف
وانظر مخضبة الرمـــال
هـــذي الدمـــاء المرهفـات
تضوع من ارج الغوالى
هـــلا نشـــقت عبيرهـــا
بين السواحل والتلال
هذى الجزائـــر ان سالت
وان اجبت على ســـــؤال
سجـــل بحق الموت مـــا
تلقى الحيـــاة من ابتذال
والصبر ، سجلـــه على
اللأواء كالحـــة الصيـــال
والظلم ظلـــم الادعيـــاء
بانهـــم حرس الكمـــال
والعار كلل اهامة ـ الشمطا
ء ـ تفحش فى الـــدلال
شربت من ـ السين ـ المدل
كوءوس عربـــدة الضلال
حتى اذا دلـــت بوا
درها على عـــار المـــآل
وتشامخت لا عـــن عـــلا
وتخاطرت لا عـــن جمـــال
ذعرت كما ذعر الجريـــح
بدا لـــه خطـــر الهـــزال
سجل بحـــق المشترين
الحمـــد بالمهـــج الغـــوالى
الباذليها ليس نعـــرف
ما النكوص عن النكـــال
النائميـــن على الحصى
المطعميـــن من الرمال
الشاربين مـــن الهواجـــر
تلتظي لمعـــان ال
المعـــدمين خزائنـــا
الاغنيـــاء من الفعـــال
وسلاحهـــم صدق الابـــاء
وزادهم رهـــج القتـــال
كـــي تعلم الامجاد مـــا
بذلت لهـــا صيد الرجـــال
قـــل للجـــزائر والجـــزا
ئر طلعة الحـــق المنـــال
هـــو ذا بفوهات البنـــاد
ق سوءلك السامي فغالى

عبدالله الجبوري

للاستاذ عبدالله الجبورى دأب على البحث برغم شبابه ولكنه يتوج شبابه تفكير الكهول وتجربة الشيوخ وتزينه معرفة ومكنوز من المأثور والمنقول والمحفوظ تجعل منه أديبا باحثا ملما بطريق النجاح والوصول الى مصاف الباحثين الناقدين ، أغنى المكتبة العربية بالكثير من الكتب الادبية والتاريخية والشعرية منها ما هو من تأليفه ومنها ما هو من تحقيقه ، لم يدع راحة لنفسه ولا دعة أو لهوا لشبابه وأحسبه سوف لا يدع فراغا لكهولته وشيخوخته متعه الله بالقوة وأنار قلبه لصالح الاعمال ، ومن لا يعرف الجبورى ويقرأ فهرس مصنفاته لا يخيل اليه انه يقرض الشعر أوله ميل الى نظمه ،الجبورى له ديوان تتسعر قصائده بالوطنية ويتفاعل مع احداث العالم العربي مشرقه ومغربه من تلك الروائع قصيدته في الجزائر المجاهدة عام ١٩٥٨ .

الجزائر

يا جيشنا الحر الابي	لأنت فخر العرب
كم هزمت ليوثنا	من جحفل في (المغرب)
وكم اسالت من دم	وانتزعت من مأرب
وشمرت من ساعد	بفل حد القضب
واطلقت للحق نورا	شق برد الغيهب
كبارق يلمع في	ظلمة ليل النوب
وكان سهما صائبا	بقلب كل (اجنبي)
يريد ان يلوي عز	م كل ليث (يعربي)
فاوقدوا نار الوغى	جياشة باللهب
يا جيش « ديكول » فهل	نسيت ما في الكتب

فالليث في عرينه   يشحذ حد المخلب
اذا انبرى لا ينثني   من كل جيش لجب
وان تصدى للوغى   معتزما لم يرهب
يا امة في صدرها   حر غليل ملهب
هيهات لا تتركها   كلمى بحد النوب
لابد ان تخمدها   عزيمة لم تخب
يا زمرة « السين » لقد   ادميت قلب العرب
لابد من شفائه   بهمة لم تغلب
يا امتي لا تهني   نور الهدى لم يغرب
لا بد يا خصومنا   من هوة المنقلب
فابكوا على مستقبل   مندحر منشعب
مستقبل لكم به   تضحك من منتحب
فمجدنا يعلو على   هام السما والشهب
وان جمعتم عدة   من كل وغد ثعلب
فالليث مهما اجمعت   عليه سحب العطب
يهوى الردى لانه   كشاف كل الكرب
يزأر ثم يفتدى   بكل ليث اغلب
هيهات يا لقيطة   تعلين فوق النجب

ديوان اشباح وظلال
ص ٤٣ـ٤٥

طالب الحيدري

الجزائر

بهذا العنوان نظم الشاعر الملهم السيد طالب الحيدري قصيدته التي صور بها عواطفه وخوالج نفسه وأحاسيس فؤاده نحو قطر من أقطار امته يمتحن بالاستعمار . واستوحى هذه القصيدة من المآسي التي يعانيها شعب الجزائر والسيد الحيدري شاب متحمس لعروبته متوقد الاحساس لوطنه مناضل عانى الارهاق ولاحقه رجال الامن في العهد المباد وحددت حريته بسبب مواقفه الوطنية وشعره رقيق لا التواء فيه ولا تقعر ، ولا تكلف ، واضح معبر بما يهدف اليه ومعرب عما يتحسس به ، لاحداث الامة العربية صدى عميق في شعره والتي احتوتها قصائده المطبوعة .

الجزائر

لله يا شعب الجزائر   تقف الشعوب وانت سائر
يا صولة الحق الجريء   وهمة المجد المثابر
تنصب كالتيار كالاعصار   كالبركان .. ثائر
بالشيب بالاطفال نافح   عن حياتك بالحرائر
غامر وان غلت الضحايا   فالغلاب لمن يغامر
حاذر من الجبناء والاحـ   ـراء من موتى الضمائر
وغدا ستنفصم القيود   غدا ستنهزم العساكر
ما قلعة « ديان فو » باصلب   في الكفاح من « الجزائر »
لله للشعب المكافح ـ اعزلا ـ   ركب المخاطر
يحمي المعاقل بالعصي ،   وبالسيوف وبالخناجر
وسلاح « حلف الاطلسي »   بحر هاتيك الجرائر
واستنكرت حتى « فرنسا »   عنف هاتيك المجازر

بعـــدت « ديمقراطيـــرة » صفر اليدين من المشـــاعر

⊙

افريقيا ... شـقي طريقك والعبي دور المغــــــامر
وتصببي حمما وهـــدى كـل باغيـــة وجـــائر
وثقي بـان النصـر مكتـوب لهذا الشـــرق صـــائر
« غينيا » مشت وتنفس « الصومال » و « الـــكونغو » تبادر
ولسـوف يبقى الشرق – حتى يبلـــغ الآمـــال – ثائر
الشرق يرفـع رأســـه ويسير حي الروح ظـافر
في عهـد (باندونغ) استمد البأس من اقوى العنـــاصر
ومشـــى الى آمـــاله يبني الحيـــاة على المفاخر
ومشت « فرنسا » كلها في نعش « موليه[1] » المكابر
لابد ان تحيـــا الجزائر حـــرة تحيـــا الجـزائر

⊙

الغرب كان ولا يزال بنا – كما يهوى – يتـــاجر
ســـلع تنكرت الحيـــــا ة لها وخانتها المقادر
يا غرب حسبك فهي أيـــام تـدور بهـــا – الدوائر
ومن الـذى يـدرى فقـــد تفري الحديد كف ناصر
وكما ظفرنا في (السويس) لسوف نظفـر في « الجزائر »

ديوان طالب الحيدري
نضال
١٩٥٨

---

(١) كانت هزيمة ديموليه رئيس وزراء فرنسا ورئيس الحزب الاشتراكي نتيجة لفشل سياسته في الجزائر .

الدكتور احمد مطلوب

عرف الدكتور أحمد موثقا ناجحا ومحققا لكتب التراث في العلوم العربية وقد تجاوزت العشرات ، وأحيا كتبا كانت المكتبة العربية في حاجة اليها سواء ما كان قد أحياها وحققها بجهده وحده ، أم بالاشتراك مع شريكة حياته الدكتورة الفاضلة الوقورة ، لكن الشيء الذى لم نعرفه عنه انه يقرض الشعر وهذا نشيد حيا به الجزائر وثمن بطولات شبابها الثائر ، ونظم النشيد لا يأتى الا لمن مارس القريض طويلا ونظم كثيرا وله حس موسيقي ، وقد يكون قد قال شعرا ولم ينشره ..

نشيد الجزائر[1]

أيها الشعب الذي هز الجبالا
لم يعد نصرك حلما وخيالا
صوتك الحر .. تسامى وتعالى
يملأ الدنيا كفاحا ونضالا

⊙ ⊙

أيها الشعب الذى دك الحصونا
ومشى يزحف فوق المعتدينا
قد عهدناك أبيا لن تلينا
مشرقا كالنور وضاء تلالا

⊙ ⊙

(١) زودني به «اريد النشيد» الاخ عبدالله الجبورى فاذا كان للدكتور مطلوب عتاب فليعتب على صديقه .

أيها الشعب لئـن جارت فرنسا
واذاقتك الردى كأسا فكأسا
فالشباب الحرأعطى«السين»درسا
ومضى يحطم اغــلالا ثقــالا
لم تطق•• ياشعب هونا واضطهادا
ودخيلا •• ملأ الارض ••فسادا
لم تطق ماسن «ديغول» وشادا
من دساتير بها •• جال وصالا

⊙ ⊙

شرعة الغـاب وان طال مداهـا
وزها «ديغول» فيها وتباها[3]
فالشباب الحرلن يحنو••الجباها
والضمير الحي يأبى •• الانخذالا

⊙ ⊙

هل تعي «باريس» تحرير الشعوب
ونـــداء الوطن الحـر الغضوب
انها نشـوة المجـــد الـكذوب
لم تزل تزهوعلى الدنيا اختيالا
يا فرنسا لم يمت شعب الجزائر
والملايين لــه عون وناصــــر
فهنا ثائرة تشــدو وثائــــر
والابي الحر لا يخشى النـزالا

⊙ ⊙

يا فرنسا عزمنـا لــن يهنـــا
بدم الباغين نروى أرضنـــا
بالدم المطلول نحمي شعبنا
ونزيد الثورة الكبرى اشـتعالا

---

(٢) السين نهر يمر بباريس اراد به الشعب الذي على السين •

(٣) أبو بكر ابن دريد اللغوي العالم يكتب الالف المقصورة الفا سواء كانت ثلاثية او رباعية او كان أصلها واويا أو يائيا •

هـلال ناجي

شاعر ثائر ، تميز شعره بالانفعالات النفسية التي تمثل التجربة الواقعية التي عاناها نتيجة الهزات المتجاوبة مع مأساة امته ووطنه ، عبر عن كثير من جوانبها ، بل كانت قصائده صدى لتلك المأساة التي عاشها في الغربة ، الحنين الى الاسرة ، الى الوطن الى الحرية التي يراها صريعة الانحراف وشهوة الحكم ، شاعر آمن بقوميته وقد أثار أساه انه يراها مضطهدة بيد أدعيائها الذين جعلوها شباكا للمغنم والصيد ، يرى عروبته نبعا سخي العطاء استغلها الدخلاء الهجناء ، يرى عروبته تأريخا مضمخا بالعبير ملك حبها أحاسيسه فسكب هذه المشاعر قصائد توافر لها سهولة التعبير وقوة التصوير وعلو الهمة ، تجد هذه العواطف الثائرة في قصائده التي اشتمل عليها (الفجر آت ياعراق) تصور انفعالات نفس هلال وهو يعيش التجربة المرة ، وهلال في قصيدته « مولود فرعون » كان منفعلا متأثرا وجد نفسه قد ملك عليها الغضب والحزن لاغتيال الشاعر الكاتب مولود بيد القدر قبيل اعلان أعياد الثورة تصور الاديب المجاهد ينتظر ساعة النصر فتمتد اليه يد أثيمة قبل أن تكتحل عيناه بانبثاق فجر الحرية الذي ارتقبه طويلا ، وجد حشرجة تتصارع مع حسه وقلبه فلم يهدأ الا بعد أن سكب ذلك اللهيب بهذه المناجاة للصريع الشهيد[1] .

---

(١) للاديب المحامي هلال ناجي مؤلفات قيمة وتحقيقات لكتب من التراث العربي نادرة أثرت المكتبة العربية بعددها وكان من اجلها : الزهاوي وديوانه ، وجيش التوشيح ، والقومية والاشتراكية في شعر الرصافي ، وقد اربت مؤلفاته على العشرين كتابا .

مولود فرعون

يقولون : مات ولف التراب
ايا مشعلا في احتلال الدجى
أحقا طواك الردى غيلة
أحقا مضى من أغاريده
وسفر من الادب المجتلى
سالت الضحى عنك في الموعد
لك المجد من صامت مرعد
لك المجد انت نقاء الحروف
أحقا اذا انتصر الثائرون
يقال اذا ما سالت الرفاق
هنا قبره ، فأحس الفؤاد
تمهل فديتك .. لكنه

جبيننا تألق .. كالفرقد
تسامى وضوأ للابعد
قبيل ائتلاف الصباح الندى
بحار من الفكر لم ترصد
تظل القرون به تهتدي
قادمت جراحاته .. معبدي
ومن باسم للردى المزبد
وانت العقيدة في مفرد
وبات المشرد كالسيد
هنا انطفات شعلة الفرقد
يناديك في زهرة الموعد
مضى .. ناسيا بهجة المولد

ديوان « الفجر آت »
اذار ١٩٦٢

مصطفى نعمان البدري

شاعر ذو عقيدة قومية قوية ، يوءمن بأمجاد أمته ، ويهتـز لمفاخرها ويأسى لما يلم بها من نكبات ، تلقى ذلك طافحا عـلى قسمات شعره الذي يرسله في المناسبات التاريخية ، أو المواسم الاسلامية ، زادت من أحاسيسه هذه نشأته التي نشأ عليها في الاسرة وفي كلية الشريعة ومع الرفقة ، هذه المشاعر هي التي هدته أن يختار الكاتب العربي الاسلامي « مصطفى صادق الرافعـي » موضوعا لتخصصه للحصول على « الليسانس » لما في أدب الرافعي من مثل اسلامية عليا ، وتقويم للقيم القومية . وملحمته (معجزة العروبة) هي صدى لهذه المشاعر الجياشة التي تعتمل في صدره والتيم عليها قلبه النابض بحبه بني قومه ابطال الجزائر المجاهدين، هي عصارة مشاعره في رهافة حس وصدق تعبير واجادة تصوير .

ـ معجزة العروبة ـ

قف عند معجزة العروبة في جنان منك شاعر
وتحر عن سر ، تهيم به الحيـاة بروح ثائر
لترى البدار الفذ ، يمتشق المضاء بحد باتر
ويشيد في شيم الاباء ..ويستقيم على المخاطر
اما تلفـع بالضياء البر عريس الحـرائر
وبدا جمال الانبعاث بنوره الحلو المباكر
نديان يرفل بالسناء ـ وقد تظافر ـ غير حائل
حيث الخلاق السمح ، يقرب من سجايا كل صابر

عدوان الجباه

عج يارعاك الله نحو حمى العروبة لا تغادر

واشهد مجالي للفداء تموج في دنيا المفاخـر
وتمل من آياتها الوضـاء قدوس البشـائر
واحفـل بقدس للبطولات المهيبة في الجزائر
فهناك معجزة التحرر ، تستجد مع المقـادر
تلقاك تخفق بالهدى ‥ لقاء خارقة المظاهر
في الغدوة الشماء بالسحر الاعاريب الاكابر
حيث السجايا الفيح تطفح في الجباه بنور غائر
سالت مع الايام عنوانا تقـارع أو تباكـر
تلتف بين شعابها الغنـاء نـادرة النظائر
تتخطف البغي المبين ، وما أدلهم من المصـادر
في الاطلس الممتد في كنف الرمال وفي روابيه المنائر
حيث الكماة العرب يلتحفون أبرادا السماء مع الدياجر
ما اقبل الزحف المقدس من هناك بضوء نائر
واشتد منه الساعد المعتـد يخفق فيـه بائر
يفتر في ثغر الشباب ، وقد توسم بأس بائر
في الساحل الماضي بالوية البلاد وفي المنايا والمخاطر
جيش تدفق بالجهاد ، يصافح الجلى بناصر

ميـــلاد

وهناك يولد فجر أمتنا ‥ بمغربنـا المصابر
حراً يفيء مع الحياة بغدوة النضـر المباكـر
ويلوح عند ضبابه العملاق ناموس السرائر
هيمان يبكر بالنداء المستجيب من الضمائر
حيث الرجولة ـ ديدبان السعي تفجأ بالمساعر
الذائدين عن الحمى والصابرين على الدياجر
من اقسموا للمجد ان يلقوه في أزهى المشاعر
شهداء لا يرضون غير شهادة السمر البواتر
واذا الملاحم يزدحمن مع الضحى عند المخافر
يروين للاجيال تاريخ البطولة في شـعائر
تصطف في غر الكتائب والمواكب والعساكر
وتطل في صور البلاء حفية بهدى مثابـر
تتناثر الاشلاء في غـــارات ثوار قساور

يتسابقون الى الفداء مع الشظايا والقنابر
يستهدفون البغي في محق المظالم والمهاتر
ويجددون العزم ما حفلت بهم دنيا المصاير

الفجر الوليد

الله أكبر من جلال الفجر يستبق البشائر
حينا أفاق على الحياة تدب من قلب الجزائر
وأطل من خلف الخنادق يهزم الليل المغادر
فأعاد للايمان ديدنه مع البأس المخاطر ،
وأجال في خير الربوع مسالك النصر المؤازر
غناء تقبل بالسنا المصطفى في الافق المظاهر
فاذا البشير[1] يجوب آفاق البلاد بقلب كابر
ويحاضر العربان في تأريخ امجاد غوابر
ويحشد الرأي العميم لنصرة البلد المصابر
فيمد فيهم نخوة الشجعان تثأر للعواثر
وتجدد العزم الغني بأنه بعثت بناصر
شماء تحضنها الكنانة قدس أقداس تظاهر

⊙ ⊙

الفجر آذن بالطلوع ، ونوره هتك الدياجر

والقصيدة كما عنونها الاستاذ البدري ملحمة وفي ما اقتبست الغناء وللاستشهاد ، ويوم ، كانت بشائر آذار تزف للعالم انتصارات العروبة في الجزائر واعلان معاهدة (ايفيان) هزت الشاعر هذه البشائر فالحق ملحمته في طبعتها الجديدة خمسين بيتا :

تروى أناشيد المدافع في الروابي والحواضر
حيث العروبة طلقة الافصاح ثائرة المصادر

---

(١) يشير الى مجيء البشير الابراهيمي الى بغداد والى محاضرته عن الشعب الجزائري والثورة البطلة .

عبدالصاحب ياسين

شاب حيي ، غضيض الطرف والصوت ، حالم في يقظته ، تراه وكأنه يتطلع الى آمال يراها بعيدة المنال ، فلم يحاول أن يمد لها يدا ، تعلو محياه سحابة حزن هي وليدة هموم قلبه ، اذا رأيته في سهومه حسبته ذلك العاشق المتوجد ، وقد اصماه الحب فتركه يحلم في حبه تطوف به طيوف لحبيب مضت به السنون ، حالما :

« بالطيوف الرقاق بالحلم ، الخفاق ، بالحب ، بالصفاء ، بالسلام
« حلم هائم بعينيه زاه ، يغمر النفس بالرجاء السعيد ..

له ديوان ضم باقات من أزهار عطرة نضرة تقرأ فيها أحاسيس الشباب ومشاعره وأحلامه في لفظ انيق ومعنى رشيق ، والى جانب اغانيه نقلبه تقرأ القصائد عبر فيها عن عواطفه القومية من ذلك قصيدته :

الى جميلة بوحيرد

ناجي الملال ، وسامري الظلماء! | وتقبلي مهجا دمين عزاء!
وهبي نهارك للدجى في هوة | سوداء تزخر بالرؤى سوداء!
يظللن من خلل الظلام مقاصلا | تعلو وتهبط في الدجى حمراء!
وحفائرا غبرا فواغر تبتغي | جثثا تمون بطونها الجوفاء!
وجماجما خضد الفناء عظامها | وحشا التراب شدوقها الشوهاء!
ومحاجرا ذهب البلى ببريقها | فخبت وبدل نورها ظلماء!
وترقبي في كل همسة عابر | صوتا يروع وقعه الارجاء!
هو صوت جلادين .. لم يتعهدوا | الا رقابا قطعت ودماء!

⊙ ⊙

بنت النضال .. وتلك اكرم نسبة | ملكت باذخ فخرها حواء!

تلك الشهور ٠٠ أكن ساعا وانطوت
ام كـن ادهارا زحفن بطاءا ؟!
ما كان ذو بغي ليكرم عفـــة
عن ان يروع ببغيــه عـذراءا
هو من علمت ٠٠ بلاء كل من انبرى
ليحوط حقا او يصون بناءا
يلوي قوى المستضعفين ويبتني
لهم السجون السود والاقبـاءا
ويبيت يرسم للاباء مصـارعا
تسع الصعيـد وتملأ الاجواءا

⦿

ايه جميلة ٠٠ والسمو مراتب
بلغت منهـا الذروة العليـاءا
عزت على « جندرك » وهي ولية
فيما اتته ، واخطات « اسماءا »
هاتيك تستوحي الغيوب ، وهذه
تهب البنين الموت لا الحـوباءا
اشجاك قيدك ، واللدات سوارح
يمرحن اسرابا صباح مساءا ؟!
مشت الحياة بهن ضاحكة الرؤى
سمحاء تزخر بالمنى خضـراءا
ينهلن من متع الشباب ذواهبا
انى بهن مضى الهوى او جـاءا
قدست ٠٠ ان هواك ابعد غاية
واشف من صبواتهن صفـاءا
يسع الحياة مشاعرا علويـة
ويشيع ايثارا بهـا وفـداءا
ويسومه الزمن الفناء ٠٠ فلا ينى
في الدهر يخلد جدة وفتـاءا !

⦿

ايه جميلة ٠٠ والبلاد نواظـر
تمتد صوبك بـكرة وعشـاءا
تزهى بما نسلت وتأسف حسرة
ان لا تكون لك الجموع وقاءا
وتسائل الخطرات هل جزعت ، وهل
وهنت اباءا ، او هوت اعياءا ؟!
هيهات ٠٠ ان العصم تبعد مطلبا
وتحل عالية الـذرى استعصاءا
قري جميلة والـدجى في منزل
الف الكرائم ، قبل ، والكرماءا
نزلوا ذراه ٠٠ فكان ارحب ساحة
واخف ، من بلد يضـام ، بلاءا
واحب من روض يبيـح ترابه
دودا ، ويمنـح ظله رقطاءا
واذا أطاف بك الحمام ، فقبلي
شفتيه ، وارتشفيهما استشفاءا
فلكم جلا الكرب الشداد وكم اسا
داءا به الجسـد المعـذب ناءا

⦿

قسما جميلة بالـكآبة والـدجى
والصمت يعمر حولك الظلمـاءا
والموت يبتعث الهواجس في الضحى
دهم الطيوف ، وفي الدجى نكراءا
والظفر يقلعه الحديد ، فيرتوي
منه الصعيد ـ ويستزيد ـ دماءا

والسوط يلهب منك جلدا خاويا
لم يحو الا اعظمـــا وذمـاء!

والجوع يعرك منك خلقا صامدا
يأبى الشكاة ، فينهش الاحشاء!

انا سـنبعثها ضروسـا تمتطي
هوج الرياح ، وتـركب الانواء!

نتعقب الاجاس بـدد شمـلهم
رمما تغطى الارض ، او اشـلاء!

ثار يرد على الكرامة كبرهـــا
ويرد كبر مذلها اســتخذاء!

ديوان ظلال الغاب
ص ١٢٠–١٢٦

محمد جميل شلش

وللشاعر محمد جميل شلش ديوانان الاول (الحب والحرية) والديوان الثاني « غفران » وفي كلاهما يبرز الشاعر محمد شلش ذات شاعرية ثرة وعواطف رقراقة وفن ناعم وحتى في قصائده التي تتسم بالنضاليات لا يعرف العنف ، نظم في الشعر المقفى وعالج الشعر الحر ونجح في كلا الفنين ويضم ديوانه (غفران) قصائد عديدة عبر فيها عن عواطفه القومية وأحداث أقطارنا العربية ونزعة أبناء العروبة الى الحرية والاستقلال ، وقصيدته عن الجزائر واحدة من تلكم القصائد التي يضمها شعره الرقيق .

صرخة في الجزائر

دوسي بنعلك قاصينا ودانينا   وأضرمي النار في ازهى امانينا
واستنجدي بحديد الموت ، كافرة   وباللهيب وزيدي من مآسينا

ومزقي شرعة الانسان وانتقمي   ممن يرى الحق في دستوره دينا
واستهتري يا فرنسافاللظى ابدا   يذكي بنا الحقد نيرانا ويذكينا
يااخت(نيرون) ماعاد الهوى حلما   والوعي لفظا جميلا من رواقينا
ولا الخلاص مواعيدا منمقة   يزفها من ضفاف (السين) راعينا

تبارك الوعي ، لا حلم ولا لغط   بل ثورة تملأ الدنيا براكينا
وتصفع القدر العاتي فلا صنم   يزهو ولا امة تهدى قرابينا
ارادة الشعب فلتمحق جحافلكم   وليشتعل بلظى التحرير وادينا
يااخت(نيرون) صبي النار وانتقمي   واستهتري واسفحي اغلى دم فينا

قولي لطفلك نابليون: هل عبرت   في افقه حجرات من رواسينا
وهل تنزت ضفاف السين وانفجرت   باريس حقدا وضجت من سواقينا
وهل اتاها نذير الموت صاعقة   من الجحيم ، جبلناها بايدينا
وهل تمخض (روسو) عن رسالته   بالامس للناس كي تسعى ثعابينا

مهازل يا فرنسا ، ان ترى حدثا ... وخدعة واكاذيبا تغشينا
ووصمة في جبين الفكر مخزية ... بان يداس كما ديست أمانينا

⊙ ⊙

ياأخت (نيرون) لاعطفا ولا املا ... ولا حياءا نرجى من اعادينا
كنا نقاسى الردى من ظلمكم زمنا ... واليوم باتالردىالباغي يقاسينا
سنزحم الظلم بركانا وعاصفة ... ونقحم البغي احرارا مصابينا
ونطلع الفجر من اعماق امتنا ... كتائبا وضياء من دارينا
ولن نموت[1] وفي ارواحنا قبس ... نسقي به الدهر امجادا ويسقينا

احسب ان ماقدمته من القصائد لشعرائنا فيه الغناء والكفاء للافصاح عما لقيت معركة الجزائر من التلاحم وبناء ثورتها من التفاعل في نفوس ادبائنا وصحافتنا وخطبائنا ،وما استشهدت به القصائد المعبرة عن صدى احداث الثورة انما هو قليل من كثير اكتفيت به خشيت الاطالة او الملالة ، وموضعه كتاب اخر بعنوان : «الشعر في معركة الاستقلال» ومناهضة الاستعمار ، سيدفع الى المطبعة باذن الله .

---

(١) لو قال : ولن نذل ــ لكان انسب .

الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر

قد قدمت في الفصول السابقة الجهود الجبارة التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين والصحافة التابعة لها وكذلك النوادي الوطنية لمقاومة الفرنسة والادماج ، والتوعية بين الجماهير للمحافظة على لغتها التي راح المستعمرون يحاولون أن يزهدوا الجزائريين بفائدتها وبزعمهم انها لغة متخلفة تتآلف واهلها ابناء جزيرة العرب ، وانها لا تنهض بالمدنية الحديثة ولا تصلح لتدريس العلوم لفقر مفرداتها هكذا كانوا ينشرون دعاياتهم المضللة ، هذا بالاضافة الى القوانين التي كانت تمنع تدريس العربية في المدارس ولا تجيز مدرسة تجعل العربية لغة التدريس ، وبرغم كل ما سلط الاستعمار من روح عدوانية لمحو العربية وازالة شخصية الجزائر القومية ، فان الجزائر بقيت محافظة على طابعها الاسلامي العربي ، مدركة لوجودها ومقدرة لما يريده الاستعمار لها من زوال ادراكا قويا وعميقا ، لذلك مافتئت تقاوم مقاصده بالسلاح وبالفكر والتوعية .

باءت مساعي فرنسا التي بذلتها عن طريق التبشير والصحافة والخمر والفساد والعملاء ، باءت كلها بالفشل ، وبقيت الجزائر عربية مسلمة ، وظلت لغتها هي الغالبة في شرق الجزائر وفي الواحات وظلت مدارس الزوايا والمساجد والبيوت الخاصة تدرس العربية وعلومها والقرآن الكريم وعلومه وفق المناهج المتبعة أيام عبدالقادر الجزائري واسلاف الجزائري وكما هي حال المدارس في شرقنا العربي الزيتونة ، الازهر ، الظاهرية بغداد والموصل والنجف تدرس علوم الجادة . وفي الخمس الاول من هذا القرن العشرين ظهرت مدارس ابن باديس ثم جمعية العلماء المسلمين التي كان يرأسها فكان لها

الفضل في الحفاظ على اللغة وعلى تعميق روح الدين في نفوس الجزائريين وصف الاستاذ الشاعر محمد الهادى مناهج هذه المدارس واثرها في الدين واللغة : قال :

« بعد أن أتممت القرآن ، رأى والدي ان لابد من ارسالي الى طلب العلم ، ولحسن الحظ وافى غرضه هذا قدوم الاستاذ الكبير العلامة عبدالحميد بن باديس بلدنا ، فاجتمع به أعيان البلد وعرضوا عليه ارسال فريق من ابنائهم الى مدرسته في قسنطينة ، فقبل مغتبطا ، جئت قسنطينة وانا لم اعرف للعلم الا اسمه ، فاخذت ازاول عليه ما كنت مستعدا له ان قرأت عليه كتبا في اللغة وقواعدها والانشاء ، وكتبا في التوحيد ، عرفنا بها معنى التوحيد ، وخرجت من التقليد وشيئا من الفقه لا اذكر من كتبه غير « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » لابن رشد الحفيد ، وفي التفسير شيئا ليس باليسير ، يريك الدين وجوهره ، والاسلام ومفاخره .

كنت قبل صحبتي لهذا الاستاذ الامام ولعا بالاباطيل من الطرقيين ، راسخ اليقين في الايمان بطواغيت الدجالين ، ولقد اصبحت ـ والحمد لله ـ حر الضمير والعقيدة والفكر ، راسخ اليقين في ان الاسلام هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، لا التصوف ولا ما يدعيه الصوفيون والمتصوفون بدأت اقتبس أنوار الحياة الجديدة ، يوم ان وقف بنا على مطلع شمس القرآن وسيرة رسولنا الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبطال الجزيرة العربية .. ومن حضر درسا على هذا الاستاذ رأى رأي العين وترك المجال للرجال»[1].

وهذه الدراسة نمط واحد تقريبا كانت متبعة في الاقطار العربية قبل شيوع الجامعات وهذه وثيقة سجلها السفير المجاهد الاستاذ أحمد توفيق المدنى فيها الغناء لمن يريد ان يعرف العلوم التى يدرسها هؤلاء الشيوخ في الايام الخوالى . قال :

« ولعل أعظم من اشتهر من علماء ذلك القرن بالجزائر (الحادى عشر والثاني عشر) سيدى عمر بن محمد المنقلاني القبائلي المتوفى سنة ١١٠٥ كان بحرا عميقا من العلم والفضل والتقوى تخرج عليه في الجزائر طلبة علماء لا يشق غبارهم منهم العلامة ابن

(١) الدكتور محمد طه الحاجرى ، وشعراء الجزائر في العصر الحاضر ١ـ١٨٤ طبعة تونس ١٩٢٦ .

زاكور صاحب نشر ازاهر البستان ، ولقد أجاز العلامة المنقلاني تلميذه ابن زاكور فى رواية العلم عنه ، وأعطاه بذلك وثيقة ذت اهمية تدلنا على حالة العلم والتدريس في ذلك العصر .

قال المنقلانى : « وكنت قرأت على مشايخ جلة اعلام ، ومن أجلهم عندى سيدى ومولاى الذى لازمته أربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الاوقات « ابو الحسن على بن عبدالواحد السجلماسي» الانصارى قدس الله روحه في دار النعيم مع جماعة من الطلبة الاخيار والنجباء الابرار ، أخذت عنه في الاصول والبيان ، والمنطق ومصطلح الحديث ومختصر ابن الحاجب نصفه ، وفي البيان تلخيص المفتاح مرارا ، وفي المنطق الجمل للخونجى مرارا ، ومختصر الشيخ السنوسي ، ونظم الشيخ سيدى عبدالرحمن الاخضرى وفي المصطلح الفقيه العراقي مرارا ، وجملة من كتب السير ، وفي الحديث صحيح البخارى ومختصر خليل في الفقه ، ونظم ابن عاصم في الاحكام ، كما قرأنا الشفا للقاضي عياض مع البردة للامام البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، والسينية وعقائد الشيخ السنوسي قراءة ضبط وتحقيق .

وكنت أخذت منغيره من المشايخ من أعظمهم وأولاهم شيخالاسلام سيدى سعيد بن ابراهيم الجزائري امام الجامع الاعظم ، نفع الله به ونفعه بعلومه وأسكنه بحبوحة الجنان ، الحديث والفقه والنحو وشيئا من التصوف كالحكم لابن عطاء الله والتنوير ، وعن غيره الحساب والفرائض ، وشيئا من علم الوقف ، واخذت عن غير من ذكرت الخزرجية بشرحها للشريف الغرناطي ، واقرأتها للطلبة ما ينيف عن أربعين ختمة ، كما اخذت لامية ابن مالك فى التصريف كل ذلك واجتهاد مع التفرغ والاشتغال بالعلوم وهم (رضى الله عنهم اخذوا ذلك عن مشايخ جلة من أعيان المغرب والمشرق ، قراءة واجازة واعلاما ، وها أنا اكملت غرضه (اى ابن زاكور) واذنت له أن يروي ذلك عني ، بشرطه عن روايته عنه ، والله مع هذا ما ظننت انني فى هذه الطبقة ولكن خلت الديار فسدت غير مسود الخ[1] ..

---

(١) كتاب الجزائر للسفير الجزائري في العراق ، الاستاذ توفيق المدني .

واذا قارنا هذا الثبت من الكتب مع دراسة الاستاذ البشير على عمه نجد ان المنهج قد اختلف قليلا ففى المواد الجديدة والتوجيه الحديث نجد دواوين الشعراء الكبار امثال المتنبي والحماسة والشعر الجاهلي وفقه اللغة ومفردات الراغب ، والتفسير الخ ٠٠ وجاء ابن باديس فانتهج نهجا تعليميا أقرب ما يكون الى المناهج الجامعية ، فكان يأخذ عنه طلابه التفسير على طريقته التى عرضت منها نماذج في كلامي عن سيرته ، والحديث والتاريخ الاسلامي وفنون العربية وتمرين تلامذته على الالقاء والخطابة والوعظ والكتابة للموضوعات حصل عليها ابناء الشعب الجزائرى في بضع سنوات من تعليم ابن باديس ، واعتقدت من ذلك اليوم ان لهذه الحركة المباركة ما بعدها ، وان هذه الخطوات المسددة التى خطاها ابن باديس هى حجر الاساس فى نهضة عربية فى الجزائر ، وان هذه المجموعة من التلاميذ التي تناهز الالف هي الكتيبة الاولى من جند الجزائر ، ولمست بيدي آثار الاخلاص في أعمال الرجال ٠٠ ورأيت شبانا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد اصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربى حر ، ومعان بليغة ، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الامة وأوصاف رائعة فى المجتمع الجزائرى وتشريح لادوائه ، ورأيت جماعة أخرى من أولئك التلامذة وقد أصبحوا يحبرون المقالات البديعة فى الصحف ، فلا يقصرون عن امثالهم من اخوانهم فى الشرق العربي ، واخرين يعتلون المنابر فيحاضرون فى الموضوعات الدينية والاجتماعية فيرتجلون القول البليغ المؤثر ، والوصف الجامع ، ويصفون الدواء الشافى بالقول البليغ[1] ٠

وفى السنين التى أعقبت الحرب الاولى كانت الهجرة من الجزائريين الى الزيتونه والى الازهر والى الجامعات العربية فى القاهرة أكثر من ذى قبل ، والهجرة عند المغاربة جميعا امر اعتيادى
القاهرة أكثر من ذى قبل ، والهجرة عند المغاربة جميعا امر اعتيادى
وسنة متبعة يصف اثرها البشير الابراهيمى أيضا فى الكلمة التى صدر بها كتاب ابي القاسم سعدالله الذي درس فيه الشاعر محمد العيد رائد الشعر الجزائرى الحديث قال :

« النهضة العربية فى الجزائر بجميع فروعها ، وفى مقدمتها

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الحادى والعشرون ٤١١ وما بعدها ٠

نهضة الادب العربي ، وليدة الخمس الثاني من هذا القرن الميلادى وقد سبقتها ارهاصات وتباشير ، كلها لم تسبق ابتداء هذا القرن، وسبقها كذلك تقدم مشهود فى عربيـة القواعد ، اضطلع بـه نفر استطاعوا بوسائلهم الخاصة أن ينفلتوا مـن الحواجز التى وضعها الاستعمار الفرنسي عن قصد في سبيل التعليـم العـربي ، فنفرت طائفة قليلة منهم الى مصر ، ورجعت بزاد من القواعد العربية وسعت به مداها فى ذلـك القطر المرزوء فى جميـع مقوماته ومنها اللسان العربي ، ونفرت طائفة اخرى كثيرة العدد الى جامع الزيتونة بتونس، واخذت العلوم العربية على أمثال الشيخ محمد بن يوسف ، والشيخ النخلى رحمهما الله ، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور مد الله فـى حياته ، وكانت دروس هـذا الاخير هـى الاشراقة الاولى فى جامـع الزيتونة للادب العربي بمفهومه الصحيح في عصرنا هـذا ، وتجلى ذلك في عكوفه على درس ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ، فقـد كانت تلك الدروس منبهة لطلاب الزيتونة الذين كانوا يفنون أعمارهم فى تكرار قواعد النحو والصرف من دون ان يتبوأ واحد منهم درجة مرموقة في الادب ، وقد عاصر الشيخ ابن عاشور عالما أزهريا ندين له بالفضل فى احياء الادب العربى بالازهر وهـو الشيخ المرصفى بدرسه لكتاب الكامل للمبرد ، والازهر والزيتونة متقاربان فـى مناهج التعليم واساليب الدراسة ، والكتب المقـررة فيهـما تكـاد تكون واحدة .

حمل اولئك النفر من مصر ومن تونس الى الجزائر قبسا خافتا من الادب العربى ولكنه كان كافيا فـى تحريك القرائح والاذهان وقارن ذلك أو سـبقه بقليل وصول الاثار الادبيـة الجديدة مـن شعراء الشرق المجلين ، وعرفت الجـزائر شـعر شوقـي وحـافظ ومطران والرصافى ، وما انتهت الحرب العالمية الاولى حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة الموارد قـد فعلت فعلهـا في نفوس الناشئة التى هى طلائع النهضة الادبية ، وشعرت الجزائر بعروبتها الاصيلة التى كانت كامنة كالنار فى الحجر ، والتمست القائد الملهم الذى ينفخ من روحـه القوية فى تلـك البـذرة ، لتخرج شطأها فتورق فتزهر او تثمر ، فوجدته مهيأ في شخص الاستاذ عبدالحميد بن باديس رحمه الله ، فاضطلع بقيادة تلك النهضة ، الى أن أصبحت

كاملة في الادب والعلم والسياسة ، وكانت هذه الفروع سائقا بعضها الى بعض ، لان الضرورة تستدعى سيرها فى طريق واحد ، وكان مظهرها الاعلى وعنوانها الاجلى جمعية العلماء فهى التى جمعت الشتات ، وأحيت الموات ، وحددت المبادىء ووفرت الوسائل للقوادم المستعدة أن تطير وتحلق ، وللافكار المقيدة ان تبحث وتتعمق ، وبدأت النهضة الادبية تسابق الاصلاح الدينى وتغذيه ، وفى هذا الجو ظهر محمد العيد ال خليفة متأثرا بالنهضة مؤثرا فيها »[1] .

وكان للنهضة التى بدأت تباشيرها فى مصر على يد السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وانتشار أفكارهما بواسطة الصحافة ولا سيما مجلة العروة الوثقى التى كانت تصل تونس والجزائر كان لهما ولمجلتهما تاثير كبير على تحرير العقل من اصار الجهالة والتقليد وطرح تلك الغشاوات التي كانت سائدة على افهام المتعلمين ، مقرونة بالتجديد وبالدعوة الى تحرير العالم العربى والاسلامى من ربقة الاستعمار .

يشير أحد شعراء تونس الشيخ محمد السنوسى بأثر العروة الوثقى على الافكار بقوله من قصيدة :

لئن دجت الافلاك بالغيهب الابقى
وظلت حلوم ، بعد أن طرقت طرقا

فقد وضح الصبح الذى بان عندما
انيط جمال الدين بالعروة الوثقى

وحين عطلت المجلة سنة ١٨٨٤ اتجه الشيخ محمد عبده الى تونس فاقام فيها اربعين يوما ، يحف به رجال الاصلاح فيها وأعضاء جمعية العروة الوثقى من أهلها وتونس لا تبعد عن شرق الجزائر موطن ابن باديس الا قليلا ، وزادت هذه الصلات يوم زار الامام محمد عبده الجزائر سنة ١٩٠٣ واستقبله اهلها استقبالا حافلا واجتمع اليه المثقفون الجزائريون فحاضرهم وتحدث اليهم ، وزار الاستاذ الامام تونس مرة ثانية وألقى فى جموع الطبقة النيرة

---

(١) كتاب محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري ، دراسة الاستاذ ابي القاسم سعدالله ، مطبعة المعارف سنة ١٩٦١ .

محاضرته القيمة « العلم وطرق التعلم » وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونقلتها عنها المنار وطبعت مرتين فى تونس وفى مصر[١] .

والى جانب هذا النشاط التعليمي اصطنعت الحركة وجوها اخرى من النشاط (حركة جمعية العلماء المسلمين) فاتخذت من الصحافة أداة لها تعبر عنها ، وتمكن للناشئة من خريجيها أن يمارسوا الكتابة فيها فانشأ ابن باديس جريدة (المنتقد) فلما باذرها الاستعمار بالالغاء انشأ مجلة «الشهاب» سنة ١٣٤٣ هـ = (١٩٢٤ م) كما انشأ الطيب العقبي فى بسكرة جريدة الاصلاح سنة ١٩٢٧[٢] .

وكانت «البصائر» التي يصدرها البشير الابراهيمي حقلا تجريبيا لاقلام الجزائريين الموهوبين تنشر مقالاتهم وقصائدهم وتوجههم وتصحح لهم ، وظهرت صحف لخصوم جمعية العلماء واحسبها كانت تعمل بتوجيه من المستعمر وتحريش لالهاء الناس من مظالمه واشغالهم بينهم ، وقد ساهمت الصحافة كما قلنا في خلق جيل من الكتاب والشعراء ومن تلك الصحف التي عنيت بنشر انتاج هذا النشيء الجديد « الشهاب والبصائر ، كما كان لبعض الاحزاب الوطنية صحافة عربية ساهمت هي الاخرى فى تطوير الادب والفكر العربي في الجزائر على نطاق محدود لان طابعها كان فى الغالب سياسيا ، وكانت النوادى التابعة للجمعية تؤدى دورها فى نشر الثقافة والتثقيف الادبي وفي السياسة والتوعية للنزعة القومية والوطنية واهم هذه النوادى أثرا نادى الترقي، فى العاصمة وقد كتب عنه الاستاذ أحمد توفيق المدني قال : « لم يكن الجزائريون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتلال الفرنسى وكانت قوانين الانديجينا تحرم الاجتماعات كما اسلفنا فكانت كل الحركات الجزائرية تتسم بقلة النظام ، داخل القطر الجزائرى الى ان وفقنا الله لوضع معقل بعاصمة القطر الجزائرى كان له تاثير عظيم على الحياتين السياسية والاجتماعية وذلك هو نادى « الترقي » الذى تمكنا من تاسيسه بعد جهود عظيمة ، فى احسن موقع من عاصمة الجزائر ، فكانت قاعاته الفسيحة تجمع النخبة المفكرة كلها سواء

---

(١) انظر تفصيلات هذه الزيارة واثرها في كتاب طه الحاجرى من ص ١١٥ـ١١٨ .

(٢) المصدر السابق عن كتاب هذه هي الجزائر .

بالعاصمة أم بداخل البلاد ، وكانت المحاضرات والمسامرات والحفلات الكبرى تتوالى فيه ، ويقبل الناس عليها اقبالا عظيما ، وكنا نسير بنادى الترقي ـ رغم القوانين الصارمة ـ في طريق الدعوة الملية الوطنية من جهة ، وفى طريق الدعوة الاسلامية والعروبة الشاملة من جهة اخرى ، وقاوم النادى نزعات الاندماج ، كما قاوم طلب الجنسية الفرنسية ، قصد الاحراز على الحقوق السياسية ، وفى هذا النادى المبارك تمكنا من تحقيق الحلم الذى كان يراود دعاة الحركة العربية الاسلامية ، الا وهو تأسيس هيئة اسلامية عربية ، تنهض بالبلاد نهضة جبارة داخل عروبتها وقوميتها واسلاميتها ، فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1] .

وكان من خطبائه ومحاضريه الاستاذ احمد توفيق المدني وكان شعاره في خطبه ومحاضراته «الاسلام ديننا والجزائر وطننا والعربية لغتنا » .

ومن الجمعيات التي أدت خدمات مشكورة الى الثقافة الوطنية (جمعية الشبيبة الاسلامية) وهى التى كان محمد العيد رائد الشعر الحديث مديرا لمدرستها .

وأدى التطور فى الثقافة بفضل هذه الجمعيات والصحافة والنوادى الى ظهور المسرح العربى وظهور المسرحية باللغة العربيه كما كانت معروفة باللهجة العامية ، فأخرجت عدة مسرحيات عالمية مترجمة ووضعت مسرحيات اجتماعية وفكاهية ، ومن المسرحيات الشعرية التأريخية مسرحية (بلال) لمحمد العيد ومسرحية (حنبعل) لاحمد توفيق المدني واخرجت المطبعة العربية العديد من الكتب الثقافية واهمها كتاب (الجزائر) لاحمد توفيق ، وتاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي وتاريخ الجزائر لعبدالرحمن الجيلالى ورسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي[2] .

تطور الشعر الجزائرى

بتطور الثقافة العربية التى انتشرت فى الجزائر من الطبيعي

---

(١) جوانب من الحياة العقلية والادبية محاضرات الدكتور طه الحاجرى ، طبعة معهد البحوث والدراسات العربية .

(٢) انظر كتاب ابي القاسم سعدالله ، عن الشاعر محمد العيد صفحة ٢٣ـ٢٥ .

أن يتطور الشعر الحديث فبعد أن كان الشعراء في مطلع القرن العشرين يقصرون شعرهم على الغزل التقليدى أو التهاني أو التعازي أو العتاب والتهاجي والمدح ولاستجلاب المنفعة فقد خطا الشعر الحديث خطوات واسعة وظهر فى الجزائر شعراء خرجوا بالشعر الى ما وصل اليه في المشرق العربي ، خرجوا من القوالب الجامدة والقصائد التقليدية والعزاء والرثاء والفخر التافه ، خرجوا به الى ميدان فسيح ميدان الكفاح الوطني والدعوة الى الاصلاح الاجتماعي والى مناهضة الاستعمار وتحقيق المطالب القومية ، والى الحرية والاستقلال فى ظل العروبة والاسلام .

وجدير بنا أن نلم بالحركة الادبية « الشعر خاصة » التي سبقت شعراء الحركة الوطنية والذين مهدوا للتطلعات الشعرية في افاق المعركة : واعترف ان المصادر التي بين أيدينا عن الشعر والشعراء فى مطلع القرن العشرين وما قبله قليلة نادرة وقد تكون حتى في مواطنها نادرة أو بحكم النادر ولهذا أترك قلم الاستاذ أحمد توفيق المدنى يوضح هذه النهضة الشعرية ولو باقتضاب ، قال :

« ولقد كان حظ الشعر في هذه النهضة عظيما ونبغ في أرض الجزائر من الشعراء الفطاحل ما يكسبها فخرا وذكرا جميلا ، واذا كانت الكتابة في الجزائر قد اصبحت تضاهي في اسلوبها ورقتهـا وغناها لكتابة المشارقة فان الشعر كذلك قد خرج عن منطقة الرثاء والمديح والتغزل ودخل الى الميدان القومي البحت ، فأصبحت الجزائر بذلك ذات أدب قومي خاص يمتاز بمتانته العربية وتصويره أصدق تصوير للوسط المقول فيه » .

وقال : « وفي طليعة اولئك الشعراء الشاعر المامي الفحل الشيخ محمد السعيد الزاهري ، وشاعر الشباب محمد السعيد حم علي ، وقد نشر الشاعر أبو اليقظان ديوانه وبودنا لو يقتدى به بقيـة شعراء الجزائر الافذاذ أمثال العلامة العقبي ، ومفدى زكريا[1] ، وأحمد الجنيد المكي ، وأحمد كاتب بن الغزالى وأحمد يحيى الاكحل وابراهيم بن نبوح امتياز ، وكشاجم الجزائر العمودى وخبـاش محمد الصالح ومحمد بن الحاج ابراهيم الطرابلسي ومحمود دريـده ومحمد بن بسكر والهادى السنوسي نفسه الذى أنهاه جمع ديـوان

(١) نشر اللهب المقدس وعلمت انه طبع ديوانه الثاني في تونس .

شعراء الجزائر عن جمع ديوان أشعاره البديعة[٢] .

ومحمد الفروزى حوحو ، وشاعر الفصيح والملحون محمدعبابسة الاخضرى ، فدواوين هوءلاء السادة الابرار تسجل لنا صورة مدققة لحالة الجزائر اليوم » .

وأنهى هذا الفصل - الذي يرتقى تاريخه الى ١٩٣٢ وبعد هذا التاريخ حصل تطور عظيم سواء كان من ناحية الاسلوب أم من ناحية الافكار والاداء بقوله :

« وبعد فالجزائر اليوم تسير خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية ، وانها بعلمائها وكتابها وشعرائها ومدرسيها ورجال العمل فيها تبوء لنفسها مركزا متينا في عالم النهضة العربية انما الخطوة التي بقي عليها أن تخطوها هي أن يشارك الشبان المتعلمون تعليما فرنسيا عصريا في الادب والعلوم العربية وان تشارك علماء العربية وكتابها وشعراؤها في العلوم العصرية الحديثة حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان يدا في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شأن الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى أسمى مقام[٣] .

وفي معركة التحرير والاعداد وفي معركة الاستقلال برز شعراء جزائريون تلاحموا بعواطفهم مع الثورة وفاضت مشاعرهم نحو ركب الثوار وتلهب الحماس في نفوس الجزائريين كان على رأسهم أو في مقدمة روادهم الشاعر الكبير محمد العيد ومفدى زكريا وصالح الخرفي وكم كان بودي أن أقتبس لغيرهم من الشعراء الشباب لولا ان خطة الكتاب لا تتسع لهم كلهم ..

محمد العيد

محمد العيد آل خليفة نشأ في مدينة « عين البيضاء » عام ١٣٢٢هـ-١٩٠٤م من أسرة دينية عريقة وتعلم في كتابها وحفظ القرآن ثم أنهى الابتدائية وانتقل الى (بسكرة) على أبواب الصحراء حيث تابع دراسته على المنهج المعروف. وفي عام ١٩٢٢ ذهب الى تونس فالتحق بجامعة الزيتونة كي ينال شهادة (التطويع) والزيتونة جامعة اسلامية يؤمها الجزائريون لشهرتها ولقربها ومعونتها للطلاب، ولعنايتها بالعلوم الاسلامية والعربية ، ومكث فيها سنتين ، عاد بعدها

---

(٣) كتاب الجزائر ص ٩٥-٩٦ .

(٢) ومنهم عمر بن قدور صاحب صحيفة الفاروق ورمضان حمود .

الى الجزائر فرجع الى بسكرة . وأخذ عن الامام ابن باديس وكان ممن تشرب روح الاصلاح الذى دعا هذا اليه المصلح الكبير ، وحين قامت جمعية العلماء كان من أعضائها البارزين ورشحه ابن باديس لادارة « مدرسة الشبيبة الاسلامية » ، لما توسم فيه من الاخلاص والدين والثقافة . وقد مكث يدير هذه المدرسة اثنتي عشرة سنة لم يطرأ عليه فيها سأم وكان يرى هذا العمل تنفيذا لخطة آمن بها هو وامثاله من اعضاء الجمعية في سبيل نصرة الاسلام وغرس العروبة وتربية النشىء على هذه المبادىء التي تهدف الى التوعية عن طريق التعليم .

وصفه الابراهيمي ـ استاذه وصديقه بقوله :

« محمد العيد آل خليفة أول شاعر تشقت عنه صدفة النهضة في الجزائر وشعره أول شعر حي زانق النهضة العلمية وحدا قوافلها المغذة فاطرب ، وأول شعر جرى في عنانها وسجل مراحلها »(١) .

وشعر محمد العيد لم يجمع كله وانما جمع الشاعر منه جزءا وزاد عليه الاستاذ سعد الله عدة قصائد بمعونة الابراهيمي أيام أداء الواعي الكاتب والدارس والجامعي وهجروا الاقلام الى البنادق مهمته في القاهرة . يوم اندلعت الثورة الجزائرية فلباها الشباب واستشهد أكثرهم في وقائعها .

« ان لمحمد العيد دعوات صارخة الى الثورة في الوقت الذى كانت فيه كلمة الثورة بلفظها المفرد كافية لنزول العقاب الاليم بلافظها قبل أن يتم تركيب الجملة » .

وكيف يسكت بعد أن رأى بعينه مواقف الابطال وبعد أن لعلع الرصاص وخاض الشباب الذين أشرف على تربيتهم معارك التحرير ، نجد في شعر العيد واخوانه شعراء المغرب العربي تجاوبا وتحسسا مع أحداث العالم العربي لا يقل عما وجدناه من المشاعر في شعرائنا في مشرقنا العربي نقرأ له قصائده (عدوان على الكنانة ، بنوا الشرق ، القدس للعرب ، ٨ مايس ، اللغة والخصم ، عيد الوطن ، عودة الاستقلال ، المغرب العربي ، وحدة شعبية ، فوطني أمجاد ، الخ .. من ذلك قصيدته بعنوان (استقلال السودان) .

* * *

(١) مقدمة ديوان محمد العيد .

حين حصل الشعب العربي في السودان على استقلاله كان أدباء الجزائر وشعراؤها في مقدمة من أنشدوا قصائد التهنئة واهتزوا طربا لابناء أمتهم السودانيين على نيل استقلالهم • وقد نشر العيد قصيدته (استقلال السودان) بهذه المناسبة هنأ بها الشعب السوداني وهنأ العرب بهذا الاستقلال ، وقال ان العروبة ترتعف فرحة بهذا النصر وان النيل يجرى مصفقا نشوان ابتهاجا منها •

فوز سرت بحديثه الركبان | فالشرق مغتبط به جذلان
والنيل يجرى صاخبا ومصفقا | طربا فترقص حوله الشطآن
وبنو العروبة يهتفون لموكب | في النيل ابحر ركبه العربان
ما اسعد السودان باستقلاله | فاليوم يرفع رأسه السودان

ومنها ،

من مبلغ السودان عنا اننا | شعب له بشعورنا خلان
نتبادل القبلات باستقلاله | فرحا وان طاقت بنا الاحزان
متسائلين عن الجزائر هل دنا | تحريرها ام حظها الحرمان
ومتى تفوز بنعمة استقلالها | فقد استقلت دونها الاوطان

ومنها ،

يا مصر حلاك الرئيس بحكمه | لا غرو فهو « جمالك » المزدان
صان الامانة ثم اداها الى | اهل الامانة ما بها •• نقصان
حييه عني واقرئيه نصيحتي | والقدر منه معظم والشان
لا تنس للسودان سالف عهده | واعطف عليه فانكم جيران
سو المشاكل كلها معه ولا | تنسى المنافس انه يقظان
النيل يغمر ارضكم بنعيمه | ونزاعكم لجميله نكران
والدين والتاريخ والدم كلها | لبناء شامخ مجدكم اركان

وبمثل هذه المشاعر الجياشة والعواطف الصادقة استقبل محمد العيد فرحة الشعب الليبي وانتصاره وسرد جهاده مع الطليان واشاد بكفاح البطل عمر المختار ثم تمنى لليبيا أن تكون حاكمة بالحق وأن تشق طريقها الى المجد وقد استهل قصيدته بهذا المطلع المعبر عن الفرحة :

امل تحقق بعد طول نضال ومثال فوز كان خير مثال
أرأيت اعظم غبطة من امة مهضومة حظيت بالاستقلال
اليوم امة ليبيا قد حطمت ما احكم الطليان من اغلال

وعاشت أفراح الشرق العربي واحزانه في نفس الشاعر وقد فرحت الجزائر مع أفراح العرب وحزنت مع أحزانهم ، والشاعر كان المعبر لهذه الافراح والاحزان ويعرب عن وجدان الشعب ونضاله وأسى بغداد حين أشيع ان حادثا اودى بفتى من فتيانها كانت تعده املا لحريتها وقوميتها وأشيع انه اغتيل بمؤامرة دبرها الاستعمار ، فراح يشاطر بني قومه في العراق أحزانهم :

اليوم حق على العروبة أن تنوح وتندبا
ابكى مصابك مشرق الد نيا وابكى المغربا

⊙ ⊙

بغداد يا اخت الجزا ئر يا ربيبة يعربنا
ووريثة المجد المؤثل عن دمشق ويثربا
انا وان سقنا الرثاء اليـ ك منا مسهبا
لم نقض من شتى المآرب فيه الا مآربا
لو ان ورد الشرق عز لما تكدر مشربا
ولكان منا منكب فيه يساند منكبا

وفي سنة ١٩٥١ أعلن الشعب المصرى الغاء معاهدة ١٩٣٦ وثار يدافع عن نفسه وقد هز هذا الحادث الاوساط الجزائرية وبالرغم من القيود المفروضة على الحرية والصحافة فان « البصائر » أصدرت عددا خاصا بمصر وجهادها وتحدثت عن ثقافتها ونهضتها وصلاتها بالجزائر وقد اشترك الشاعر بهذا العدد بقصيدة رائعة ، جاء فيها ويأسف لاننا لم نستطع أن نقدم غير الاهات والاحتجاجات :

وواسفاه بالاهات جدنا وما بالنفس فينا من جواد
أكل سلاحنا رفع احتجاج على العدوان او فتح اعتداد
ولا يحمي المواطن غير جند سخي بالفدا وارى الزناد
فعذرا يا بني الاهرام عذرا لقد قصر المريد عن المراد

ويا مصر الشقيقة فزت عقبى ... وطاب حديث بأسك في النوادي
هتافات الشمال[1] اليك تعلو ... صدى وعهوده لك كالعهاد

وكانت فلسطين موضوعا هاما في الشعر العربي عامة وفي الجزائر اتخذ منه الشعراء متنفسا للتحدث عن آمال الامة العربية في التحرر ورد عدوان الاستعمار وكان الشاعر محمد العيد يتجاوب مع أحداث فلسطين قال في مأساتها القصائد الثائرة وكان شعره تمجيدا للمعركة وشحذا للعزائم واثارة للشعب الجزائرى ليشارك في المعركة بكل وسائله فقال في التقسيم :

يا قسمة القدس انت ضيزى ... لم يعدل الحاكمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا ... بما جرى من دمع سفيك
القدس للعرب من زمان ... لن يقبلوا فيه من شريك

ويقول في قصيدة اخرى يخاطب بها الشعب الجزائري :

هلا أغثت القدس منك بلفتة ... غيرى على شعب هناك مروع
القبلة الاولى تضج وتشتكي ... من قسوة المستأثر المستنفع
ضمي احتجاجك لاحتجاج حماتها ... واستنكري تقسيمه واستفظعي

⊙ ⊙

ايه فلسطين الشقيقة واصلي ... شكواك من هذا التعدي الاشنع
ويح القلوب فكل قلب شاعر ... متقطع لانينك المتقطع
ويح العدالة والسلام فلا ارى ... غير العدالة والسلام بموجع

ويقول من قصيدة يودع عاما ويأمل عاما اخر عساه أن يكون خيرا للعرب :

اخوك يا عام فيه ... ليل المظالم دجى
صب الاذى فيه صبا ... فرجت الارض رجا
سيمت فلسطين خسفا ... عج الحمى منه عجا
هذا عن الاهل اقصى ... وذاك في السجن زجا

---

(١) اراد بالشمال ـ شمال افريقية من الاقطار العربية .

وعروبة الجزائر كانت شغله الشاغل ولا عجب فهو شاعر عربي شديد الغيرة على عروبة وطنه وأجلى مظاهر هذه الغيرة يتجلى في الحفاظ على اللغة العربية ويرد على المستعمر الذى يريد اقصاءها عن أبناء الشعب ويوهمها انها لا تصلح للمدنية الحديثة وهذه لغة أجنبية عن الجزائر لان موطنها هو الجزيرة العربية والجزائر ليست عربية هكذا يسول الاستعمار لنفسه أن يمحو اللغة الفصحى فيرد الشاعر هذه المزاعم ٠

وان الشعب الجزائرى من سلالات عربية والذين يحاولون فصله عن عروبته وتجريده في لسانه القوى الاصيل سيدركهم الفشل وستبقى العربية هي لغة الجزائر ٠

تحن الى نيل الحقوق نفوسنا ... وتأبى علينا نيلها قوة الغشم
ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها ... وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمي
وما نحن الا من سلالة يعرب ... فمن رام عنها فصلنا باء بالرغم

ويقول :

لك ماض ما مثله قط ماض ... تتباهى بمجده الاحقاب
ولسان لم يدن منه لسان ... وكتاب لم يدن منه كتاب

ياشباب اتجه الى الشرق واحفظ ... كل كنز له اليه انتساب
انما الشرق للعروبة ورد ... بارد الماء سائغ مستطاب
هو صفو وغيره لك شوب ... فرد الصفو لا ترد ما يشاب

ويقول :

سوف يدرون وان طال المدى ... ان هذا الشعب بالمجد قمين
يشهد التاريخ في اسفاره ... انه من قبل للمجد قمين
من بقايا امة عادية ... وسلالات غزاة فاتحين
عن بواديهم وعن امصارهم ... روت الحكمة روما و اثين

وعاب على العيد بعض من لا ادراك له ، وظيفته وانها لا تليق بمقامه وانه سيضيع عمره مع النشىء من غير جدوى ، وانها مجلبة

للهموم والاوجاع ونسوا أن الرجل له هدف سبق وان بشرت بـه جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وهو أحد أعضاء هذه الجمعيـة وهنا الهدف يهدف الى تعليم النشء وتربيتهم تربية عربية اسلامية وطنية وسيجعل منهم طلائع قومية تذود عن الوطن والاسلام العاديات فأجاب زمرة المنتقدين :

اري جل اصحابي ازدروا بوظيفتي — وقالوا هموم كلها ووجائـع
وقدزعموا عمري مع النشء ضائعا — وتالله ماعمري مع النشء ضائع
سيروون عني الشعر والعلم برهة — وتطلع للاسلام منهم طـلائع
فمنهم خطيب حاضر الفكر مصقع — ومنهم اديب طائر الصيت ذائع
ومنهم ولوع بالقوافي لفـكره — بدائه في ترصيفهـا وبدائـع
ومنهم زعيم للجزائـر قائـد — له في مجالات الجهاد وقـائع ،

وقد وقع ما أراد وأينع غرسه خطباء وشعراء وكتابا وقـوادا وطنيين مخلصين كان النصر المؤزر للجزائر على أيديهم ٠

ويوم سافر الوفد الذى انبثق عن الوفد الاسلامي والذى كان لابن باديس والبشير الابراهيمي أثر فيه فقال في اخفاق مساعي فرنسا لفكرة الادماج ، سنة ١٩٣٦ ٠

قال يذكرهم :

يا وفد ذكر ٠٠ فرنسـا — عهـدا تقـادم عهـدا
قل مسـنا الضـر قبـلا — وخاننا الصبر بعـدا
متى تفين ٠٠ بوعـد — يا اعذب الناس وعـدا
لا بد ان تمنحينـا — ما لا نـرى منه بـدا
فـكم وسـعناك بـرا — وسعته اليـوم جحـدا
وكـم بخلت فقلنـا — لعلهـا سوف تنـدا
وكـم ظلمتنـا فقلنـا — لعـل للظـلم ٠٠ حـدا
فخففي الحجـر عنـا — انا نضـاهيك رشـدا
انا نضـاهيك دينـا — قـد آن ان يسـتردا
حقـا لنا منـك يقضى — لا نعمـة منك تسـدى

ومن أجلك يا جزائر قالها سنة ١٩٣٧ لتوثق عرى المحبة بين أبناء الوطن عربهم وبربرهم :

وهبتك روحي يا جزائر فامري كما شئت اني خاضع لك خادم
حماك ربيع لي وان كان جامحا علي وهل يصلى خليلك جاحم
وقرباك هم قرباي لست مباليا أعاريب هم في جنسهم أم أعاجم
فخذ من دمي يا ابن الجزائر انني أخ لك في كل الحظوظ مقاسم
وجسمي ففيما يتبنيك هشمته بكدي وان لم تدر اني هاشم
فان تلتمس عضوى فاني باذل وان تستثر غيظى فاني كاظم
نمتنا أصول في الحياة وثيقة فلا تصرمنا بالظنون الصوارم

ويقول في استاذه الامام عبدالحميد بن باديس باني كيان هذه النهضة المباركة وباعث تقدمها ، يوم أتم تفسير القرآن درسا في مدى ٢٥ عاما فاحتفلت الجزائر بهذا الختم احتفالا باهرا اشترك فيه الشعراء والخطباء :

طبعت على العلم النفوس نواشئا بمخبر صدق لا يدانيك مخبر
نهجت لها في العلم نهج بلاغة ونهج مفاداة كأنك حيدر
حبتك (عمالات) الجزائر حرمة مشرقة عظمى بها انت اجدر
ففي كل وفد راشد لك دعوة وفي كل حفد حاشد لك منبر
ودرسك في التفسير أشهى من الجنى وابهى من الروض النضير وابهر
ختمت كتاب الله ختمة دارس بصبر له حل العويص ميسر
قبست من القرآن فهم موفق وكم لك في القرآن قول محرر
وبينت بالقرآن فضل حضارة أقر لها كسرى واذعن قيصر

* * *

أكتفي بهذا القدر من المقتبسات من شعر محمد العيد والذى هو بحق الرائد الاول للشعر الجزائرى الحديث ، وكم كان بودى أن يقع تحت يدي من شعره خلال الثورة لاعرف تجاوبه معها ، غير ان المصادر التي بين يدي في العراق لم تسعفني بشيء من ذلك سوى قصيدة واحدة قالها في الذكرى الاولى من وفاة صديقه البشير الابراهيمي .

مفـدي زكريا

كان لقبه الادبي الذي عرف به في شرقنا هو « ابن تومرت » ، أما لقبه في الثورة فهو « شاعر الثورة الجزائرية » وحق له أن يلقب بهذا اللقب المشرف فهو من المناضلين بل من الذين حدوا ركب الثوار بأناشيده الحماسية ، وقصائده الثائرة ٠

ولد في سنة ١٩١٣ وتلقى علومه متنقلا في مختلف المـــدارس والمعاهد ابتداء من الكتاب الى ان انتهى بجامعة الزيتونة ، وساهم مساهمة فعالة في النشاط الادبي والسياسي في بـــلاده ونشرت له الصحف الوطنية الجزائرية والمجلات العربية في مصر وبيروت فكان معروفا مقروءا في الاقطار المغربية والمشرقية واستفاضت شهرته حين انضم الى جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، وراح يلهب نفوس الثوار والشباب الجزائري حماسة ودعوة الى النضال والفداء ، ودخـــل السجن خمس مرات متوالية وعذب حتى مزقت السياط أهابه وفي سنة ١٩٥٩ فر من السجن واستمر يناضل مع جبهة التحرير ، هو صاحب نشيد الثورة الجزائرية (قسما بالنازلات الماحقات ، والدماء الزاكيات الدافقات ، والبنود اللامعات الخافقات ، في الجبـــال الشامخات الشاهقات ، نحن ثرنا فحياة ، أو ممات ٠٠ وعقـدنا العزم ٠٠ أن تحيا الجزائر ، فاشهدوا ٠٠ »

ونشيد جيش التحرير ، ونشيد الجزائريين ، وأكثر الاناشيد الحماسية الشهيرة التي له نظمها وهو في السجن وكتب بعضها بدمه وأرسلها الى الثوار ٠

وشعره الذي جمعه في ديوانه الاول « اللهب المقدس »هو عصارة قلب الشاعر وساحة حرب الجيش التحرير وواقع تجاوبه مع أحداث الجزائر بل ومع أحزان وأفراح أمته العربية هو واقع الشاعر وتفاعله مع الثورة سواء كان في سجن « بربوس » أو سـجن « البرداقية » أو في المعتقلات تحت التعذيب أو بساحات الاعدام فـــي السجون

العسكرية الاستعمارية حين كان يرى رؤوس اخوانه الفدائيين تحصدها المقصلة ، وديوانه مربد لاحداث الامة العربية عبر فيه عن آمالها واهدافها وأعيادها ومهرجاناتها ، بل كان سفيرا فصيحا مخلصا لروح الجزائر العربية وتطلعاتها الى العالم العربي وانتفضاته ضد الاستعمار . نقرأ الديوان فاذا به ينقلنا الى الجزائر الى المغرب الى تونس الى الكنانة الى فلسطين وأحداث التقسيم الى الشام الى العراق ، تقرأ فيه تهنئته محمد الخامس والمؤتمرين العرب ويرى من اجتماعهم مظهرا للوحدة العربية ولا اريد أن أطيل فابن تومرت ثائر ومناضل وشعره معروف لدى المتادبين ، فلأتركه يعرض نفسه فهو غني عن التقديم واللهب المقدس كما قال عنه كثيرة الجزائر لا يحتاج الى « جواز مرور » ولا الى « تأشيرة دخول » « هو ديوان الثورة الجزائرية » بواقعها الصريح وبطولاتها الاسطورية وأحداثها الصارخة وهذا ما يعنينا من شعره ، أما مفدي زكريا فهو انسان وشاعر وكثير من الشعراء يعتريهم فرط احساس قد يوقعهم بوهم لا حقيقة له فيخطئون ويصيبون وليس هو بدعا منهم واذا اضطره الحال الى أن يمدح في مرحلته الحالية من لا يستحق المدح والثناء فقد يكون له عذره ونحن نلوم ، وهو من حديث الصفة الشعرية ، يقول : « لم أعن في « اللهب المقدس » بالفن والصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطلولة ـ والشعر الحق ـ في نظري ـ الهام لا فن ـ وعفوية لا صناعة .

ولا عفوية في الشعر ولكن صنعة وطبع ومؤهلات وقد توفرت لابن تومرت ، كتب اليه ابنه الجندي الثائر وقد ترك الكلية والتحق بالثوار ، يزف الى أبيه بشرى التحاقه بصفوف جيش التحرير وعمره يومئذ لا يزيد عن الثمانية عشر حولا فأجابه والده :

أي بني :

هكذا ، يفعل ابناء الجزائر	يا صلاح الدين في ارض الجزائر
سر الى الميدان ، مأمون الخطى	وتطوع في صفوف الجيش ثائر
انت جندي بساحات الفدا	وانا في ثورة التحرير ، شاعر
زغردي يا امه وافتخري	فابنك الشهم فدائي مغامر
كن شواظا وتنزل كالقضا	وتفجر فوق هامات الجبابر

صلواتي لـــك والله معـــك سوف القـاك باعياد البشـائر
فاذا ما عشت حققت الرجـــا واذا ما مت ، فلتحيا الجزائر

هكذا يفعــل ابناء الجزائر

البريح الصاعد

في سجن بربوس في القاعة التاسعة وفي الهزيع الثاني مـــن الليل نفذ حكم الاعدام باول شهيد هو الشـهيد « أحمد زبانا » في١٨ تموز سنة ١٩٥٥ وكان الشاعر في نفس القلعة فنظـــم هــــذه القصيدة :

قام يختال كالمسيح وتبـــدا يتهادى نشوان ، يتلو النشيدا
باسم الثغر كالملائك او كالطفـل يستقبل الصباح الجديدا
شامخا انفه ، جلالا وتيهـــا رافعــا رأسه يناجي الخلودا
رافلا في خلاخل ، زغردت تمــــلامن لحنهـا الفضـــاء البعيـدا ،
حالمـــا كالكليم ، كلمه المجـــدفشـد الحبال يبغي الصعـودا
وتسامى كالروح ، في ليلة القد ر سلاما يشع في الـكون عيدا
وامتطى مذبح البطـولة معراجا ، ووافى السماء يرجـو المزيدا
وتعالى مثل المـؤذن يتلـــو ... كلمات الهدى ، ويدعو الوفودا
صرخة ، ترجف العوالم منهـــا ونداء مضى يهـز الوجــودا
« اشنقوني » فلســت اخشـــى حبـــالا
واصلبوني ، فلســت اخشى حـــديدا ،
« وامتثل سافرا محيـــاك جلا دي ولا تلتثم ـ فلست حقودا
« واقضي يا موت في ماانت قاض انا راضٍان عاش شعبي سعيدا »
« انا ان مت فالجزائر تحيـــا حرة مستــقلة لن تبيـــدا

ومنها ،

يا « زبانا » ابلغ رفاقـــك عنا في السماوات قد حفظنا العهودا
وأردد عن ثورة الجزائـــر للافـلاك والكائنات ، ذكرا مجيـــدا ،
ثورة ، لم تكن لبغي ، وظلـــم في بلاد ثارت تفك القيـــودا
ثورة تملأ العـوالم رعبـــا وجهاد يذرو الطغاة حصيـــدا

كم اتينا من الخوارق فيهـــا　وبهرنا ، بالمعجزات الوجـــودا
واندفعنا ، مثل الكواسر نرتـا　د المنايا ونلتقي البـــارودا
من جبال رهيبة ، شامخـات　قد رفعنا على ذراهـا البنـودا
وشعاب ممنعات ، براهـــا　مبدع الكون ، للوغي اخـدودا
وجيوش ، مضت ، يد الله تـز　جيها ، وتحمي لواءها المعقودا
من كهول ، يقودها الموت للنصر فتفتـــك نصرها الموعـــودا
وشباب مثل النســور ، ترامى　لا يبالي بروحـــه ان يجودا
وشيوخ ، محنـكين كــرام　ملئت حكمة ورأيا ســديدا
وصبايا مخـدرات تبـــارى　كاللبوءات تستفز الجنودا
شاركت في الجهاد آدم حـوا　ء ومدت معصمـا وزنـــودا
اعلمت في الجـراح انملها الل　دن وفي الحرب غصنها الاملودا
فمضى الشعب بالجماجم يبني　امة حـــرة وعزا وطيـــدا
من دماء ، زكية صبها الاحـــ　رار في مصرف البقاء رصيـدا
ونظام تخطه « ثــورة التحـــ　رير «كالوحي» مستقيما رشيدا
واذا الشعب داهمته الــرزايا　هب مستصرخا وعاف الركـودا

⊙　⊙

وحيا ثورة الجزائر في عامها الثالث وألقيت بالنيابة عنه فـي مهرجان الذكرى الذى أقيم بتونس غرة أول تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ نظمها وهو بسجن « البرداقية » .

والقصيدة طويلة نختار منها قسما من أبياتها وان كانت خرائد ابن تومرت كلها من عيون الشعر قال في مطلعها :

دعا التاريخ ليلك فاســتجابا　«نفمبر»[1] هل وفيت لنا النصابا؟
وهل سمع المجيب نداء شعب　فكانت ليلة القدر الجـوابا
تبارك ليلك الميمون نجمــا　وجل جلاله هتك الحجابــا
زكت وثباته عن الف شـــهر　قضاها الشعب يلتحق السرابا
تجلى ضاحك القسـمات تحلى　كواكبـــه ، قنابله لهـــابا

(١) نوفمبر : هو شهر تشرين الثاني الشهر الذى انفجر فيه بركان الثورة في فجر اول يوم منه .

بناشئة هناك اشد وطا — واقوى منطقا واحد نابا
مضت كالشهب وانحدرت شظايا — تلهب في دجنتها التهابا
ملائك بالفوالك نازلات — باذن الله ارسلها خطابا
وهزت «ثورة التحرير» شعبا — فهب الشعب ينصب انصبابا
تنزل روحها من كل امر — باحرار الجزائر قد اهابا
ولعنع من (شلعلع) ذو مبان — نطق فوق (جرجرة) الجعابا[2]
وشبت من ذرى (وهران) نار — رآها «برج مدين» فاستجابا[3]
وقال الشعب : كن يا رب عونا — على من بات لا يخشى عقابا
فكان وكان من شعب ورب — قرار احدث العجب العجابا
جهاد دوخ الدنيا والقى — «هنالك»في سياستها اضطرابا[4]
وزلزل من صياصيها « فرنسا » — واوقع في حكومتها انقلابا
وحرب للكرامة في بلاد — مضت تفتك عزتها غلابا
واوفدت الرصاص ينوب عنها — يناقش غاصب الحق الحسابا

ومنها :

وقالوا : في الجزائر سوف يلقى — اجانبها ، اذ انتصرت ، تبابا
هم كذبوا وما لهم دليل — وكان حديثهم ابدا كذابا
ونحن العادلون اذا حكمنا — سلوا التاريخ عنا والكتابا
ونحن الصادقون اذا نطقنا — الفنا الصدق طبعا لا اكتسابا
وعن اجدادنا الاشراف انا — ورثنا النبل ، والشرف اللبابا
كرام للضيوف ، اذا استقاموا — بسطنا في وجوههم الرحابا
ونحترم (الكنيسة) في حمانا — ونحترم الجوامع والقبابا

●

فقل للنازلين بها اقيموا — كراما واعملوا تجدوا الثرابا

(٢) شلعلع : جبل مرتفع من اجبال الاوراس الشماء (وجرجرة) سبكة جبال بالقبائل الكبرى من سلسلة الاطلس ٠

(٣) برج مدين كناية عن تلمسان التي تضم ضريح ابي مدين شعيب بن الحسين بقرية (العباد) ٠

(٤) هنالك : اراد بالاشارة الى الامم المتحدة ٠

وقل للماكرين بها استريحوا ... فمن يمكر بها يلق الخرابا
وللجند المعطر(1) : عد سريعا ... وعجل عن معاقلنا انسحابا
وللجيش المظفر ، صل وحقق ... أماني الشعب ، قهرا واغتصابا
وللقلم المنور : لح رفيعا ... وداعب في السماوات السحابا
وللشرق المؤزر : دم نصيرا ... وارفع عن قضيتنا مهابا
وقل للمجلس الدولى انا ... نريد لديك حكما لا عتابا
فما جرت الدماء على (اطار) ... ولم نقصد بثورتنا انتخابا
وما جهلت قضيتنا البرايا ... وان دارى « ممولها » وحابا
وانا امة وسط ، نصافي ... مودتنا الالى قالوا صوابا
وانا امة للمجد قامت ... على الاشلاء ، وامتلأت شبابا

اقرأ القصيدة كاملة بديوان الشاعر اللهب المقدس ص : ٣٠ـ٤١

اقرأ كتابك

نظم هذه القصيدة بقعر الزنزانة رقم ٣٧٥ بسجن (البرداقية) بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة يوم ١ تشرين الثانى ١٩٥٨ وألقيت من اذاعة صوت العرب في القاهرة جاء في مطلعها :

هذا «نفبر» قم ، وحيي المدفعا ... واذكر جهادك ٠٠والسنين الاربعا
واقرأ كتابك للانام مفصلا ... تقرأ به الدنيا الحديث الاروعا
واصدع بثورتك الزمان واهله ... واقرع بدولتك الورى و«المجمعا»
واعقد لحقك في الملاحم ندوة ... يقف السلاح بها خطيبا مصقعا
وقل الجزائر:واصغ ان ذكر اسمها ... تجد الجبابر ساجدين وركعا
ان الجزائر في الوجود رسالة ... الشعب حررها وربك وقعا
ان الجزائر قطعة قدسية ... في الكون لحنها الرصاص ووقعا
وقصيدة ازلية ابياتها ... حمراء كان لها (نفمبر) مطلعا
نظمت قوافيها الجماجم في الوغى ... وسقى النجيع رويها فتدفعا
غنى بها حر الضمير فايقظت ... شعبا الى التحرير شمر مسرعا
سمع الاصم رنينها فغنى لها ... ورأى بها الاعمى الطريق الانصعا

---

(1) يريد به جيش المستعمرين والمعمرين .

ودرى الالى جهلوا الجزائر ، انها قالت اريد فصممت ان تلمعـــا
ودرى الاولى جحدوا الجزائر، انها ثارت وحكمت الدما والمدفعــا
شقت طريق مصيرها بسـلاحها وابت بغير المنتهى ان تقنعـــا
شعب دعاه الى الخلاص بناتــه فانصب مذ سمع الندا وتطوعا

ومنها

واستدرجوه فـدبروا ادماجــه فأبت عروبتـــه له ان يبلعـــا
وعن العقيدة زوروا تحريفــــه فابى مع الايمــــان ان يتزعزعا
وتعمدوا قطع الطريق فـلم ترد أسبابه بالعرب ان تتقطعـــا
نسب" بدنيا العرب زكى غرسه الم" ، فأورق دوحه وتفرعـــا
سبب باوتار القلوب عروقــه ان رن هذا رن ذاك ورجعـــا
اما تنهد بالجـــزائر موجـــع اسى الشآم جراحه وتوجعـــا
واهتز في أرض الكنانـة خافق وأقض في أرض العراق المضجعا
وارتج في الخضراء[1] شعبماجد لم تثنـــه ارزاؤه ان يفزعـــا
وهوت مراكش حوله وتألمت لب نان واستعدت جديس[2] وتبعا
تلك العروبة ان تثر أعصابهـا وهن الزمان حيالها وتضعضعا
الضاد في الاجيال خلـد مجدها والجرح وحد في هواها المنزعـا
فتماسكت بالشرق جمهورية عربية وجدت بمصر المرتعـــا
ولمصـر دار للعـــروبة حــرة تأوى الكرام وتسند المتطلعـــا

تجد القصيدة بطولها بديوان الشاعر « اللهب المقدس » من ص : ٥٧ـ٦٧

وديوان الشاعر عصارة قلب الشاعر خلد في قصائده أحـداث الثورة وأعباءها ومآثرها وكل قصائده تجرى على هذا النسق الثائر وأحسب ان ما قدمته من النماذج تكفي لاعطاء صورة لما يعج بـــه شعره من المشاعر والاحاسيس لوطنه ولثورته ٠

والشاعر قد نظم أكثر أناشيد الثورة التي ظل الجيش والشعب ينشدها الى اليوم منها نشيد الثورة الجزائرية اشهدوا : وهذا نصه:

---

(١) الخضراء : تونس ٠

(٢) جديس وتبعا اراد بها اليمن ٠

النشيد الرسمي لثورة الجزائر

نظمه الشاعر وهو بسجن بربروس في تاريخ ٢٥ نيسان ١٩٥٥

اشهدوا

قسما بالنازلات الماحقات والدماء ، الزاكيات الدافقات
والبنود اللامعات ، الخافقات في الجبال الشامخات، الشاهقات

نحن ثرنا فحياة او ممات
وعقدنا العزم ان تحيا الجزائر
فاشهدوا

نحن جند، في سبيل الحق ثرنا والى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصغى لنا ، لما نطقنا فاتخذنا رنة البارود وزنا

وعزفنا ، نغمة الرشاش لحنا
وعقدنا العزم ان تحيا الجزائر
فاشهدوا

نحن من ابطالنا ندفع جندا وعلى اشلائنا نصنع مجدا
وعلى أرواحنا نصعد خلدا وعلى هاماتنا نرفع بندا

جبهة التحرير ، اعطيناك عهدا
وعقدنا العزم ان تحيا الجزائر
فاشهدوا

صرخة الاوطان من ساح الفدا اسمعوها واستجيبوا للندا
واكبوها ، بدماء الشهدا واقرأوها لبنى الجيل غدا

قد مددنا لك يا مجد يدا
وعقدنا العزم ان تحيا الجزائر
فاشهدوا

على عهد العروبة سوف نبقى

أنشدها الشاعر في حفل أقيم بالدار البيضاء لتكريم وفودالدول العربية التي أمت المغرب لتهنئة الشعب والملك بعيد الاستقلال :

سل الفصحى ..وقل للضادرفقا لسان الحال افصح منك نطقا
وخل الشعر فالايام شعر قصائدها على الاجيال تلقى

رنه يا قلب فالاكوان نشوى ... وذب في كاسها نجوى وعشقا
وسر في المغرب العربي لحنا ... وفي قيثارة الاعياد عرقا
ودع (مراكش الحمرا) تغني ... خلاصا من معذبها وعتقا
وفي استقلالها تتلو كتابا ... به جاء المليك هدى وحقا
تنزل عابقا بدم الضحايا ... وجاء بيانه نورا وصدقا
به قلب العروبة مستقل ... الى وطن العروبة ذاب شوقا
ـدام على عروبته وفيا ... يراعي عهدها خلقا وخلقا
وولى وجهه للشرق لما ... تطلع يبتغي للعز افقا
فم ينس العروبة وهو حر ... ومانسى العروبة وهو يشقى
فحيوا في بني بغداد شعبا ... زكا في الخالدين وطاب عرقا
وحيوا مصر موطن كل حر ... وحيوا في اماجدها دمشقا
رسول الشرق٠٠قل للشرق انا ... على عهد العروبة سوف نبقى
واما بالجزائر انكرونا ... سنخرق وصمة الاجماع خرقا(١)
وثبنا كالكواسر واتخذنا ... الى استقلالنا الارواح طرقا
فلا نخشى العذاب ولا نبالي ... اذا وجب الفدا سجنا وشنقا
اذا ما "ـزق صار حليف ذل ... مضينا نبتغي في الموت رزقا

●

رسول الشرق٠٠قل للشرق انا ... نسام الخسف ألوانا ونشقى
وان الشامتين بنا ابادوا ... اعز ديارنا ، نسفا ومحقا
وان العابثين بنا أزالوا ... مرابض سدنا هدما وحرقا
وقد زعموا الجزائر من فرنسا ... وراموا (مزجها) سفها وحمقا
سيعترف الزمان غدا بانا ... سبقنا وثبة الاقدار سبقا
وانا في الجزائر خير شعب ... عروبته مدى الاجيال وثقى
وان « الوحدة الكبرى » اذ ما ... تحررت الجزائر ـ سوف تبقى

---

(١) يشير الى ان البرلمان الفرنسي قرر بما يشبه الاجماع ان الجزائر فرنسية جنسا وترابا ٠

يعظم فيك الشعب أعظم قائد

تحية الشاعر للامير عبدالقادر الجزائري بمناسبة الذكرى الثامنة والسبعين لوفاة البطل المجاهد الاول سنة ١٨٨٢ الذي شنها على المستعمر حربا شعواء ، تجاوب معها الشعب الجزائري فأثارها حربا عاتية على الاستعمار ولم تزل تتلظى كالجحيم تصلي بنارها العاتين وما خمدت نار المقاومة وهيهات تخمد حتى تحقق لشعب الامير ووطن الامير الاستقلال .

اذا ذكر التاريخ ابطال امة ... يخر لذكراك الزمان ويسجد

وان تذكر الدنيا زعيما مخلدا ... فانك في الدنيا الزعيم المخلد

وسطرت للاحرار بالدم غاية ... لها المهج الحرى طريق معبد

فما خمدت نيران حربك لحظة ... وهيهات نيران الجزائر تخمد

هي الثورة الكبرى دلعت لهيبها ... وما فتئت اشكالها تتجدد

ففي كل فج بالجزائر ، رسمها ... وفي كل شبر بالجزائر مشهد

لها كل روح في الجزائر هيكل ... وكل فؤاد في الجزائر معبد

فنم يا امير المؤمنين فاننا ... بروحك لاستقلالنا نتصعد

يقدس فيك الشعب أعظم قائد ... همام له الاجيال تروي وتشهد

حديثك تتلوه البنادق في الوغى ... نشيدا يغنيه الزمان وينشد

وجيشك -عبدالقادر- اليوم ظافر ... يحطم هامات الطغاة ويحصد

وشعبك مأمون الخطى متماسك ... ومغربك الجبار قطر موحد

فنم في جوار الله ترعاك عينه ... ويرعاك في دار الخلود (محمد)

صالح الخرفي

شاعر ثوري من شباب الجزائر الذين تمثلت نفوسهم أبعاد الثورة وأهدافها وآمنوا بقوميتهم ولغتهم ووطنهم ، نشأ ب (القرارة) وبها ولد سنة ١٩٣٢ وفي مدارسها تعلم وتدرج في التعليم بمراحله الثلاث الابتدائية والثانوية والعالية اذ تخرج من كلية الاداب بجامعة القاهرة وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز سنة ١٩٦٦ باطروحة تحت عنوان - شعر المقاومة الجزائرية - من ١٨٣٠ - ١٩٣٠ وهو اليوم يتأهب لمناقشة اطروحة الدكتوراه في كلية لاداب في القاهرة وشارك باسم الجزائر في مؤتمرات أدبية وثقافية ومهرجانات شعرية منها مهرجان الشعر السادس الذى أقيم في بغداد سنة ١٩٦٥ وله مقالات وبحوث في المجالات الادبية وينحصر في الادب الجزائرى ويشغل حاليا منصب - استاذ الادب الجزائرى - بكلية الاداب بجامعة الجزائر ، وله ديوان ضم مجموعة من شعره صدرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية سنة ١٩٦٨ وشعره هذا أذيع ونشر تلبية للمناسبة التي كانت الثورة بحاجة اليها ورفع صوت من أصواتها في الخارج يعرف بها ويحمس لها ، على حد تعبير الخرفي « وربما برز هذه التلبية الفورية عندى ايماني بأن الثورة المشتعلة في حاجة الى صوت يحمس لها ، أكثر من حاجتها الى نغمة حالمة تتغنى بها ، وكنت لا استنكف أن أجد نفسي غير مرة في موقف خطيب ما دامت الثورة التى تلهمني تجعلني كأني على صخرة من صخور الاطلس الشامخ أهيب بالثائرين الاحرار .

« واذا كان العمل الفني في حاجة الى » هدأة « فتلك التي لم يكن في وسع الثورة المتجددة مع الدقائق والثوانى ان توفرها لنا ، ولم يكن في وسعنا أن نمر بالحادثة التاريخية البطولية مر الكرام سعيا وراء الفن الامثل » .

لقد أدت هذه المجموعة المهمة التي قيلت من أجلها ورفعت صوت

الجزائر وبلغت . ولندع كل ذي عذل ببيع فقاعه ، انهـــا جديرة بالرضى لما تحمل من قومية ووطنية والتزام للغرض الذي من أجله قيلت[1] .

مأساة تبسه

تبسه مدينة جزائرية تجارية أهلها مسلمون وفي يوم ٤ مـارت ١٩٥٦ والايام التالية له كانت هذه المدينة مسرحا للحرائق التي أتت على قسم كبير مما يمتلكه المسلمون من المخازن التجارية والمقاهي ، وقد فارقها أصحابها هائمين على أوجههم في الفيافي او ملتحقين الى القرى المجاورة وقتل من أهلها العدد العديد وظلت أجسادهم ملقـاة على قارعة الطريق أو في محلاتهم ، وكانت هذه الوحشية قد اثـارت الشاعر وهزت مشاعره فنظم هذه القصيدة نختار منها بعضها :

تلك المآسي قد كفانا وقعهـــا ليثير بين ضلوعنـــا اعصـــارا
اعصار حقد في الجوانـــح كامـن ان ثار دك الشر والاشـــرارا
لا ، لن تضيع دماؤنا انا سنحسو من دمـاء المعتدين عقـارا

● ●

بالامس نطلب للبلاد سـيادة فثقوا بانا اليـوم نطلب ثارا
صبراً (تبســة) ان شـــقيت بنـــار
اوغاد بـكأس الانتقـام سـكارى
سيزيـــح عنهم ظلمـة الاسكار فجر
للجـــــزائر يبهر الانظــــارا
لا تحزني للوكر ان عصفت جبا برة به ، والسرب ريـح فطـارا
فغدا تؤوب الطير والآمال تحدو سربها فتجدد الاوكـــارا

مأساة القصبة

والقصبة بفتح القاف وسكون الصاد وفتح الباء وبعدهـا هاء السكت كما ينطقها أهلها ، هي القلعة الحصينة لاعمال الفـــدائيين الجزائريين تقع في وسط الجزائر على مرتفع عال فهي تتسلط على

---

(١) اشترك بمهرجان الشعر السابع الذي اقيم في بغداد بعد مؤتمر الادباء سنة ١٩٦٩ ومثل فيه الجزائر وكان من المجلين البارزين ، وهو الان في القاهرة يعد اطروحته لنيل الدكتوراه وحاضـر في معهد الدراسات العليا عن الحركة الادبيـة في الجزائر .

الاحياء الاوربية كما كانت هدفا للغارات الفرنسية الوحشية طوال سنوات الثورة ، وقد أعيد تعمير ما تهدم من بيوتها بعد الاستقلال وهي الان من الاحياء المحافظة على سمتها الجزائرية القديمة بأسواقها البلدية وشوارعها الضيقة ولا تصل اليها الوسائط الحديثة والتنقل فيها يجرى على الرجل ، وطابعها عربي اسلامي ٠

الحرائق المتوالية والتدمير والتقتيل هز أحاسيس الشاعر الخرفي وهو في تونس فنظم هذه القصيدة التي نقتبس بعض أبياتها وقد نظمت والثورة في سنتها الثالثة ٠

على الاحـــرار اعلنها حـدادا … وأرسل دمعـك الغـالي مـدادا
فحي « القصبة » التهمتـه نار … فبات المرء والمـأوى رمـادا
وداركـــم تملى ساكنـــوها … واسلس حظهـم لهم القيـادا
فصيرها العدو لهم قبـــورا … فكانت دارهـم دنيـا معـادا
تيممها العـدو بجنـح ليـل … فغادرهـا لبطن الارض زادا
فرب موســد خزا تـداعى … به مأواه فافتــرش الوهـادا
وكــان الحي حيـا ثم امسى … كأن لم يأو في الدنيـا عبـادا
ولم ترحـب مغانيـــه لحي … ولا طابت مراتعـه ارتيـادا
ولو ابصرت ثكلى في بنيهـا … لقد ثكلت بهم حتى الرشـادا

ومنها :

فتلك (القصبة) المصلاة نـارا … فزادت نار ثورتنـا اتقادا
فهل جبروتهـا اطفـا لهيبـا … وهل بلغوا بقسـوتهم مرادا ؟
الا ان الجـزائر يا فرنسـا … لكالعنقاء تـكبر ان تصـادا

* * *

وعلى الشاهقات

وعـلى الشاهقـات زمجر ليث … فبه في القـلوب ، رعب ووجس
مسه الضيم فانبرى مستـردا … عزه ، والحيـاة بالضيم تعس
ثائـر انجبتـه تربـة عـز … وجدوه يوم الـكريهة شمس
ناشد الحق ، بالرضـا ، فتأبى … ومن الحق ما يلين ، ويقسـو
فأمتطى صهوة الحروب يناجي … مجده والحروب للمجـد أس
انما الحـر من يثـور ، اذا ما … لحـق العز والكرامة دوس
الف الحرب فاستطاب لظاها … فله ، الهزء بالمـكاره ترس

وتغنى عن هولها اغنيات ما تغنى بها « لليلاه » « قيس »
ان تكن مأتما على ابن فرنسا فهي في مقلة المواطن عرس
لاح سعدا على البلاد ويمنا وهو شوءم على الطغاة ونحس
سير الرعب في البلاد فأكبا د الاعادي به تميد وترسو
ودعاالشعب (للسكون)[1] فلبى فالملايين في الجزائر خرس
ثائر لم يعد رهين جبال : بل تحداه الى العواصم بأس
انه الظل ليس يخلص منه اينما كان ، اجنبي أخس
شبح لم تقع عليه عيون النا س ، والاذن بالخطى لا تحس
هو في مسرح البطولة جن وهو في عالم الحقيقة انس
(فروجي[2] لم ينج في شوارع مشلي من لظاه ولا قيادة مسو
قد رفعتم بني الجزائر بندا فأحذروا أن يلاحق البند نكس
واصابت سهامكم مقتل الخصم وأدت مهمة العقد قوس
ان نصرا رجوتموا ليقين غده المرتجى وما هو حدس
ان حقا طلبتموه لشعب واضح بين وما فيه لبس

وله من قصيدة يدافع عن عروبة الجزائر يقول فيها :

حسبوها تفرنست بالارض مرجل نابض العروبة ثائر
وتراءت لهم رماد رفات والسوافي تذروه عبر البيادر

وهي تحت الرماد جمر كمين عربي الى التوهج سائر
هي بالامس حجر ثائر فسلني اليوم عنه تجبك تلك المنائر

* * *

عرب نحن ، والعروبة غذت بهواها عروقنا ودمانا
هي كالنبع دافق في الحنايا ان تكن في اللسان غاضت بيانا
لوثة العجم ان غزتنا ، فبأس العرب فينا بيانه لا يدانا

---

(١) يشير الشاعر الى الاضراب العام الذى شمل الجزائر .

(٢) (فروجي) عمدة مدينة بوفاريك كان قائد الحركة البرلمانية الاستعمارية وكان يملك قرابة من نصف سهول (امتيجة) الخصبة قتله الفدائيون الجزائريون في ضحوة النهار في اكبر شارع من شوارع العاصمة شارع (ميشلي) والذى سمي باسم الشهيد (ديدوش مراد) .

سكتت السـن عن الضـاد لما
السـن النار رددتـه ، فبـانا
عرب اليـوم بالـدماء ، وانا عـرب في غد دما ولسـانا

* * *

زحفنا سـائر لاشرف غايـة فاذا استعصمت ففيه النهايـة
سمرت في عيـوننا نظـرات مالها بالوراء يوما درايـة
وخطى تعشق الصعودعلىالشوك وتولي للـورد كل زرايـة
سوف نحيا على الجزائر أرضا ظللتها بالعـز أقدس راية
أو سنبقى على ممر الليـالي في فـم الدهـر قصة وروايـة

* * *

عشـرات الالوف قدمها الشعب ضحـايا وما اعز الضحـايا
عرق العمر من عزيز المبـاني طار في غفوة الجفون شـظايا
لن يضيع الدم الزاكـي بارض خصبها الفـذ حاتمي العطـايا
يا اخي لا يرعك يأس فـكم لل غد في صفحـة الحروب ضحايا
في بني عمك الاشاوس يا صا ح على الاطلس الاشـم بقايا

* * *

فـكاني بابن الجـزائر وفى شوطه في غـد وانهى المطافا
ثم ولى لمشرق الشمس وجهـا ليلبي نـداء (حيفا ويافا)
جيشنا جيشكم ، فما طار صوت عـربي الا وطرنا خفـافا
جرحـنا مثخن ولـكن سيغدو في سبيل الاخاء جرحا معـافى
يكفر القلب بالسلام وجنـب عربي من الـكرى يتجـافى

القاهرة ١٠ـ٩ـ١٩٦٠

الجرح المتجاوب

شارك الشاعر صالح الخرفي في المهرجان السادس الذي أقامه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بعد أيام مؤتمر الادباء في الايام من ١٩ ـ ٢٤ شباط ١٩٦٥ ، والقيت في قاعة الشعب وكان اقبال المستمعين من المثقفين وعشاق الشعر منقطع النظير وكان المهرجـان بحق سوق عكاظ القرن العشرين لم تشهد بغداد بل العراق احتفالا سعد الناس به كهذا المهرجان مما أوحى الينا ان العراق العربي مازال

شديد التعلق بالشعر وهو الفن الموروث والذى يعد أعز وأثمن ما تفاخر به امتنا ، ان حصيلة الشعر العربي في هذا المهرجان ومعالجته للقومية والحرية والانسانية ومعركتهما في البناء والتحرر من اصار الاستعمار دره عادية الصهيونية والامبريالية ، كل هذه الموضوعات عالجها الشعر في حفلات أربع بقاعة الخلد وقاعة الشعب وفي مهرجان الكوفة ثم بغداد . في هذه الاعياد العربية للشعر ، القى الخرفي قصيدته :

شبح لاح لي يدب على التيه – الى الافق تشرئب يداه
يا الهي متى اعود ؟ متى الفجر؟ وليلي على الاسى ما مداه
رجع الافق صوته ، ثم احنى يسأل الارض : هل سمعت نداه ؟
فتعالى من الجزائر صوت : أمل العائدين نحن فداه
من عباب المحيط في المغرب الاقصى ترامى الى الخليج صداه
مهبط الوحي من حثالة صهيون ورجس اليهود نحن فداه
يا اخي في خيام « غزة » في قلعة « يافا » جروحنا تتنادى
نحن قربان مدلج ينشد الفجر فكنا له منارا وزادا
رعشة النور في سراجك يا صاح اضاءت الربا والوهادا
ومن الآهة الحزينة ، وافته من العز نغمة تتهادى
اننا نزرع الورود على الدرب ونجني من الورود القتادا
مرحبا بالقتاد يدمي خطانا مرحبا بالدماء تجلى السوادا

* * *

يا اخي لست بالشريد المعنى فحنايا ضلوعنا لك مأوى
انت انشودة الصباح اذا أفتر وفي غفوة الدجى انت نجوى
عبرة انت للحنان وللعطف استطابت انسان عيني مثوى
خطوة انت للكفاح اذا شدت بعزمي على الفدا فهي بلوى
يا قويا بنا وبالنابض في جنبك يهفو لثأره انت اقوى

* * *

لست بابن السليب يا ابن بلادي انت عملاق موطن مسترد
قد خلقنا . انا بقمة (ثليا) مستنيرا بثورة ذات وقد
وبخط الهجوم أنت . خلقنا يا أخا الثأر من هنا للتحدي
فاترك السلم للدعاة ، وللنار خطانا ، فسلمنا رفع بند

يا اخي ، اننا غدا ، طـلائع تهليـل ، وان اليهود لطمة خـد
يا فلسطين ان لمحت ، فاعرفي انني وفيت بوعدي

* * *

لا تسلني عن مسقط الراس سلني : أين مرمى عصاي غاية طرفي
يتمطى بي المسير وتغريني الفيافي والريح تعوي وتسفي
قبلتي موطن ستائره العـذراء ديسـت وجرعت اي خسف
غاية الطـرف كل افق ترامت فيـه رايات زاحـف للتشفي
مسقط الرأس اين تهوي رؤوس الغدر والروح رفرفت فوق كفي
يومهـا قد بزغت للـكون يا روحي ، فزفي لي السـعادة زفي

* * *

مد لي كفك الجريحـة يا صـاح ودعهـا تضم كفا جريحـة
لك في وحشة الدروب انيس مسـه الضيم فامتطى الثـأر روحه
لوحت لي من تحت اخمص صهيون سهول الجليل تشكو طريحه
جسدا ان حرسـته يا آلهي ، من ثراه نخط فيهـا ضريحـه
وبأفياء كرمة عسـجدتها ومضات الغـروب ضم جروحـه
قبره في بلاده روضة الخلـد اذا شئت ـ خالقي ـ ان تريحـه

* * *

اخوتي : تستشف عيني وراء الغيم ومضا ما سره ؟ لست ادري
عله بسـمة الشـهيد اذا لاح له الخـلد في حشـاشة صدر
عله خفقة لطلقة رشـاش ، منـاها ان تسـتقر بنحـر
عله والحياة ليل غدا والخوافي تجن شوقا لفجر
شمس حرية غدا سـوف تكسو حرمـة الملتقى سبـائك تبر
مقلتي ، ان حرمتهـا فتأسي فهي دفئي اذا توسدت قبري
دفء شـعبي في الدروب طال به السـير فزودته بقيـة عمري

مهرجان الشعر السادس
بغداد ١٩٦٥

أبو القاسم سعد الله

اديب باحث وشاعر رقيق العاطفة ، عاصر الثورة وتفاعل مع احداثها واتقدت في صدره شعلتها فانار بالكلمة الهادفة درب الشباب الى الجهاد وحداهم الى سوح القتال ، واذا كانت ثورة الجزائر قد

تركت صدى عميقا وتجاوبا هادرا في قلب كل عربي فلا عجب أن يكون صداها أعمق وأثرها في نفس الجزائرى العربي أكثر تفاعلا ولا سيما اذا كان شاعرا ذا حس مرهف كأبي القاسم سعدالله وهو الذي قد صلى نارها واكتوى بأحداثها من قرب ومن بعد والقصيدة بل الكلمة المعبرة الهادفة لا تقل مضاء عن السلاح والرصاص ، وقصائد سعدالله التي نشرها في البصائر والاداب والهدف وغيرها قد بلغت « حد التأزم العاطفي » وعبرت عن أحاسيس الشباب الجزائري .

وأبو القاسم سعدالله درس في الجامعة المصرية وحصل على درجة التخصص ثم واصل دراسته في الغرب فحصل على درجة الدكتوراه بامتياز باطروحته « الحركة الوطنية الجزائرية من سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٣٠ وترجمت الى العربية ونشرت سنة ١٩٦٨ وله من المؤلفات :

١ ـ النصر للجزائر ـ شعر نشر في مصر عن دار الفكر ١٩٥٧

٢ ـ محمد العيد رائد الشعر الحديث دراسة نشرتها دار المعارف ١٩٦١

٣ ـ دراسات في الادب الجزائرى الحديث دار الاداب ـ لبنان ١٩٦٦

٤ ـ الحركة الوطنية الجزائرية من ١٩٠٠ ـ ١٩٣٠ وهو موضوع اطروحته

٦ ـ له كتاب في اللغة الانكليزية عن الجزائر ستقوم بطبعه شركة موتون بلاهاي من شعره قصيدة « البعث »

« الجزائر من الياس الى الثورة »

[١]

طالما ليلي امتثال وسجود
اقرع الارض برجل من ورق
واعب الماء قيحا وصديد
خائرا ابدو بلا كف طليق
وجهي الاسمر في بئر عميقه
يلثم الاقدام والايدي الغريقه
في الدماء

والنداء .. يا لذلي بالنداء
حائرا ضل عن الصبح طريقه
وشعاري ذاب في نار المساء
والملايين التي مثلي هباء
تمضغ « الضاد » وتدعو ـ الاولياء
وتنادي الله دمعا وشهيق
حسبنا القوت وفي الاخرى الجزائر
قد اطعناك وسرنا في الطريق
والملايين التي مثلي هباء
موكب يتلو على القيد الولاء
موكب يمشي على الشوك الحديد
موكب تركله الارجل في عنف
وتدميه القيود
كلما ارفض دماء

[٢]

طالما ليلي سياط وجراح
عشته كالآثم المحنوق في كف الجناح
انا والشعب الذي عاش الحياه
ليلة مخمورة دون صباح
ابدا نشكو ، لمن نشكو ؟ لآلهة
الرياح
ابدا نرجو ، ومن نرجوه ؟ سماسرة
الحياة
أبدا نشكو ونرجو كالصغار الضائعين
كالعبيد التافهين .

[٣]

ذات حين هزت الليل جراحه
هزه الشعب الذي طار جناحه
وصحا اهلي الالى كانوا اسارى
في الزنازن

والألى كانوا سكارى
بالوعود الزائفات
بالحشيش العفن المخدور
من قرن مضى
حالكا ، يا طالما ليلي ظلام
مثخنا ، يا طالما ليلي جراح

[٤]

ان اهلي عرب الاطلس ثاروا ..
بالسنين الماضية
بالسياط الدامية
بالنداءات التي ترجو الاله
قوت يوم وجزاء
واعدوا ان يوم البعث جاء
ان اهلي عرب الاطلس ثاروا
عبر « وهران » التي تصنع مجدا
و « قسنطين » التي تحفر لحدا
وتعب النصر من نبع الصباح

[٥]

طالما ليلي صباح ملهم
وشعارات لنا لا تهزم
من فم الاطلس نشدو : وحدة لا تفصم
من فم الاطلس نشدو ثارنا المنتقم
من هنا من قمة مشحونة بالثائرين
من هنا ، من مشرق البعث المجيد
من ذرى الاطلس صخاب النداء
سوف يمتد الفداء
لفلسطين التي تتلو الولاء
والتي لم تزل حمراء جرحا وسلاح
للجروح الراعفات
في بلادي حيث كانت
سوف يمتد الفداء

« الثورة » (ليلة اول تشرين الثاني ١٩٥٤)

كان حلما واختمار
كان لحنا في السنين
كان شوقا في الصدور
ان نرى الارض تثور
أرضنا بالذات ، أرض الوادعين

* * *

أرضنا السكرى بأفيون الولاء
ارضنا المغلولة الاعناق من قرن مضى
كان حلما ، كان شوقا ، كان لحنا
غير ان الارض ثارت
والهتافات تعالت
من رصاص الثائرين
والكثافات تهاوت
مثلما تهوى الظنون
وبراكين بلادي هزت الدنيا ومارت
كقلوب الكرماء الوادعين
وصحا أهلي من سكر السنين
وبدا الافيون حقدا في الجبين
اننا كنا كراما اسخياء
زرعوا فينا الولاء
ليذيبونا اندماجا وفناء
اى جرم ان نكون الاسخياء
كان شوقا ، كان لحنا ، كان حلما
ان نرى الارض تثور
ان نرى الافيون نارا في العيون
غير ان الليلة الغراء شفت عن بطولة
والنداء الحر قد هز الرجولة
والشتاء السادر المقرور قد عاد ضرام
والولاء الوافر المحذور قد عاد انتقام .

ديوان [ثار وحب] ٣٢_٣٤

ربيع الجزائر

من اللهب الازرق
ومن حمرة الشفق
ولون الدم المهرق
سيصحو الربيع
وتزهو الورود العذارى
على كل درب
وفي كل قلب
تماثيل فخر
وتيجان حب
الى الشهداء

●

ومن اغنيات الرصاص
ودقات قلب الجريح
وآمال فرحتنا الدافقة
سيصحو الربيع
وتشدو الطيور
الى اغاريدها الساحرة
الى الصامدين
فتهتز للنغمة الآسره
قلوب تذوب
حنينا وشوقا
الى فجرها الصاعد
الى مجدها الواعد

●

ربيع الجزائر حب ودم
ولحن وليل طويل
وزمجرة فاصلة
تحمحم في الموقد الازرق
على السهل والمفرق
تذيب المحاجر
دما من نواح

وتزهــو الورود العذارى
وتشدو الطيــور واطفالها
مع الفرحـــة العارمـــة
يشق الحناجر
وما من قيود
تغل الرقاب

واذ ذاك يصحو الربيع ربيع جديد جديد
ويشــرق في ارضنــا صبــاح وليل وليد

ـ ص ٥٦ الديوان ـ

الشاعر محمد الاخضر العلمي السائحي

(١٩١٨)

هو من الواحات في الجنوب الجزائري تعلم في « القــرارة » ومنها هاجر الى الزيتونة بتونس وواصل تعليمه الثانوى ، وفى الحرب الثانية نفاه الفرنسيون منها لنشاطه السياسي فرجع الى الجزائر واستقر في جنوبها متنقلا بين مدنها وقراها يعلم ويشارك في انشاء المدارس الاهلية التي تقوم جمعية العلماء باقامتها ، واتصل بالشاعر الشيخ محمد العيد سنة ١٩٥٢ وانتقل الى العاصمة يعمل في التدريس والاذاعة ، جمع بعض شعره في ديوان « همسات ودموع » وضم هذا الديوان جزءا من شعره لانه حين اراد جمعه تعذر عليه العثور على ما نشره في الصحف والاذاعة والمجلات ، نقتبس بعضا من هذه الهمسات من قصيدته :

ـ قصة ثائر ـ

اي شيء هذا النداء وماذا كان يعنيه عندما ردد اسمه
والطيوف التي اشارت اليه هاتفات وكيف فسر حلمه ؟
وانحنى فوق طفله في حنان ود لو يستطيع في المهد ضمه
ثم مد الغطاء واختصر الموقف حتى لا يوقــظ الطفل امــه

وسرى كالخيال في غســق الليــل وفي سمعه تردد نغمــه
كان في حلمه دعاها .. ولكن اي سر فيها وأيـة حكمـه
فوق هذي الجبال تحيا كريما وتشيد العلا وتبعث امه

ابدا لن يعود .. وانساب في الظلمة لا يرهب الزمان وظلمه
يتحدى الشتاء والصيف ، والجنة والنار ، والعدو وحكمه
فوق طود محلق كعقاب داكن اللون مثل وجه سحابه
فاض كالليل في السماء وفي الارض وغابت نجومه في ضبابه

وتمطى فامتد فوق شعابه

فدنا وهو بعيد

* * *

فوقه حيث يسمر النجم في الليل ويرنو محدقا في صخوره
حيث لا يطرق المسامع صوت غير ترجيع نبعه لخريره
وحفيف الاشجار تلطمها النسمة او ونبة لبعض نسوره
مر من تحته ازمان ذليلا حاني الرأس خاشعا في مروره
ترتمي كالحصى على قدميه كل ايامه وكل شهوره
ثائر كالجزائري عنيد مطمئن ـ كمثله ـ لمصيره
حط كالصقر فوقه وتمنى لو درت ام طفله بسروره
هاهنا سوف يركز الراية الخضراء رغم العدو ، رغم غروره
وستبقى خفاقة تتحدى كل بطش ، مرتاحة كضميره
هزها في الذرى ترفرف وانساب مع السفح حائما كصقوره
ورنا حوله لاول مرة آمنا لا يخاف في الليل نظره
ليتني كنت ها هنا من زمان كنت نسرا في الطود او كنت صقره
وسروري لا يبيد هاتفا في الفضا حياتي حره

ومنها :

آه لو تدري انني في مكان لثم الترب فيه اقدام عقبه[1]
وحنت دوحه عليه يصلي وسرت شهبه تراكب ركبه
وتخشاه حسان ذات صباح وراه عند المسا فاجبه
عربي هذا التراب فلا تخشى علينا فان يسلم عربه
قد سقينا صخوره وثراه بدم لم نزل نواصل سكبه
وزرعناه الف عام اباء وشموخا ورحمة ومحبة
من اراد السلام يلق سلاما ومريد الحروب يحصد حربه
قد عقدنا النيات ان نبذل الارواح
او لن نمد للعرب نسبه

---

(١) يريد عقبة بن نافع فاتح افريقية وباني القيروان .

هم ارادوا الحروب فلتكن الحرب ... ولا عاش من يخادع شعبه
فاحذري ان يراك طفلك تبكين .. فما مات من قضى اليوم نحبه

ومشى السهل غارقا في الحديد يتلظى من العناء الشديد
فوقه في الفضاء الف جناح خفقت تقذف الردى من بعيد

وترامى الشواظ ملء الصعيد
من قريب وبعيد

* * *

انا حر ، وهذه الأرض ارضي سوف افدي حياتها بحياتي
سوف ابني امجادها وارووي بدمائي مروجها انتظاراتي
فتدفق ، يا ايها الدم حرا واجر في هذه الذرى الشامخات
انا ان مت هاهنا اليوم ، فابني سوف يبقى وسوف تبقى بناتي
هكذا قال قبل ان يهبط السهل ويمضي يسدد الطلقات
واختفى في العجاج يلقى ويلقى ساعيا للحياة او للممات
يتخطى الجسوم في الارض ملقاة على الرمل سائرا في اناة
لا تكاد العيون حين تراه من ذهول تصدق النظرات
واسمه يرعب الجيوش فتجري كقطيع النعاج منهزمات
هكذا كل ثائر في بلادي عربي ، جزائري الصفات

* * *

الاناشيد « يا بلاد الجزائر » رددتها على الجبال الحناجر
فانتشى السفح والربى والسهول الخضر والبيد والقرى والمداشر

كل شيء حتى الثرى والمقابر
صرخات ووعيد

* * *

واطل الصباح في الغاب فانجاب عن السهل غيمه وظلامه
وتلاشى الضباب من قمة الطود ومن سفحه فلاح سنامه
ورأى الراية الحبيبة في الذروة تهتز فاختفت آلامه
كان حلما مخبأ في حناياه فعادت حقيقة أحلامه
هذه رايتي ، وهذه بلادي وطني نحن وحدنا حكامه
حسب الارض ارضه فرآنا وكانا في عرضها خدامه

نتحـــداه في السـلام وفي الحـــرب فلم تغن حربه وسلامه
نحن ثرنـا ولن نهـاب المنايا فليطب في سوى بلادى مقامه

* * *

اسـفر الصبح بعد ليل طويل مـلأ الارض فترة بالعويـــل
واذا السـهل غارق فى الضحايا من جريـــح مهشـــم وقتيـل

واذا كل قرية وقبيل
رقصات ونشيد

ومشى الجيش ظافرا يتغنـى بأناشيده العـــذاب القويـــه
ومشى الشعب حوله يترامــى ثمـلا في أعيـــاده القوميـــه
مَجدَ الثائرين .. كـل شهيد مات من أجله ، كل ضـــحية
واذا أغبر من الجند ضـاو يـــده لا تفـارق البندقيـــه
يسأل الرائحين : أين سعـاد ؟ من رآها هنا ؟ وهل هي حيه
وفتاها ؟ اما يزال صغـيرا ؟ اصدقوني فلست أخشى المنيه
ورنـا للصفوف ينظر طفـلا ميزتـــه ملامـح عربيـــه
لبس الرايـــة الحبيبة ثوبـا ومشى خلف امـــه للتحيه
ورآهـا مـع ابنـــه ورآتـه فانحنى للتحيـة العســـكرية
ومشوا في الصفوف هذا وهذى كلهـــم جند ثورة وطنيـــه

* * *

وانتهى في البيوت عهد النواح ضمـد النصر كل تلك الجراح
ثم بعـــد يسمع الظلام انينـا لجريح أو قعقعـــات سلاح

ماج حتى الظلام بالافراح
انه النصر المجيد

◉

ادباء جزائريون يكتبون بالفرنسية

ادباء جزائريون محدثون : يتحدثون او ينظمون بالفرنسية انها لمأساة ان يتغرب المرء من لغته التي هي أهم مقومات قوميته . فيما قدمته عن الامير عبد القادر والامامين عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي وما استشهدت به من كتاباتهم وما اقتبسته من نصوص خاصة للاستاذ احمد توفيق المدني وبعض خطب الهوارى بومدين رئيس مجلس الثورة ورئيس الحكومة وكلمة وزير الاوقاف العربي السعدوني في ذلك بيان واضح يمثل أدباء جزائريين يمثلون الثقافة العربية الاسلامية والمناهج الدراسية العربية سواء ما كان منها مدارس خاصة وعلى أساتذة وفق الجادة القديمة أم كانت تتمشى وفق اسلوب أشبه بالجامعي كما هو معروف في منهاج التدريس في الزيتونة ، والازهر .

وقد اقتبسنا ما فيه الكفاية من أدبهم وقوة اسلوبهم وهذا كله يمثل وجها لادباء الجزائر العرب في العربية . ولكن للادب الجزائرى وجه اخر ، ادب مستقل باسلوبه وافكاره ، وخصائصه ، عن الادب الذى قدمته أدب يستمد خصائصه من البيئة الجزائرية ، ومادته القومية الجزائرية، وتصوراته وافاقه الجزائر،وان ابتعد ففي الشمال الافريقي ، أدب نابض بالحياة ، كتبه كتاب جزائريون ولكن بلسان فرنسي ، المحتوى لهذا الادب ، جزائري يعبر عن مآسي الجزائر وآمالها في الحرية والاستقلال وبلغة فرنسية عالية لا تهبط عن أساليب الكتاب الكبار المشهورين من الفرنسيين .

تميز هذا الادب الجزائرى بواقعيته وقوميته وشدة ارتباطه بالارض الجزائرية التي يعيش عليها شعب الجزائر الشعب الذى يتطلع الى الحياة ويريد الاحتفاظ بشخصيته وبأرضه وبدينه ومقومات أمته من تقاليد ومفاهيم ولغة ، وراح هؤلاء الكتاب المحدثون المتخرجون بكليات فرنسية وتعلموا الثقافة الاوربية وأجادوا اللسان الفرنسي كأبنائه بل كأبلغ كتابه ، فلم يتغنوا بمجد فرنسا ولابثقافة فرنسا وانما راحوا ينقلون بلغتهم الاجنبية وثقافتهم الرفيعة ينقلون للفرنسيين حقيقة الجزائر المؤلمة ويعملون على نقل الصورة البشعة التى خلفها الاستعمار الفرنسى للشعب الجزائرى ينقلون الى احرار

الفرنسيين والمثقفين الاوربيين ما آل اليه أبناء الجزائر من فقر وجهل وضياع وانعدام عافية اوجده نظام فاسد . يقول الدكتور ابراهيم الكيلاني « ان الصفة البارزة في الادب الجزائري الحديث هي الواقعية التي تعكس الاشياء والحياة والتجارب الفردية والجماعية في اطار فني ، فهو اذن أدب حقيقي كتبه اناس من صميم الشعب عميقو النظرة الى الوجود شديدو الحساسية بالصلات الانسانية التي تربط بين الناس تتطور وتتموج في أدبهم شخصيات متنوعة الاشكال والشيات فتبدو في صراعها الداخلي مع ذواتها وتفاعلها مع العالم الخارجي ، المستكينة لمشيئته حينا والثائرة المتمردة عليه حينا اخر ، ولا أقصد بالاطار الفني ذلك الفن المجرد المتعالي عن محيط الكاتب فيعوقه عن تحقيق رسالته المفيدة ، بل الفن الذي يعكس الحقائق في شكل حسي ، والذي يصدر أحكاما على مظاهر الحياة تلك الاحكام التي من شأنها ايجاد الوعي وخلق المعرفة بين طبقات الشعب في سبيل القضاء على عالم فاسد يدعمه نظام استعماري فاسد وتحقيق عالم أفضل وحال أحسن .

ان كتاب الجزائر يشكلون الطليعة الواعية التي فهمت الماضي ووعت الحاضر وتطلعت الى المستقبل[١] .

احتل الادباء محمد ديب ومولود فرعون ، ، وادريس الشرايبي ومولود العامري ، ومالك الوازي ، ومالك الحداد ، وكاتب ياسين ، وغيرهم مكانهم من الادب المعاصر في قوميته وتعبيره عن واقعية الجزائر .

ادريس الشرايبي

في أدب ادريس الشرايبي صدى لمساوىء الاستعمار وما ينطوي عليه من جرائم فظيعة وهذا رأي النقاد المنصفين والادباء الذين تحررت نفوسهم من التعصب ، اما الاخرون من المتعصبين فيرون في أدبه جحودا للنعمة وكفرانا للجميل وتنكرا للغة التي يكتب فيها . ادريس الشرايبي من تلمسان درس وتعلم في مدارس التعليم الابتدائي والقانوني بالفرنسية ثم رحل الى فرنسا ليدرس الكيمياء واختلط بالطبقة العاملة من الجزائريين وعمل معهم ورأى عيشتهم النكدة انهم فريسة خداع الاستعمار ، نهب أرضهم واستغل خيراتهم وخدعهم

(١) انظر كتاب ادباء من الجزائر سلسلة اقرا ١٩٢ مطبعة المعارف .

اذا هم رحلوا الى فرنسا سيجدون الخير والنعمة والرزق الوافر استغلوا بطالتهم فلم يشغلوهم بالزراعة كما خيل اليهم وانما شغلوهم في المعامل الصناعية في مصافي النفط في الصناعات الفولاذية في افران الحديد في المناجم وكانوا يتجمعون في مجموعات ويعيشون في أكواخ او في غرف كبيرة (عنبار) يتكدسون في هذه الغرف الرطبة الباردة القذرة ، رأى ادريس الشرايبي حال اخوانه وعايشهم فأثارت حالتهم وتعاستهم الاسى في نفسه فكتب قصته المشهورة (التيوس)صورهم « يدخلون ويخرجون هزيلي الاجسام ساغبين لاغبين ، يشبه بعضهم بعضا كأن لهم وجها واحدا ، كامدي اللون وضع لكل منهم ثقب اضافي على بطاقته فيضعها في محفظته بعد ان يطويها بعناية ويربطها بخيص ، وكنت تسمع عند خروجهم صوت تذمرهم وسخطهم على الحياة في سبحة طويلة من الشتائم » « بطالة للكرامة ومشجعة على الخسة والجريمة » .

وكان المهاجرون ينامون في أقبية يصعب على المرء اجتيازها الا منبطحا وهي محرومة من الهواء والنور ، ستون عربيا في كل قبو يحمون بضراوة ما يسمونه ملكهم وشخصياتهم وما تلك سوى فرش هزيلة رقيقة ـ كدف خشبية ـ سوداء تحرك رائحتها الكريهة الغثيان شغلت مساحة القبو باكمله تفصل بين فراش واخر حدود رمزية ولكنها حتمية الخ .. »

وفي الرواية صور بديعة مثلا قوله عن عقلية الفرنسيين لا يدركون نفسية العربي (ان الفرنسيين يتفلسفون ويضعون الخطط والمشاريع وينظرون الى القضية من زوايا مختلفة دينية واجتماعية ومادية ولكنهم جميعا لا يعرفون شيئا عن حياة العربي ونفسيته فهم يطيرون فوق العرب كما يطير المرء فوق مدينة فيرقبها من عل جالسا على مقعد وثير بعد أن يكون قد ملأ بطنه وعكس دماغه حاملا معه وراءه وأمامه وفي داخل نفسه الفرضيات الرياضية القاتلة انهم وحدهم البداية والنهاية والمادة والعقوبة ، وانهم يعرفون كيف يعيشون ويخلدون وانهم وحدهم يملكون الحقيقة والخيال كما ان الاقتصاد يجب ان يوضع على صورتهم » .

محمد ديب

كاتب جزائرى من تلمسان ايضا وله في ٢١ تموز سنة ١٩٢٠ ودرس في مسقط رأسه ثم في مدينة « وجدة » لادبه خصائص قومية بارزة يستمد ذاتيته ومحتوى أدبه من البيئة التي يعيش فيهاالشعب الجزائرى ، عبر عن أعمق الاحاسيس الروحية والاجتماعية باللغة فرنسية وعكس بوضوح صراع الجزائريين مع الاستعمار ، زاول عدة مهن مكنته من الاتصال بالطبقات الشعبية الكادحة والاطلاع على نفسيات اهلها واحوالهم المعاشية ، عمل صانع سجاد ومحاسبا في محل تجارى ثم امتهن التعليم وأخيرا انقطع الى الكتابة فكانت باكورة أعماله الادبية رواية : « البيت الكبير » وصفها المؤلف هي من أروع الروايات في تصوير الحياة الجزائرية في بوسها وشقائها وتناحر ناسها وآمالهم وانسانيتهم وقساوتهم تجرى حوادثها سنة ١٩٣٩ ، ويقول : ان الكاتب لم يعتمد في النواحي الاجتماعية التي تبدو على ضوئها أشخاص روايته طلب الاصلاح والتخفيف من الام مواطنيه بل اكتفى ببسطها أمام أعين القارىء لوحات متتابعة بلغ من مهارته في تصويرها انها ترسخ في الذهن حتى يصعب على المرء الخلاص منها ، فيشعر بعد الانتهاء من مطالعة الرواية بغثيان عاطفى مبهم ، ثائر يخالطه الاسى والاشفاق على هذا الشعب المعذب يخلف بعده شعورا بالنقمة والسخط على الاستعمار والمستعمرين . أصل هذا البلاء وسبب هذه الرزايا المحزنة .

والرواية على صغر حجمها تجمعت فيها صور ولوحات عن جميع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي خلقتها الاوضاع الاستعمارية في الجزائر لمحاربة اللغة العربية التى هي سلاح القومية ، وعملية التمثل الرامية الى ذوبان الشخصيةالجزائرية في المحيط الفرنسي ، وسياسة الافقار والتجهيل التي هي من أبرز

صفات الاستعمار الفرنسي ، كل هذا يوءديه محمد ديب في سطور قليلة بليغة ، ان هذا الجوع الذى يتراءى في كل صفحة من صفحات الرواية ذاته الذى يجعل الام تصيح بلسان الشعب الجزائرى (نحن فقراء ولكن لماذا نحن فقراء ؟ ان امها لم تكن تجيبها على سوءالها ، وقال بعضهم ان هذا مشيئة القدر ، وقال اخرون : ان الله وحده يعلم لماذا فقراء ، ولكن هل هذا يكفي ، ولعل الاشخاص الكبار يعرفون الجواب ٠

وروايته ملأى باللمحات السريعة الخاطفة التى تعبر كل واحدة منها عن فكرة اجتماعية أو صورة واقعية ، أو خاطرة نفسية ، ولعل من أجمل صوره تلك المقارنة التي عقدها بين الاولاد الجزائريين البوءساء المشردين وبين أولاد الاوربيين المستعمرين القاطنين في الجزائر ، لان الطفولة التعسة هي من أهم المشاهد في تلك البلاد حيث حرم تسعون بالمائة من نعمة العلم ، والنور « كان الاولاد الجزائريون يلعبون في شكل عصابات صغيرة ٠ وهم دوما على أهبة الفرار أمام رجال الشرطة الذين يطاردونهم في كل مكان ، قد البسوا أردية عتيقة بالية ، ذوات اكمام مشمرة عند المفصلين وفى أرجلهم أحذية رجالية ، صفر الوجوه ، عيونهم سوداء ، ينظرون باستغراب الي الناس والاشياء ، هم نشيطون لا يفتأون عن التشاجر وملاحقة بعضهم بعضا ، وبما انهم مكروهون ومضطهدون من قبل المدنيين ، وجب عليهم الفرار في كل لحظة يتبعهم غضب الناس ، انهم يمتهنون الشحاذة ، وفي بعض الاحيان النشل والسرقة ينظرون بعيون شاخصة ثابتة الى الرجال والنساء والاولاد الاوربيين ينظرون اليهم بل يحملقون بأنتباه متجمع مما يظهرهم اسن مما هم عليه في الحقيقة وينظرون بصورة غريزية الى ثياب الاوربيين الجديدة واجسامهم النظيفة السليمة التي لم تعرف الجوع ، تبدو عليهم مظاهر السعادة والشعور بالطمانينة والامن والصيانة ، فيهم صفات الادب واللطف ، والتهذيب التي يبرزونها كثياب العيد ، والاطفال الاوربيون يخشون عادة اطفال العرب واذا ارادت امهاتهم ان يخيفوهم صرخن مهددات « سأنادي العربي »[1] ٠

---

(١) تلخيص من كتاب ادباء من الجزائر من ص٢٨ـ٦٤ ٠

مالك حداد

ولد مالك حداد في مدينة قسنطينة العاصمة الثالثة في الجزائر عام ١٩٢٦ في هذه المدينة التي تضرب جذورها عريقة في التاريخ تتحدى عصا الاستعمار التي تريد ان تسلخ عنها ماضيها وشخصيتها بضربات مجنونة لتحولها الى وجود فرنسي وهيهات ثم هيهات ان تنسى قسنطينة ما ضيها وجهادها في هذا الجو الصاخب الساخط الذى يجسد الصراع بين أشرس استعمار عرفه التاريخ وأصلب ثورة عرفها التاريخ ولد مالك حداد ·

دخل مالك المدرسة فاذا كل ما حوله فرنسي ويتابع تحصيله الابتدائي وثم الثانوى بلغة المستعمر لان ظروف مالك حداد لم تسعفه بغير هذه الدراسة ، وتبدو مخايل نبوغه وينتزع جوائز التفوق انتزاعا ، وسافر الى فرنسا وأتم هناك دراسته العالية وحصل على اجازة الحقوق في مدرسة « اكس أن بروفانس » ·

وتصطبغ الجزائر كلها بالدم والدم في صباح ٨ ايار من عام ١٩٤٥ حيث يقوم الاستعمار بأبشع مجزرة في التاريخ سقط فيها بين الاربعين والخمسين الف شهيد ويلقى بمثل هذا العدد وأكثر منه في غياهب السجون ، كان كل ذنبهم انهم انقذوا سمعة فرنسا في الحرب الثانية فكالت لهم الوعود بالحرية والاستقلال فور انتهاء المحنة واحتشد شباب الجزائر يعلنون فرحتهم بميلاد الاستقلال فقابلت فرنسا فرحتهم بالابادة ، كوفيء بها الشعب الصابر المجاهد، فكانت حقا تلك المجزرة اعلانا لميلاد الجزائر العربية وعلى أشلاء الخمسين الف نبتت بذرة الاستقلال ·

وحين سئل الشاعر عن تاريخ ميلاده أجاب والغصة في صدره والزفرة في شفتيه والدمعة على خديه ·

ـ لقد ولدت في صباح ٨ أيار ١٩٤٥

ب الجزائر كلها ولدت في ذلك اليوم،لقد آمن الشعب انالكفاح هو السبيل الى الاستقلال وان الحرية يأخذها الابطال وان الثورة هي الحل الوحيد ·

ويأخذ مالك حداد طريق الثورة كغيرة من الاحرار ، ويساهم بفكره وقلمه وبشعره في المعركة كما يساهم رفاقه بالبندقية والرشاش

اشترك في تحرير الصحف الوطنية التي كانت تصدرها جبهة التحرير وكتب القصة والقصيدة وعمل مدرسا في المدارس الوطنية ·

وداهمت الشرطة والجنود داره فيضطر الى الاختفاء ثم يغادر البلاد الى أوربا حيث يكرس حياته للكتابة عن الثورة والتغني ببطولة الشعب وبمستقبل الجزائر المتحررة ·

لمالك حداد من المؤلفات :

١ ـ ديوان شعر « الشقاء في خطر » : صدر سنة ١٩٥٦
٢ ـ رواية « الانطباع الاخير » : صدر سنة ١٩٥٨
٣ ـ رواية « ساهديك غزالة » : صدر سنة ١٩٥٩
٤ ـ رواية « أنا المعلم وأنا التلميذ » : صدر سنة ١٩٦٠
٥ ـ رواية «رصيف الورود لم يعد يجيب» : صدر سنة١٩٦١
٦ ـ ديوان شعر « اسمع واناديك »
٧ ـ دراسة بعنوان الاصفار التي تدور في الفراغ تناول فيها مأساة التعبير عند ادباء الجزائريين ، ويقول مجيبا عن أثر الثقافة الفرنسية في شعره وقصصه فيجيبك بمرارة : ـ لم نتعلم منفرنسا الا يتمنا ـ

مثل بلاده الجزائر الثائرة ـ حكومة الجزائر ـ المؤقتة في مؤتمر الكتاب الاسيويين الافريقيين الذي عقد في طوكيو فكان النفحة العربية الاصيلة بلغة أجنبية ·

وهذه هي مأساة حداد ومأساة رفاقه من كتاب الجزائر فيهم القدرة والفن والموهبة ولكن يعبرون عنها بلغة اجنبية يعربون عن عروبتهم وعن وجودهم العربي بالفرنسية وانك حين تسأله عن أثر ذلك يقول لك : انه محروم ·· محروم من أغلى مقومات وجوده ·· محروم منلغته ،ويعرب عن ألمه بقوله لصديقه الشاعر الفرنسي :

« ان الفرنسية هي منفاي الذى أعيش فيه ·· بلى ياءاراغون»

نقل ديوانه « الشقاء في خطر » الى العربية ملك ابيض العيسى وراجع

الترجمة الشاعر سليمان العيسى ومما جاء في تصديره « ان العربية لتشعر بالاعتزاز والزهو وهي تفتح ذراعيها لتحتضن ابنها العائد اليها .. لتستقبل هذه الموهبة الخصبة المبدعة في أول ديوان من أدب الثورة الجزائرية ينقل الى اللغة الام هو هذا الديوان الجميل الذى نقدمه للقارىء العربى بعنوان « الشقاء في خطر » .

ان في نقل الشعر من لغة الى لغة مجازفة أية مجازفة .. يعرف ذلك كل من تصدى لهذه التجربة ولكن شعورنا بحق القارىء العربي في الاضطلاع على هذا الادب الذى يعبر بحرارة ووعي عن أعمق تجربة وأخطر قضية من قضاياه .. شعورنا بحق مالك حداد وزملائه ان يعيشوا في صدور أمتهم وعلى السنة ابناء قومهم ، هذا الشعور هو الذي يحدونا الى هذه المجازفة ، ويشفع لنا بالتقصير[1] .

من قصيدة « المسير الطويل »

أما الان .. فالى البندقية .. الى العمل ..
أنا وابني البكر .. لقد كانت زوجتي اجمل نساء الوادى
لكلمة « وطن » عندنا طعم الاساطير
لقد داعبت يدي قلب اشجار الزيتون
ان مقبض الفاس هو منطلق ملحمتنا
لقد رأيت جدي الذى يحمل اسم (المقراني)
يلقي بسبحته جانبا ليتابع بنظراته انطلاق النسور
لكلمة « وطن » عندنا طعم الغضب
ابي .. يا ابي .. لماذا حرمتني ..
تلك الموسيقى المنسوجة من لحمي ، ودمي
انظر الي .. انظر الى ابنك.. ابنك الذى يلقن ان يقول في لغة غريبة
تلك الكلمات الحلوة التي كان يعرفها عندما كان راعيا ،
لقد فقدت برنسي[2] وبندقيتى ، وقلمى
لقد حملت اسما أشد زيفا من منظري
يا الهي .. ما ارهب هذا الليل ولكن ما عسى يجدى الصفير
انه الرعب .. يملأ الافق من حولك .. انت خائف
انت خائف .. انت خائف .. فهناك ابدا رجل يلاحقك

---

(١) ديوان (الشقاء في خطر) ترجمة ملك ابيض ومراجعة سليمان العيسى .
(٢) البرنس : شعار الجزائر الوطني يلبسه الرجال فوق ملابسهم .

كمرأة لا ترحم ٠٠ زملاؤك في المدرسة ٠٠ الشوارع ٠٠ الترع
كل اولئك الذين تؤكد لهم في كل لحظة انك فرنسي
انظروا الى ثيابي الى لهجتي الفرنسية ، الى منزلي
انا الذي يجعل من اصله ٠٠ من نسبه ٠٠ مهنة زرية ،
اتسمونني جزائريا ٠٠ لا تقولوا ذلك، فهذه شقيقتي لا تضع على
وجهها الخمار ٠٠
ألم أحصل في المدرسة على كل الجوائز في الفرنسية ٠٠ في الفرنسية
٠٠ وباللغة الفرنسية
يا الهي ما أشد وطأة الكلام في عيني هذه الليلة
وفي ذات يوم ٠٠ اطل ٨ ايار دوري اذا أيتها الارض ، وزمجري أيتها
الرعود
لقد خلفت ماضي الظلم بجميع اخطائه[٢] ٠٠ في قرارة خبري العميق .
في ذات يوم ٠٠ اطل ٨ ايار ٠٠ أيحتاج الانسان ان يدفع كل هذا
الثمن لكي يفهم ٠٠
أيحتاج لكل هؤلاء المعلمين ليتلقى هذا الدرس
وكل هؤلاء الموسيقيين ليحب الموسيقى

---

(٢) يشير الى مجزرة ٨ أيار التي خلقته من جديد وبعثته انسانا آخر وخلقت الجزائريين علمتهم حقيقة امرهم .

مولود فرعون

كاتب مشهور قتل برصاص يد أثيمة من الجيش السري الذى كونه الكولون بعيد اعلان معاهدة ايفيان بساعتين ، وبرواية قبل اعلانها بساعتين ..

مولود فرعون من جبال القبائل وكتاباته تدور عن واقع الفقراء من أهل القبائل وفي القبائل أقوام يعيشون في جوف الارض في الكهوف كما جاء بتصريح الرئيس بومدين .

يقص حياته في جبال القبائل بأسلوب واقعي جذاب مؤثر ، وقصته في الحقيقة هي قصة الفقراء الذين يعيشون في فقر ويموتون في فقر ، فلا يثورون ولا يتذمرون كأن هذا المصير أمر طبيعي محتوم لكل انسان على وجه الارض ، ولذلك توج مولود فرعون غلاف روايته (ابن الفقير) بعبارة الكاتب الروسي تشيكوف تعكس روح القصة وترسم الاطار الذى تدور فيه حوادثها .

« نحن نعمل لخدمة سوانا ، حتى سن الشيخوخة والعجز ، وعندما يدنو أجلنا نموت دون دمدمة ونقول في العالم الثاني : اننا ذقنا الالام وبكينا وعشنا سنين طويلة من المرارة وان الله سيرأف بنا»

وألف مولود فرعون رواية « الارض والدماء » وهى التى فازت بجائزة الادب الشعبي في فرنسا سنة ١٩٥٣ ، انتزع بها الجائزة من خمسين كاتبا فرنسيا منافسا اياهم في ميدانهم وفي لغتهم ، وألف أيضا كتابا عنوانه « أيام القبائل » وهو مجموعة أبحاث عالج بها موضوعات اجتماعية في اوساط القبائل .

وقد نالت روايته « ابن الفقير » شهرة بعيدة في الجزائر أولا ثم تعدتها الى أفريقيا الشمالية حتى غدت من الكتب المقررة يدرسها الطلاب على انها من روائع الادب المغربي المكتوب بلغة فرنسية .

تتجلى موهبة مولود فرعون في وصف الريف فهو ابن الريف ،

فيه عاش وفيه تكونت شخصيته ، ولعل نشأته في وسط الفلاحين ، قد أوجدت عنده هذا الاحساس بحياة الفلاحين ، ومكنته من دراسة أحوال هذه القرى الجبلية النائية وتصوير عاداتهم وتقاليدهم وتصوراتهم وانماط حياتهم المادية والاجتماعية ، دراسة أطول لان رواية « الارض والدماء » التي ألفها فرعون قد تضمنت الى جانب الناحية الروائية دراسة اجتماعية قيمة تكشف لنا أسرار هؤلاء القوم المنعزلين عن العالم ، المنطوين على أنفسهم ، الرازحين تحت وطأة العادات القبلية والعصبيات العرقية »(١) .

كاتب ياسين

ولد كاتب ياسين في احدى مقاطعات قسنطينة من أصل قبلى في السادس من آب ١٩٢٩ ودرس في مدرسة ستيف ، ثم أوقف وسجن في المظاهرات التي جرت في الثامن من مايس سنة ١٩٤٥ اثر المذبحة الفظيعة التى ارتكبها الاوزبيون في الجزائر ولا سيما فيمدينة ستيف وفي ١٩٤٦ صدرت له مجموعة شعرية بالفرنسية أسماها « نجوى » لفتت اليه أنظار الادباء في العاصمة الفرنسية ، وفي سنة ١٩٤٧رحل الى باريس ومكث فيها تسعة شهور وزار باريس ثانية ١٩٤٨ ونشر في مجلة « مركوردى فرانس » قصيدة عنوانها (نجمة) وعين في سنة ١٩٤٩ مراسلا لصحيفة الجزائر ـ الجمهورية ـ .

وثم سافر الى العربية السعودية والى السودان المصرى وطوف في آسيا الوسطى السوفيتية ونشر في اثناء ذلك قصائد فى باريس والجزائر .

وفي سنة ١٩٥٠ هجر مهنة الصحافة واشتغل حمالا في مرفأ الجزائر ، وأعقب ذلك فترة عطالة ، رحل خلالها الى باريس واشتغل هناك في مهن تافهة مرة يخدم في مزرعة واخرى يعمل في البناء وثالثة مع كهربائي ليعيش ويسد جوع أهله بعد أن فقدت عائلها الاول والده وأغاثه بعض اخوانه في ايجاد عمل يوفر له قليلا من الوقت ليستغله في الكتابة فاتم بين ١٩٥٢ـ١٩٥٤ تأليف روايتين ضخمتين هما « الجنة المطوقة » وهي مأساة نشرت في مجلة « اسبرى » ونجمة وهي تمثل الاوضاع الاجتماعية للجزائر مكنه وضعه واختلاطه

---

(١) المصدر السابق من صفحة ٦٥ـ٩٥ .

بالاوساط الشعبية ان يحسن وصف هذه الطبقة وعيشها الضنك ولكي تفهم الرواية تمام الفهم من وراء الخيال الروائي والحاجب اللغوى المستعار يجب ان تقرأ على ضوء (الفكرة الجزائرية) والوجود الجزائرى ، فهي قضية شعب مظلوم ، ولكنه حاضر ، وفكرة وطن مفقود ولكنه ماثل في اذهان بنيه ، تحمله اليهم نسمة وحيدة تهب على البلاد ساقتها اليهم « الغابةوالصحراء ، والبحر » .

وتتجلى فكرة الوجود الجزائرى في هذه الصور الاستعمارية القائمة عن الحياة الجزائرية في الحقول والمزارع والمدن وورشات العمال والسجون ، ودور القضاء وتتجلى في هذا الحقد الذي يحسه أهل البلاد للمستعمر ،، وفي الازدراء الذى يكنه المستعمر لاهل البلاد، وتشتد البغضاء بين الحاكم والمحكوم بقدر ارتفاع الوعي القومي وانتشاره .

والفرنسيون يحاولون منع ولادة هذا الوعي وولادة هذا الوطن انما مصيرهم الى الخذلان . اذ لابد لهذا الوطن ان يتحرر بدونهم ولابد أن يطردوا منه ، وكما ان الجزائر ابتلعت الغزاة وتمثلتهم ، فان الارض العطشى ذاتها ستمتص دماء أمثالهم لتخلق منها جزائر فتية قوية تدب فيها الحياة الحرة المنطلقة من كل قيد .

من مزايا هؤلاء الكتاب الجزائريين انهم يكتبون عن واقع الجزائر وبنتيجة التجربة التي مرت بهم .

ان كاتب ياسين ناله قيد السجن وباشرت جسده سياط العذاب فهو اذا وصف عذاب السجون وصف امورا عرفها وجربها : قال يصف التعذيب في هذه السجون :

« تقدم الاخضر تحت وطاة ضربات الشرطة فصرح بهويتهونسبه وغير ذلك من المعلومات الشخصية .

وظل رجال الشرطة يضربون ، وظل الضابط يقرأ ورقته

ـ اذن ان السيد تلميذ .

ـ فشهق الاخضر قائلا : نعم تلميذ ،

ـ فعلق الشرطى سوطه على زنده وتناول حبلا رطبا من حافة حوض الماء ، وامتنع الشرطيان الاخران عن ركل الاخضر ، واخفى هذا رأسه بين ذراعيه على محاذاة الارض ، لقد هيأ نفسه للتعذيب، فهو لن ينكر اشتراكه بالمظاهرة ولن يبوح بكلمة عن المسدس ،

الذى طمره في الساقية ، وقد وطن نفسه ـ كوسيلةللنجاة ـ اذا اشتد عليه الالم أن يبوح بأسماء طلاب من أنصار الفرنسيين الذين سيثبت التحقيق فيما بعد براءتهم ·

لم يكن الاخضر يشعر بكل هذا الا في شكله العام المبهم ، فهو لم يعد يشعر برأسه ، وظلت بقية جسمه شبه سليمة ، وأخذ الـم بعيد حاد يتوضح شيئا فشيئا في خاصرتيه وركبتيه وكعبيه وقفص صدره وفكيه ·

ثم تركهم الاخضر يعصبون يديه ورجليه ، ثم ثبت الشـرطيان بين الحبلين دفة خشبية طويلة من شأنها تثبيت السجين ، ثم حمل وقذف فيالحوض ، لقد خدشت كتفه اليسرى فوجد في جموده عـن الحركة وسيلة لابقاء نصف جسمه غير مغمور في شكل زاوية قائمة، وكانت الدفة قد عصرت ذقنه وكان الاخضر في انتفاضته ليبرز رأسه أحيانا الى مستوى رجال الشرطة ·

فشعر بشيء بارد يضغط على شفتيه عرف عند المذاق انهـــم وضعوا له حجرا كبيرا يصل حتى البلعوم ليمنعوه من اطباق فمـــه، ثم وضعوا له شيئا آخر استطاع أيضا تحديد ما هيته ،قطعةمنانبوب معدني يستعمل للسقي ،

سالت المياه ··

فلم يعد يستطع الاحتمال ،

لم يعدباستطاعته ان يشرب اكثر مما شرب ،

وشعر كأن أعصابه جميعا تتلوى ، وان جرعة مثلجة تقلب له احشاءه الماء يسيل

وكان الضابط يزيد في اسالة الماء تدريجيا

وكان الاخضر يزداد انتفاضا

ـ ياله من متوحش ، انه يريد ان يقتل نفسه

ـ هيا تكلم ، انك شاب وسيطلق سراحك ،

ـ من هم رؤساؤك ؟

ـ هيا يا (···) هل تريد ان تغطس

لقد عزم الاخضر على البوح ، واشار بايقاف سيلان الماء

رؤساؤنا ؟ ليس لنا رؤساء ، نعم ، نعم سأتكلم ،
انزعوا الانبوب ، ان رؤساءنا : ...
ـ انه يسخر بنا ابن المومس
ـ وانهالت عليه الضربات
ـ ان سوط الضابط لم تعد تكفى
ـ وتناول الشرطيان حبالا رطبة
ـ تلك لنا ـ
ـ وانهالوا على فحص القدمين كأنهم حطابون غابة ،
وعرف لماذا استهدف الشرطيان اخمص القدمين
فثنى ركبته وغطس[1] ...

اما الصورة التي جلاها بقلمه عن القضاء فلم تكن باقل من بشاعة التعذيب ، وهذه الصور التي أبدع في سردها أمور واقعية كانت تجرى في القطر الجزائرى وعلى مشهد من الاوربيين الذين كان بينهم من استفظعها وكتب عن بربريتها حتى قال أحدهم ان جلادي هتلر ليعدون اطفالا بالقياس الى الجلادين الفرنسيين القساة .

ومعذرة اذا لم آت بتلخيص للباقين من الكتاب الادباء فهم على نسق من قدمت لهم ، وان كان لكل منهم اسلوبه وبراعته .. وعذري ان الفصل قد طال وفي ما قدمت الكفاية .

(١) المصدر السابق من ص٩٦ـ١١٠ .

ـ تلك لنا ـ

للشاعر كاتب ياسين

في اللحظات المشوبة من عمر ربان
في اوجه فتيات تتأهب للمجد
في وسط عراء الليل
في عام المذبحة الخامس

* * *

الراية ذات السرعة عادت لربابها
تلك جزائرنا في أروع حريتها
كانت دوما حرة سائدة ساخرة
سلحها الاعداء وباتوا
سجناء شراك نصبوها

* * *

وأمام الشعب الناهض في الفجر
تتجول وتطوف مذابح
وصفوف كلاب مخمورة

* * *

قد يحدث ما يبكي
لولا ان العين تتفتح

والدمعة تجمح

* * *

ليست اسلاك (موريس) بقاتلة
بل المدفع محشو ، والحفر الملتهبة
وقوافل ليل حالك
والبسمة في المعركة
يا اوجه ٠ أية نار خلقت فيكم
تلك الثقة الجبارة
تلك النار
هي سر التضحية

* * *

في كل مكان يتقاطر
يبرز جيش لا يتوقع
من فلاحين بلا أرض
والشيخ الفاني يخرج من كوخه
ليقدم آخر كبش عنده

* * *

الليلة نحتفل على ضوء شعاع يأتي
من صبح يعقب ليل المعركة
هي سر التضحية

* * *

الصبح يطل
فلننس البؤس

والاسمال المتهرئة

والكف الممدود

ونعالا تؤلم

ولننس زمان الكهف

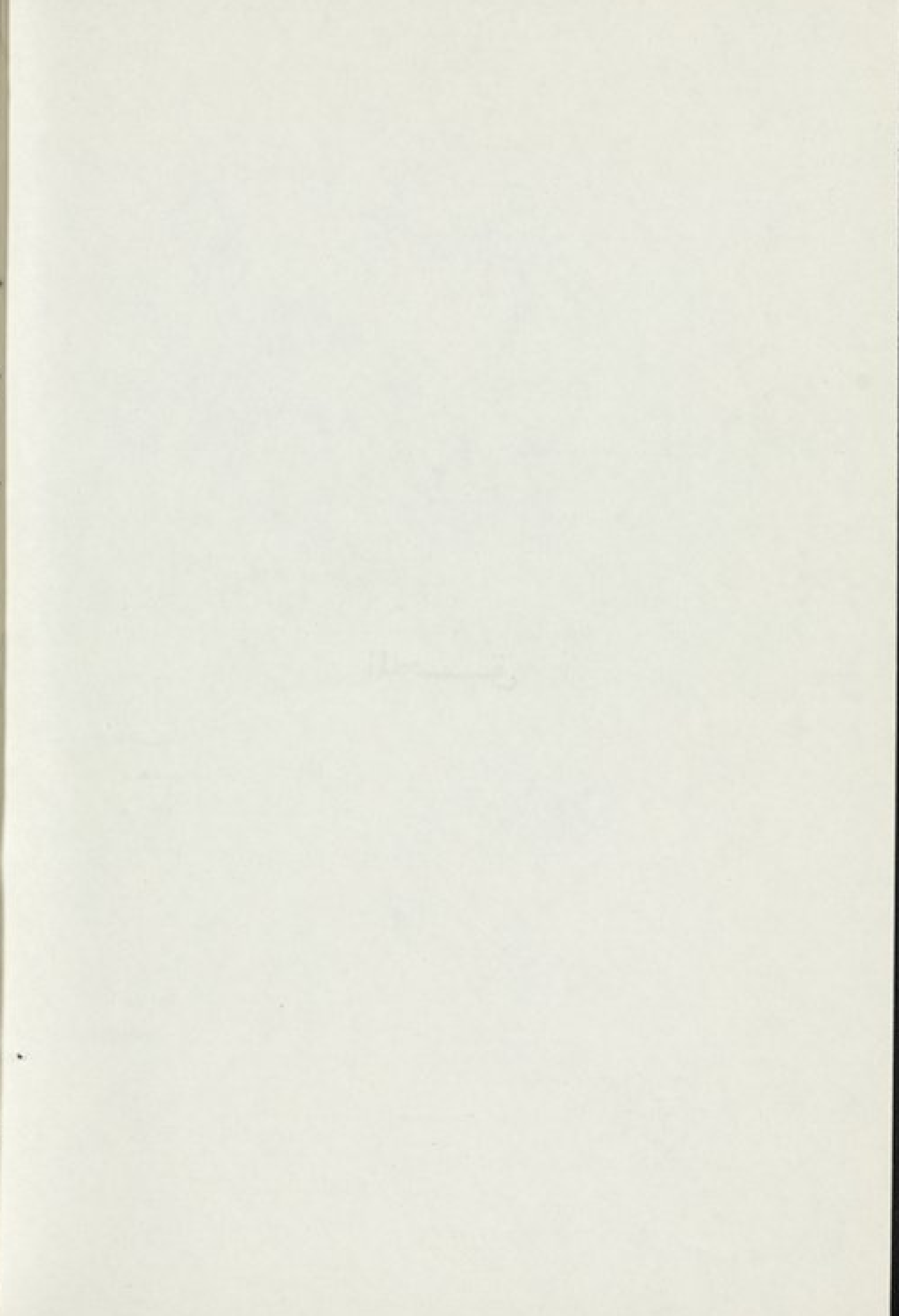
ولنرفع قبضة هذا الشعب

وسط ازيز النار المندلعة في الانفاق[1]

---

(١) ترجمة محمد البخاري : المجلة ص٤٨ .

الملحق



مأساة جميلة بوحيرد

لا مندوحة لمن يكتب عن الجزائر وثورتها البطلة الا ان يذكر قصة مأساة جميلة وهى مأساة لها مثيلاتها من الثائرات والثائرين الذين ازهق التعذيب ارواحهم فى مقرات المظليين المجرمين ٠

في اليوم السادس والعشرين من نيسان ١٩٥٧ وجدت جميلة بوحيرد البالغة من العمر اثنين وعشرين عاما حاملة مراسلات مهمة لجبهة التحرر الوطنية ، وقد تحطم عظم اللوح منها برصاصة وكانت تهرب أمام دورية في مدينة (القصبة)[1] وكانت هذه الرسائل مرسلة الى « ياصف سعدى » والى « على لابوانت » فانهضت جميلة بوحيرد وحملت الى المستشفى ، واجريت لها الاسعافات اللازمة وعانت التعذيب الاول فى حين كانت ما تزال على طاولة العمليات حيث تركها الاطباء ٠

وتوالى هذا الاستجواب هنا وهناك ، فى المدينة وضواحيها خلال سبعة عشر يوما وفى النهاية ، رفعت شكوى ضد العسكريين الذين احتجزوها على هذه الصورة ، والذين اتهمتهم بالقيام بتعذيبات ضدها تقشعر لهولها الابدان ٠ وانقضى على ذلك شهر ، واخيرا انتدب لها طبيب فوجد على جسدها اثار مختلف القسوة وسوء المعاملة ، وصرحت قائلة :

« لقد كنت من ٢٦ نيسان مستجوبة ومعذبة فى المستشفى العسكرى فى منطقة مايو ، وفى الدارتين اللتين احتجزني فيها رجال

---

(١) (القصبة) المدينة الوطنية القديمة من الجزائر العاصمة تقع في مرتفع عال عن الاحياء الاوربية فى العاصمة ٠

المظلات وطوال ثلاثة أيام تحملت التعذيب بالكهرباء ، فقد وضعت اقطاب كهربائية في موضع العفة مني ، وفي فتحتي انفي وفي اذني وفمي وتحت ابطي وفي نهاية نهدي الاثنين اللذين ما يبرحان محروقين وعلى فخذي اللذين ما يفتآن يحملان العلامات على ذلك ، وقد دام هذا التعذيب طوال الليل حتى كان يغمى علي وادخل في بحران الهذيان»

وتضيف جميلة الى ذلك قائلة :

« ان اولئك الذين عذبوني لم يكونوا يملكون الحق في اهانه الكائن البشرى على الشكل الذى قاموا به بصورة مادية تجاه شخصي وبصورة ادبية ومعنوية تجاه انفسهم ذاتها » .

وكان غرض الاستجوابات التى اجريت على هـذا النمط اذا صدقنا الاتهام هو الحصول على اقرارات في القاء القنابل ويقال ان هناك محضرا قد سجل اقرارات من هذا القبيل ولكن هذا المحضر لم يكن قد عرف الا بواسطةصور منه ملحقة بالاجراءات أما الاصل الذى اكدوا انه يحمل توقيع جميلة بوحيرد فلم يره احد حتى يوم النطق بالحكم ولم يستطع احد اثبات صحته ..

ولهذا السبب الوحيد قالت جميلة بوحيرد : انها لم تقر بشيء ولم توقع على شيء وان هذه الصور قد لفقت تلفيقا .

وقد قالت كذلك ان رجال المظلات كانوا قد عذبوها لاجل أن يهتدوا الى محل اختفاء « ياصف سعدى » و « علي لابوانت »وكـان ذلك منطقيا فقد وجدوا معها رسائل موجهة الى هذين الرجلين ولكن من أين أتتهم الفكرة اذا بالانطلاق من هذهالنقطة بواسطة مضايقتها وتعذيبها ليس حول المراسلات ولكن حول قضية القنابل .

واضافت ان الدليل على انها لم تبح بشيء هو انه لم يتـم القاء القبض لا على « ياصف » ولا على «علي» ولو انه ليس هناك من يشك بانها تعرف كيفية الوصول اليهما فقد كانت عامل اتصال لهما

هذا وفضلا عن ذلك فان السلطة لم تحاول الوصول اليهما الا عن طريقها فقد اوقفت اخاها البالغ من العمر احد عشر عاما على امل أن تبوح له بسر أو تسلمه رسالة سرية يوما ما حين يحزبها الامـر وتضيق بها السبل يوما فترسله بدلا منها حاملا الرسائل كمـا ان السلطة اوقفت ابن اخ ياصف وله من العمر اربعة عشر عاما . ولكن لم ينبس ببنت شفة ولم ينطق الثاني بحرف وانتدبت عائلة جميلة

بوحيرد المحامي جاك فيرجيس للدفاع عنها وقد بلغ هذا المحامى عن طريق المصادفة ان جميلة على وشك ان تجيب على الاستجواب الاول لحاكم التحقيق وكانت قد خرجت رأسا من أيدى رجال المظلات .

وقد اصر « فيرجيس » محامي جميلة على التأكد من ان المحضر قد حوى بصورة امينة التصريحات التى افضت بها المتهمة قبل وصولـه .

وكانت جميلة قد انكرت السطر الاخير من السطور العشـرة وقالت أنها لم تفه به مطلقا واحتدم النزاع بين المحامي والحاكم .. فقد رفض حاكم التحقيق تأجيل التحقيق الى وقت اخر بالغا ما بلغ من القصر وساله ان يسال موكلته امامه هل توافق عـلى الاستمرار فى الاجابة بدونى .

فرد الحاكم عليه بعدم الموافقة .

وكان جواب جميلة انها ما دامت تملك محاميا فانها لا ترضى من الان فصاعدا بان تستجوب دون حضوره .

وهدد الحاكم المحامى بقولـه .. ان السلطات توقف الاطبـاء الذين يعالجون الثوار وكان الاجدر ان توقف المحامين الذين يدافعون عنهم فتأمل حياد الحكام .

وصدر الحكم على جميلة بالاعدام بشهادة بنت واحدة مجنونة ادعت ان جميلة اعطتها قنبلة .. وكانت هى الاخرى تنتمى الى جبهة التحرير ولكـن الزنزانة التى وضعت داخلهـا والاقذار والتعذيب افقدها رشدها وراحت تتصور ان جميلة تسعى لاتهام خطيبها وانه سيعدم واثناء الشهادة كانت تأتى بافعال جنونية عجيبة تدعو الى الشفقة ومع ذلك اخـذ الحاكم بشهادتها وحكـم على جميلة بوحيرد بالاعـدام .

ولم يسمح للمحامى ان يتكلم وقد اكتفت بما عرفت واقتنعت بشهادة المجنونة وحكمت بالاعدام وصادقت محكمة التمييز العسكرية قرار الحكم ولم تجد فيه ما تعترض عليه .. وقرأ جورج أرنـو عن طريق المصادفة جريدة صدى الجزائر التى نشرت مجمل المرافعات النهائيه فكانت هذه القراءة دافعا له الى دراسة تفاصيل القضية . ومما أثار انتباهه والتقى بمحاميها في فرنسا ومن محاورتهما نشأت الحملة التى شرعا فى سبيل الحصول على العفو عن جميلة واصدرا كتابا صغيرا اخرجته داز الطباعة فى باريس سردا فيه قصة جميلـة

الموءثرة وملابسات محاكمتها مما اثار الرأى العام فى فرنسا ٠٠ لقد كانت التعذيبات التى ارتكبها رجال المظلات من الفظاعة بمكان عظيم والاعظم من ذلك ما ورد ذكره في هذا الكتاب من الاعمال غير المشروعة قانونا وانسانية التى قامت بها سلطات القمع فى الجزائر بل الادهى من ذلك كله هو الجهاز القضائى نفسه الذى أصابته عدوى القمع والتعذيب ، فوضع نفسه تحت خدمة النزوات الوحشية والعواطف المجنونة الهوجاء فظهر بهذا الوجه الكالح الذى لا يستحق بعد الان أن يوصف بأنه ضمان الشعب الفرنسى الذى باسمه يعمل وباسمه كان ٠٠٠ ان القضية ليست قضية حكم بادانة نطق به ضد بريئة ، ان هذه القضيــــة ليست ما بلغت انتباهنا في الدرجة الاولى ، ان المسالة هى مسألة العدالة التى يجرى تطبيقها فى الجزائر ، والتــى يبدو انها لم تعد بعد اليوم سوى تمثال جامد لا يخدع احدا فلا هو يخدع الحكام ، ولا هو يخدع المتهمين ، وهـذا الشكل مـن تطبيق العدالة الزائفة هو الذى وضعه الموءلفان في الدرجة الاولى في كتابهما عن جميلـة بوحيرد : جورج أرنو ، الـذى قدم القضيـة ، وجـاك فيرجيس صاحب المرافعة ، التى كان مقدرا له ان يلقيها لو لم تحرم عليه المحكمة الدائمة للقوات المسلحة فى الجزائر القاءها ٠ فظهر من جراء ذلك هذا الكتاب الصغير القيم ، الـذى يعكس السياسـة التعسفية التى تقوم الحكومة الفرنسية فى معالجتها للقضية الجزائرية في عرض شيق تسنده الوثائق وتدعمه الوقائع[١] ٠ وكان لجهودهما الفضل الاكبر في الافراج عن جميلة بوحيرد ، وكم من مثلها من ذهب ضحية الارهاب والتعذيبولم ينتبه لهناحدولم تثرالصحافة خبرهن٠

---

(١) ملخص عن كتاب مأساة الشعب الجزائرى سلسلة الثقافة الشعبية ٣٢ التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد العراقية ٠ تعليق وترجمة الدكتور اكرم فاضل٠

وشهد شاهد من أهلهـا

رسالة عميد الحقوق الى وزير الدفاع

كتب هذه الرسالة البروفسور جاك بيرك . عميد كلية الحقوق في الجزائر الى وزير الدفاع الفرنسي وهي تتضمن وصفا واقعيا لفظائع شهدها العميد بنفسه فرأى من واجبه ان يبلغها الى الوزير والى الرأي العام العالمي في هذا الكتاب المفتوح ، عساه بذلك يساهم في انهاء هذه المجازر التى تهز ضمائر الاحرار في كل مكان والتى تكشف عن ناحية من حرب الابادة التى يشنها الاستعمار الفرنسي الغاشم ضد الشعب الجزائرى المجاهد في سبيل حريته واستقلاله وفيما يلي نص هذه الرسالة :

الجزائر فى ١٨ مارت ١٩٥٧

حضرة السيد الوزير :

لقد شعرت بأنني معني بصورة مباشرة ، ومتأثر بشكل عميق ، بالبلاغ الذي نشرتموه حول الوقائع المنسوبة الى الجيش ، والتي تشكل جرائم ان صح وقوعها ، والتي يكون فيها الشهود شركاء في الجريمة ان لم يخبروا السلطات العامة عنها ، وانني اعتقد ان الوسيلة الوحيدة التي تجنبنا ان ينسبوا الى حكومتنا أو الى مواطنينا ، انهم استعملوا أو تسامحوا في استعمال الاجراءات شبيهة بالاجراءات التي اقترفها الهتلريون ، هي ان تكون نحن أنفسنا أول من يعترف بوقوع هذه الفظائع ونشجبها ، وانني على يقين من ان هذا الجهد المفجع الذي نبذله لاجل نكران اخطائنا ، يجب أن يكون عاما شاملا ، وان المهم في الامر ان يعترف بذلك الذين في اعلى سلم المسؤولية ،

ان تحذيرك الصارم اراني انه يجب علي ان أجد الشجاعة

للتغلب على وساوسي ومخاوفي ، وان مركزي نفسه ، بوصفي عميد كلية الحقوق في الجزائر ، ونائب رئيس الجامعة ، ان مركزي هذا يحتم علي ان اعترف بما سمعته ، منذ خمسين يوما : ذلك انه مهما سيصيبني من جراء ذلك ، فان سببه ان ممثلي الفكر الفرنسي ، سيكونون قد تجرأوا واستطاعوا ان يشهدوا بما رأوا وما فكروا فيه ، وان فرنسا ستظل فرنسا .

هاك اذن الوقائع فانني لا اريد ان اعتبر بعد الان كشريك في الجريمة ما دمت بحت بها -

هذا ما رأيته :-

حوالى الساعة السابعة من يوم السبت المصادف ٢٦ كانون الثاني ، كنت في حانوت يقع في شارع فرسان مالطة في مدينة الجزائر حينما سمعت كلمة :

اقبضوا عليه : من جانب شارع فيلكينيون ، على بعد مائة متر من الجهة السفلى ، فتوجه الجمهور ثم اعقبه رجال الشرطة الى تلك الجهة ، وبعد مضي خمس دقائق ، سمعنا من بعيد في شارع أراكو - اصوات نارية متصلة فهرع حينئذ رجال الشرطة ورجال الجيش لسد المنافذ المؤدية الى البيوت ، في حين اقفل التجار حوانيتهم ، وصاحوا بمستخدميهم المسلمين ان يعودوا وهكذا كنت حبيسا في الدكان حينما سمعت رجلا يصرخ وكأنه يعوي على مقربة من جهتي ، وفهمت من صراخه قوله لا لا لا ، تطلقوا النار ففتحت باب الدكان وخرجت ، فرأيت على بعد خمسة أمتار من يميني رجلا مسلما يرتدي كبردينا أسمر ، وهو واقف ويداه الى أعلى ، وقد استدار قليلا الى الحائط وكان محاطا برجال الشرطة والمظليين ، وقد صوبوا رشاشاتهم نحوه وهم يشيرون على الناس ان يبتعدوا ورغم جهلي بالضبط من اين جاء هذا الرجل ، فانه كان يلوح لي من الصعوبة بمكان ان اعتقد بصورة جازمة انه احد الارهابيين ، الذين شوهدوا قبل عشر دقائق على بعد مائة متر من هذا المكان ، وعلاوة على ذلك فلا اشك ان أحد المظليين قد سأله عن اوراق هويته ، وضع هذا المظلي يده على رقبة الجزائري واداره وقربه من اتجاهي ، وكان يخيل الي أنه سيذهب به الى مركز الشرطة ، ولم يعد الرجل يصرخ وشرع يمشي ، ثم ركله المظلي بركبته في أسفل ظهره فتعثر الرجل وسقط على يديه .. لقد تكوم الرجل

كانه يؤدي الصلاة وكان أمامي قريبا من الجهة اليسرى ، وظل المظلي ملتصقا بالرجل من الخلف والرشاش في ظهر سجينه ، وانطلقت رصاصتان خافتتان ، وان هذا المشهد لم ينقض بسرعة وبصورة وحشية ـ كطرفة عين ـ بل على العكس من ذلك جرى ـ بتباطؤ ـ خلال دقيقتين أو ثلاث ، وبدا على رجال البوليس انهم متضايقون قليلا من هذا الحل غير المنتظر ...

ـ لماذا قتلته ؟

دنوت حينئذ من المظلي وسألته : « لماذا اطلقت النار على هذا الرجل ؟ فادار المظلي لي عقبيه ، وجرى راكضا نحو اعلى الشارع صوب شارع ايسلي[1] ، فأخذت اعدو وراءه وبعد ان ركض حوالى مائة متر التفت واستدار وصوب الي رشاشته ، وبعد ثانية من التردد ادار عقبيه من جديد واستأنف ركضه نحو شارع ايسلي في حين كنت اتبعه راكضا ، وحين وصل الى زاوية الشارع قفز الى المقعد الامامي الايسر من سيارة جيب حيث اسرع سائقها بتحريكها ،

فسألت أحد الشهود ان كان رأى رقم السيارة ، ولكنه انتهرني انتهارا قبيحا ، فنزلت الى الرجل الصريع وحاولت استجواب رئيس الشرطة الذي طوق برجاله المكان ، ولكن رجال الشرطة وبأيديهم المدافع الرشاشة الموجهة نحوي بدون مناقشة، في حين ان رجال شرطة آخرين خارجين من الحوانيت شرعوا باستجوابي انا فتملكني شعور بان تدخلي عقيم وفاضح فأبتعدت ،

اما الصحف فقد اشارت الى ان ارهابيين يرتديان البسة لها مظهر عسكري قتلا ، بعد ان حاولا قذف قنبلة يدوية من مخزن يقع في شارع فيلكينيون ، احدهما يدعى أحمد بن علي وله من العمر ٢٢ سنة عامل يسكن الدار المرقمة ٤ في شارع نفيسه وقد صرع بصلية رشاش في شارع فرسان مالطه ...

خيل الي انني لم أعد استطيع عمل شيء سوى اثارة فضيحة ، وذلك ما رفضت ان اخاطر فيه ، ما دام ما افتش عنه ليس جنديا مسؤولا عنه ، ولكن حالة روحية ...

انا مسؤولون جميعا :

---

(١) هذه الشوارع في مدينة الجزائر العربية فتأمل مافعل الاستعمار . وقد ابدلت بعد الاستقلال باسماء الشهداء .

ان بلاغك ايها الوزير جعلني اتذكر اننا مسؤولون حينما يقترف جندي من جنود فرنسا بعض الاعمال التي كافحنا ضدها كثيرا ، وفضلا عن ذلك فان تكرر مثل هذه الاعمال يوميا تقريبا في الجزائر نفسها قد اكد لي أن ليس من حقنا ان نظل ساكتين ...

ان رجلا مثلي من رجال المقاومة القدماء ، وضابطا من ضباط الاحتياط ، واستاذا في كلية وممثلا في جامعة ، يجب عليه الا يكتفي ، في بلد كفرنسا أن يأسف على هذه الاعمال في قرارة نفسه أو في الاحاديث الخاصة ، بل حتى ولا ان يقنع بالترفيه عن ضميره ... باعتراف سري الى سلطة عليا ، ان رجلا كهذا يجب عليه ان يساهم بموقفه وأحاديثه وكتاباته في ترسيخ القيم الاخلاقية ، والمبادىء القانونية في العقول ، تلك القيم والمبادىء التي هي قوة فرنسا وتفوق حضارتنا ،

وعلى ذلك فمنذ ٢٦ كانون الثاني هذا ، شرعت الصحافة الجزائرية بكتابة وقائع مختلفة يرد فيها ان شخصا كان يسرع في الهرب قد صرع ...

انني لا أتحدث بطبيعة الحال عن حالات ـ الارهابيين ـ والقتلة ، الذين يصرعون وهم يهربون ، انني اريد ان اتكلم فقط عن القضايا التي تستوجب فيها دورية شخصا بريئا وتقتله حين يهرب أو لا يهرب قبل ان تثبت براءته ،

فظائع بالجملة

ان اثني عشر شخصا من القتلى ، دون حسبان الجرحى قد انبطحوا في شوارع الجزائر منذ خمسين يوما ، في حين انهم ليس لديهم ما يؤاخذون عليه سوى انهم حاولوا الهروب انني اصرف النظر طبعا عن الثالث عشر من القتلى وهو الوحيد الذي ثبت انه كان ارهابيا مبحوثا عنه ، وانني اسدل الستار والصمت على قضية مجزرة الرمي بالرصاص ، التي حدثت في ٢٦ شباط في « القصبة » والتي ذهب ضحيتها ثلاثة قتلى وستة وثلاثون جريحا ، كل ذلك حسب اخبار الصحافة الجزائرية ،،

تقطيع وتشويه وتفظيع

في مطلع شباط وبعد انتهاء الاضراب ، جلب العسكريون ورجال

الشرطة في مدينة بوغاري ، الى مركز الشرطة ليلا ، ثمانية من اعيان المسلمين ، منهم المعلمان السيدان - يحيوى وبناهور - ومنهم التجار بنلنيس وسترابسلي وبناشير - ومنهم المزارعون ، وبعد عدة أيام طلب رجال الجيش في « برواعيا » من المسلمين أن ياتوا ليدفنوا جثث اخوانهم في الدين في مقبرة « شرفة » وقد أخرجت ثماني جثث من لورى ودفنت هكذا ويبدو أن يد التقطيع والتشويه والتفظيع قد تناولت هذه الجثث وعاثت فيها بحيث تعذرت معرفة أصحابها بادىء الامر : لقد كان هؤلاء الثمانية أعيان بوغارى .

واتجاه الاستياء الذي عم القطر وعدت السلطات باجراء التحقيق !! وظلت عوائل الضحايا وظل أيتامهم الستة والثلاثون ينتظرون وينتظرون وينتظرون ...

يشعر بالعار ان يكون فرنسيا :

ماذا سيكون جوابك ايها السيد الوزير اذا قال لك مسلم انه حين يرى ما يقترفه الجنود من جرائم يشعر بالعار ان يكون فرنسيا ؟ وحين يؤكد لك رب عائلة انه يخشى على اطفاله وحين يصرخ لك احد القبائل ان الخير كل الخير بعد كل هذا ان يتناول بندقيته وتكون له لذة اطلاق النار والموت ميتة رجل ؟ ماذا سيكون جوابك ؟

أما ان يقال ان جميع التحقيقات اثبتت ان الوقائع المذكورة لا وجود لها او انها مضخمة ومشوهة فذلك القول حسن من بعيد ،حينما نرى ان الاشياء بمنظار التفاؤل ، ويحرص على جعل التحقيقات الرسمية دقيقة وعدم الاهتمام بالاشياء الحية ، والحقائق النفسية والاجتماعية ، ولكن حين يكون الانسان في موقع هذه الجرائم فيسمع جميع هذه الاشاعات وحين تكون لديه أمثلة عن هذه الفظائع ، أقول حين يكون الانسان في هذا الوضع يتملكه الفزع فيقول لنفسه : ان الالمان تحت النظام النازي لم يكونوا يعرفون ، او لم يريدوا ان يعرفوا انهم كانوا ملومين على الفظائع ، وانهم كانوا يفكرون هم أيضا ان الامر لم يكن سوى اساءة استعمال السلطات لا اكثر ...

انني ارجوك ، ايها السيد الوزير ان تتفضل بقبول احترامي وتقديرى[1] .

جاك بيرك

استاذ علوم ادارة المستعمرات في كلية الحقوق بالجزائر

عميد كلية الحقوق بالجزائر

نائب رئيس مجلس جامعة الجزائر

مدير معهد المباحث الاقتصادية والاجتماعية بالجزائر

المدير الفخرى للمعهد الوطنى للدراسات القانونية والسياسية والاقتصادية بكمبوجيا

ضابط احتياط فى البحرية

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣-٤٩ تعليق وترجمة الدكتور اكرم فاضل .

انتحــارات

كثرت اخبار الانتحارات التي كانت تذيعها الصحافة الفرنسية في الجزائر باسم المقيم الجلاد لاكوست الحاكم العام الذي أصرت طبقة المتنفذين من الكولون على تعينه فانصاع لامرهــا رئيس الوزارة جي موليه وهذه الانتحارات تصنع في مقرات جنود المظلات الذيـن يمارسون التعذيب وقد سببت فضائح استنكرها الرأي العام العالمي كما شجبها وثار من اجلها الاحرار الفرنسيون ومن جرائها نظمت العرائض وسارت مسيرات الاحتجاج واني اجتزيء اخبارا منها :

انتحار العربي بن مهيدى العضو في لجنة تنسيق جبهة التحرير الوطنية والمسؤول العام عن جماعة المحامين المكلفين بالدفاع عــن المتهمين الوطنيين ،

وانتحار على بو منجل في مقرات المظليين الذي وقع بعد ثلاثة أسابيع من وفاة ابن مهيدي • والاخبار عن انتحارات مماثلة تعقب التعذيب الذي يقوم به المظليون ، وما كانت أجسام المنتحرين تسلمالى ذويهم وانما تقذف جثثهم الى حفرة عامة ويسدل الستار بكــل بساطة ••

كان لهذه الفجائع والجرائم البشعة صداها الاليم في الاوساط الفرنسية الحرة ، فان ٣٥٧ شخصية من اساتذة ورجــال قانون ومهندسين وأطباء وقسس قد بعثوا الى رئيس الجمهورية الفرنسية برسالة مفتوحة ، يلفتون فيها انتباهه الى طرق القمع التي تمارس في الجزائر ومن بين هؤلاء المستشرق لويس ماسنيون •

ويؤكد الموقعون في هذا النص انهم عقدوا العزم على اخذ المبادأة بأيديهم لجمعهم منذ أكثر من ستة شهادات كثيرة تشهد بأن الجنود الفرنسيين المرسلين الى الجزائر – يحملون دون ارادتهم على الاشتراك في اعمال يجب ان يشجبها كل ضمير انساني ويستنكرها اعــلان حقوق الانسان •

وقد ارفقت بهذه الرسالة المفتوحة اضبارات للشهادات تضمن « طرق التهدئة السليمة وتذكر هذه الرسالة « المسؤولية الجماعية التي نشترك فيها جميعا »

وجاء في الرسالة : ان غايتهم ليست البحث عن الفضيحة ، ولكن ايصال هذه الوقائع الرهيبة الى علم جميع المواطنين ، لاجل ان يثيروا فحصا ضروريا للضمير ٠ وفي الوقت نفسه يثيروا انتفاضة جديدة في الشرف الوطني ، وتبني اجراءات للسلامة العامة ، تجعل مثل هذه الوقائع مستحيلة الوقوع ، ويصرون ، قبل كل شيء على انه مهما كانت فظاعة الجرائم المرتكبة من قبل الثوار الجزائريين ، فان ذلك لا يوجد أقل معذرة لفظائع القمع التي يرتكبها الفرنسيون ، ويقولون -

« ان هذه الجرائم لا تخفف ولا تبرر بأي حال من الاحوال الجرائم التي نرتكبها نحن انفسنا هناك اجراءات في القتال تدعى جرائم حرب منذ ٩٤٨ والتي نعتقد ان ليس من حق الفرنسيين اللجوء اليها ، خشية ان يصبحوا هم أنفسهم مجرمي حرب فاذا الجئوا اليها فالواجب المحتم يقضي على كل فرنسي بفضحها » ٠

استنكار الاستاذ رنيه كابيتان

الاستاذ رنيه كابتيان استاذ في كلية الحقوق بباريس ووزير التربية في حكومة الجنرال ديغول حين علم بالجرائم التي يرتكبها الفرنسيون في الجزائر ، وكان قد اثارته حادثة علي بو منجل احد تلامتذته في كلية الحقوق وكان من أكبر محامي الجبهة ٠ فوجه هذا الاستاذ الحر رسالة الى وزير التربية احتجاجا على ما يرتكب من قمع وارهاب قال :

« أما وأن أعمالا كهذه يؤمر بها ، أو يتسامح بشأنها من قبل حكومة بلادي ضد الجزائريين ، فانني اشعر بأنني غير جدير بالتدريس في كلية الحقوق الفرنسية ٠٠٠ اعزلوني ان شئتم او ان استطعتم ، فانني سأتقبل بمنتهى الغبطة والارتياح كل ما من شأنه ان يساهم في جعل احتجاجي هذا شاملا وعلى ملأ الاشهاد وضد الوقائع والاحداث

التي تدنس فرنسا اذا ظلت فرنسا واقفة منها موقفا سلبيا »[1]
الواقع ان الجنرال ديغول الثائر الحر هو الذي انقذ شرف فرنسا وقادها الى الحق والى ضرورة ايقاف تلك المجزرة والتسليم بحق الثوار المشروع وعقد معاهدة ايفان ١٩٦٢ ٠

ان العرب ليحتفظون له بأسمى عبارات الامتنان والتقدير لمواقفه في قضية الجزائر ولمواقفه في تأييد حق العرب ضد اسرائيل ومن وراء اسرائيل ٠

(١) تلخيص من كتاب ماساة الشعب الجزائري ، سلسلة الثقافة الشعبية ترجمة اكرم فاضل ٠

رسالة احمد بومنجل الى
كوتي رئيس الجمهورية الفرنسية

باريس في ٢٥ مارت ١٩٥٧ ٠

وارسل المحامي أحمد بو منجل شقيق الشهيد علي بو منجل ، هذه الرسالة بعد ان اذاعت حكومة الجزائر خبر انتحار أخيه ٠

« سيدي رئيس الجمهورية[١] :

« لقد نقل الي التلفون توا ــ الانتحار ــ الثاني لشقيقي بو منجل علي المحامي في محاكم الجزائر ، وهذه المرة لم يدع الجيش فريسته تفلت من بين يديه ، فبعد ثلاثة واربعين يوما من التعذيبات ، والشروع الاول في الانتحار ــ فاز الجيش ببغيته ٠٠ بعد ثلاثة واربعين يوما ، انتهى الجيش الى حيث كان مقدرا لنفسه أن ينتهي ، أي انتهى الى ما اراده في البداية هناك ميكافيلية وتفنن واتقان نادرة أفضي بها الى تأملكم السامي ٠٠٠

وهذه الاسباب هي التي تدفعني الى الكتابة ، فلو ان اخي قد وقع في اية عملية « تطهير » لكنت امتنعت عن التدخل بصورة اكيدة ، ولكن الحقيقة أن هذا الاغتيال الوحشي قد وقع حين كان محتجزا تحت مسؤولية السلطات العامة التي له عليها حق الحماية ٠٠ ثم ان هذا الاغتيال الفظيع دبر ونفذ بعد ثلاثة واربعين يوما من التفكير والتهويش والتهديدات والاكاذيب والحسابات الدقيقة ٠

من قبل من ؟ لن يعرف ذلك احد ابدا ، حتى ولا لجنة تحقيق محتمل تشكيلها ٠٠٠ ومع ذلك فانني لا اسألكم تشكيل هذه اللجنة ،

---

(١) رئيس الجمهورية رينيه كوتي كان مغلوبا على أمره وكان منقادا لجي موليه وللكون في الجزائر ٠

ولكني ، يا سيدي رئيس الجمهورية ، قد اتخذت الحيطة فابرقت لكم بتاريخ ١٢ شباط ١٩٥٧ ـ بعد ثلاثة أيام من حجز شقيقي ، الباش ، حين خشيت عليه الاغتيال واختفاء جثته ، وقد اندفعت في سذاجتي الى حد سؤالكم احالة القضية الى حاكم التحقيق وكان انئذ ما يزال في الوقت متسع ، ما دام الانتحار الاول قد خاب قبل ليلة واحدة ، ان هذه البرقية التي وجهتها في الوقت نفسه الى الوزراء المسؤولين في الجزائر ، والى وزير الدفاع الوطني والى الجنرال ـ ماسو ـ الذي يقود الجيوش الفرنسية في الجزائر ، هذه البرقية ظلت ـ طبعا ـ بدون جواب ، وبدون نتيجة ، لان العدالة اخذت مجراها !! لقد أخذت العدالة مجراها في أحسن شكل ، ما دام شقيقي التعس ، بريد اقامته عشرين يوما في المستشفى قد سلم الى المظليين من جديد في ٢٨ شباط ١٩٥٧ للفتك به ٠

وخلال هذه الفترة ، وجدت سلطات البوليس نفسها تجـاه اضبارة خالية من كل اتهامات خطيرة ٠ فأتخذت ضده وضد جميع محامي الجزائر المسلمين قرارا بحجزه ، وهي مناورة بارعة لا أدري هل كانت لتهدئة ثائرة الصحافة والرأي العام التي شرعت بتوجيه الاسئلة أم لتغطية حرب البوليس[1] ؟٠

انني ادع لكم حرية حل هذا اللغز الذي هو رغم ذلك لا اهمية له ٠ والواقع ان قرار الحجز الذي كان مقدرا ان يبلغ به ، لم يبلغ به مطلقا ، وبطبيعة الحال لم ينفذ قطعـا ٠ لقـد احتفظ الجيش بفريسته ٠٠

وفي ١٠ مارت ١٩٥٧ ابرقت اليكم كما ابرقت في الوقت ذاته وللمرة الثانية الى الوزراء بالعبارة التالية :

« انني الفت انتباهكم الى حالة شقيقي المفجعة بو منجل علي المحامي في محاكم الجزائر والمسلم الى المظليين منذ ٩ شباط ١٩٥٧ عائلته يستحيل عليها معرفة حجزه كما يستحيل عليها تنظيم دفاع عنه رغم تدخل نقيب المحامين ، لقد التمستكم عبثا ببرقيتي المؤرخة ١٢ شباط ١٩٥٧ باحالة القضية الى حاكم التحقيق ، هناك مؤامرة تدبر في مقرات المظليين التأديبية ، لالباس الاغتيال ثياب الشـروع بالانتحار ، والضرورة تقضي بنقله الى مستشفى للعلاج النفسي ،

(١) كانت حكومة الارهاب في الجزائر اصدرت قرارا بايقاف كل محامي عربي مسلم يدافع عن سجين أو موقوف من الثوار ، وكذلك توقيف كل طبيب يعالج ثائرا ٠

لقد اعلن الراديو كما اعلنت الصحف صدور اعترافات منه بعد شهر من ارتكاب الاعمال العنيفة المرعبة ضده ، لقد انتهى دور المظليين بعد انتزاع الاعترافات ، اسمح لنفسي بتجديد طلبي المؤرخ ١٢ شباط بأحالة التحقيق الى الحاكم المختص لتطبيق القانون ٠٠ لي الشرف مبدئيا ٠ وللاستفادة من المدة اذ اسجل شكرى ضد ٠٠٠ للحجز ومحاولة القتل اللانسانية التي تذكر بأعمال الغزو العسكري لعام ١٨٣٠ ٠

أحمد بو منجل

لم يعقب هذه البرقية حتى ولا اعلام بسيط بالاستلام ، لا من قبلكم ولا من قبل وزرائكم وبعد كل ذلك فلم تكن أكثر من قصاصة تلقى في سلة المهملات ٠

ومع ذلك ، فقد ظننت أنني اكتشفت في أحد خطابات الوزير المقيم ، وهو الخطاب الذي القاه من على منبر الجمعية الوطنية ، يوم الخميس المصادف ٢٢ مارت ، ان مخاوفي كانت مفرطة ٠٠

واليكم الخطاب :

« ماذا ينبغي أن نتصور من هذا المحامي المسلم ، الذي يتهم قوات النظام بأرتكابها اعمالا وحشية ضد احد اخوانه ، ادت به الى الجنون ؟ ان هذه الضحية المزعومة بعد الشروع بالانتحار الذي اكده التحقيق ، قد فرضت عليه الاقامة في مكان معين بكل بساطة ٠٠ ويجب أن نفكر بكل بساطة ان « المحامي المسلم » حين تكلم عن الجنون كان متجنيا على الحقيقة ٠٠

والواقع بعد ثلاثة أيام من القاء هذا التصريح الرسمي الذي كنا محقين بظنه مهدئا كانت المأساة ، ولاجل زيادة هذا الانتحار كمالا ، لم يبق الا رفض تسليم الجثة الى ذويها ٠٠ وذلك بقذفها الى حفرة عامة ٠٠

لابد انكم تقدرون ، يا سيدي رئيس الجمهورية ، ان المسلمين وقد بلغ بهم الامر الى هذا الحد لابد ان يكون غضبهم قد تفاقم الى حد خطير ٠٠٠

انني اسجل بكل بساطة هذه الملاحظة وهي ان الحكومة ، لو كان لها بقية احترام للكرامة البشرية ، ليس فقط بمجرد الكلمات

ولكن بالاعمال ، لكانت اصاخت بسمعها الى الطلب المشروع الذي تقدمت به منذ ١٢ شباط ، انها لو فعلت لانتزعت شقيقي من براثن المظليين بحجزه في معتقل ، او على أقل تقدير بأيداعه الى حــاكم التحقيق ، ولكان شقيقي الذي لم يكن له من العمر سوى ٣٨عاما بقى في قيد الحياة ، ولما درج على أرض الجزائر اربعة أيتام آخرين لم يزد اكبرهم سنا على سبع سنين . انني انتمي الى اصل يحسن التذكر وان هؤلاء الصبية الاربعة يحسنون نقل الرسالة التي ادع لكم ان تحرزوا كنهها . »

قصة اختطاف الزعماء الخمسة

بقلم : جي ، اى • تورنو
ترجمة د• اكرم فاضل :

المأساة :

لقد بلغ الاستعمار الفرنسي اوج لا اخلاقيته يوم اقدم على قرصنة جوية ، لم تكن سابقة في اختطاف الزعماء المغاوير ، اذ كانوا ضيوفا على الملك محمد الخامس من جهة ، وكانوا يستقبلون مبعوثي « جي موليه » السريين من جهة أخرى ••

كان العسكريون الفرنسيون في الجزائر ، يعملون دون علم باريس وعلم المقيم الفرنسي الجلاد « لاكوست » ولكن لاكوست اقر هؤلاء السادة العبيد الذين داسوا على القانون الدولي بأرجلهم وتحمس لهم وتبنى •• فعلتهم ••

وبهت « جي موليه »[1] في باريس لانه كان يتهيأ لعملية انكر هي الاخرى أعني حملة السويس ولكنه اذعن أخيرا وشمل الفاعلين برعايته •

وذعر « رينه كوتي » رئيس الجمهورية ، ولكن سرعان ما بدا له وجه الصواب الاستعماري فزين الجريمة بنعتها مصلحة الدولة العليا • وهكذا يكون الانحلال : عسكريون يعملون من تلقاء عسكريتهم ، ومقيم غير مطلع ، ولكنه يبارك الاجرام ، ورئيس وزراء امعة ورئيس جمهورية ـ خليفة في قفص بين وصيف وبغا ـ وهكذا يكون الانحلال •

هناك رجل واحد بارز في وزارة الخارجية الفرنسية استقال ووضع ضميره على راحة يديه هو (ألان سافاري) ولكن كما يقول

---

(١) رئيس الوزراء ورئيس الحزب الاشتراكي ، والذى كان العوبة بيد الكولون وتحت ضغط الجيش •

المثل التركي زهرة واحدة لا تطلع ربيعا ، اما الابطال الجزائريون الخمسة ، فقد اظهروا من الجلادة وقفة وكلاما وتصرفا ما يجعلهم في مصاف الخالدين •

جي موليه ولاكوست هالك ورينيه كرتي هالك لا شيء ، اما الجزائر فستحيا الى الابد •

قال أحد المسؤولين الفرنسيين لصاحبه :

ـ ضربة هائلة ، ايها السكرتير العام ، ففي خلال لحظة سيمر « الزعماء الجزائريون » بالطائرة فوق رؤوسنا فيجب ان نوقعهم في الفخ •

ـ تقول : الزعماء الجزائريون ؟ مستحيل ! كيف ذلك ؟

ـ هكذا سيطير السلطان في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين من قاعدة ساليه مع الزعماء الخمسة وسيحضرون مؤتمر تونس ، وستحلق الطائرة فوق الاقليم الجزائري •

ـ يستحيل علينا ان ننظر واقعنا في الهواء مرور هؤلاء السادة ، ومع ذلك فان الطائرة طائرة عاهل أجنبي ، والحصانة تلعب دورها •

ـ كيف أوضح هذه الامور الدقيقة الى الهابطين والطائرين ؟ سيتهموننا بالخيانة •

ـ يجب ان نحزم أمرنا ونستقر على رأي •

مخابرة تلفونية الى الجنرال فراندون ، قائد المنظمة الخامسة الجوية ، والواقع ان الجنرال فراندون كان مطلعا على كل شيء منذ الليلة المنصرمة ، اما الكولونيل جيرمان رئيس منظمة مكافحة الجاسوسية في مدينة الجزائر فقد باشر العمل •

وقد أطلعت المنطقة الخامسة على القضية ، مبادأة ، ان القيادة العليا لا تظهر الا حماسا معتدلا « ان القضية تخص الحكومة ، من شأن الحكومة

وفي ٢٢ تشرين الاول ١٩٥٦ كان للاكوست دور وكان يتنقل في انحاء المديرية ولا يمكن الوصول اليه بسرعة ـ « في الاغلب كان قد اصطنع السفر » •

أما هنري لاكوست وزير الطيران فانه يقوم بزيارة رسمية الى لشبونه ، واما بورجيس مونوري وزير الدفاع الوطني فقد غادر محل اقامته فجرا ليذهب مع مدير مكتبه أبيل توماس الى لندن حيث اعدادات حملة السويس على قدم وساق •

وقد تلقى آبيل توماس في الساعة السابعة صباحا ، لحظة رحيله ، مخابرة تلفونية من القيادة العليا تعلن مرور الطيارة الملكية في السماء الجزائرية نهارا مع المسافرين الثوار ..

ـ انه استفزاز ، ان الجيش لا يستطيع أن يقف مكتوف الايدي . ما العمل ؟ انها مسؤولية حكومة الجزائر . استقروا على رأي ، واتخذوا الاجراءات التي ترونها مناسبة ، طبقا للقانون الدولى والتعليمات العامة التي تخص أمن الحدود .

وأخيرا التحق الجنرال لوريو في باريس بماكس لوجون . ودون تردد أعطى قائد القوات المسلحة الامر بأطلاق النار الخضراء في مدينة الجزائر ، وظل على اتصال مع الجنرال كوني القائد الاعلى للقوات في مراكش ،

وتفاديا لكل الطوارىء ، أعطي الامر بأيقاف طائرة السلطان ، بزعم ان الطائرة التي تحلق فوق الجزائر لم تبلغ السلطات الفرنسية بتحليقها ، وهي مخالفة لانظمة المرور الجوي ، علاوة على وجـود تعليمات دائمة من مدينة الجزائر تقضي بأمكانية فتح النار على كل طائرة تحلق في الاقليم الجزائري دون ترخيص .

الساعة العاشرة والنصف : كانت منطقة الدفاع الجوي ، تحت امرة الجنرال ديتاباك على اتصال شبه رسمي بكل المعلومات عن طائرة السلطان واوصافها ونوعية طيرانها في الساعة الحادية عشرة والنصف نقلت هذه المعلومات بصورة رسمية وتلفنت المنطقة الخامسة المطاردة ، وكانت أجهزة الرادار تتبع الطائرة خلال تحليقها في الفضاء الجزائري دون انقطاع .

وفي الوقت نفسه كانت سلطات مدينة الجزائر تعلم بان الزعماء الخمسة يستقلون طائرة من نوع دي سي ٣ .

والواقع ان الزعماء الجزائريين ، قد اخذوا مواضعهم أخيرا في طائرة تجارية وضعت تحت تصرفهم من قبل الحكومة المغربية .

وفي مدينة الجزائر كانت فكرة اسر بن بلا تأخذ طريقها الى التنفيذ وهي تؤجج المخيلات بالحمى ، انها الفرصة أو غير الفرصة الى الابد لاصابة الثورة بضربة قطيعة ،

الساعة ١٣ : مركز المراقبة لمنطقة لاميزون بلانش ، يشير الى وجود طائرة دي سي ٣ ف او بي فيه ، ستقوم بتحقيق ، حسب خطة الطيران ه المسافة بين كازابلانكا ـ ساليه ـ تونس . انذار في كل

مكان • طيران الطائرة دي سي ٣ تغير فاصبح طريق جزائر البليار ، وذلك لئلا تلتقط الاصوات في مدينة الجزائر •
فلم يسقط في يد مركز المراقبة لمدينة الجزائر ، بل انخرط دون تباطؤ في طول الموجات الاسباني •
الساعة ١٥ : جميع محطات الرادار في دور الاصغاء
الساعة ١٦ : تدخل وهران في اتصال مع القيادة الفرنسية للطائرة دي سي٣ وحينئذ يبدأ الحوار التالي :
وهران : تذرعوا بوجود خلل • اهبطوا في وهران •
الطائرة دي سي ٣ : ما هذه الحكاية ؟••
وهران : لديكم خمسة ثوار على الطائرة • نريدهم •
اعطيت حينئذ هويات زعماء الوطنية الاربعة للربابنة الذين يظهر انهم كانوا لايعرفونهم •
الطائرة دي سي٣ :« من ينقل الامر ؟ »
وهران : « وزارة الدفاع الوطني » •
تردد عميق يخيم على مقصورة القيادة
الساعة ١٦ والدقيقة ٣٠ : جواب ناقص من الطائرة : انتظروا •
الساعة ١٨ : الطائرة تقلع وتعطي اشارة الى الشركة الشريفية الوصول المرتقب مدينة تونس لساعة ٢١ و ٢٥ دقيقة •
خيبة امل في مدينة الجزائر ، العملية لم تسر على ما يرام
برج المراقبة لميزون بلانش يتصل بوهران
مدينة الجزائر : اهبطوا في مدينة الجزائر ،
الطائرة : « باسم من تتكلمون ؟ »
مدينة الجزائر : « باسم الحكومة الفرنسية »
الطائرة « تطلب تحديدات »
مدينة الجزائر : باسم الحكومة الفرنسية ، أمر لاكوست ، وزير الجزائر •
الطائرة : نحن نعود لشركة اجنبية • هذه الاوامر لا تخصنا •
مدينة الجزائر : « نريد الثوار الخمسة »
الطائرة تظل تجيب جوابا مجمجما
اخبر قائد الطائرة شركته ، بالامر الذي تلقاه • ونقلت الرسالة الى السلطات المراكشية لتلقي التعليمات • فأعطت الشركة

الشريفية للنقل الامر فورا الى الربابنــة بالعودة الى « بالما » ولكن الرقابة العسكرية شوشت على المخابرات واوقفتها : والرباط انعزلت فلم تعد تعلم شيئا :

الساعة ١٩ : الطائرة تطلب من مدينة الجزائر السماح بالعودة الى مراكش ٠

« تعالوا الى مدينة الجزائر ٠٠٠ هلموا الى مدينة الجزائر » ٠

الصوت المجهول من برج المراقبة في لاميزون بلانش ليشتــد الحاحه من دقيقة لاخرى ٠

« تعالوا الى مدينة الجزائر ٠٠٠ أمر الحكومــة بالهبــوط في مدينة الجزائر ٠

نكرر « نامركم ٠٠ نامركم »

الساعة ١٩ والدقيقة ٣٠ : الطائرة تطلب للمرة الثانية السماح لها بالعودة الى مراكش

الساعة ٢٠ مدينة الجزائر تقــرر نهائيا الرفض بالعــودة الى مراكش :

اهبطوا في مدينة الجزائر الوزير يحميكم ٠٠٠

وفي الجو كانت طائرات ، وفي البحر كانت سفن تتعقب بحماس المخابرات الجارية بوضوح ،

الطائرة وعوائلنا المقيمة في مراكش ؟

مدينة الجزائر : « سنهتم بشأنها في الحال سنضعها في مكان أمين » ٠

الطائرة : ولكننا معنا مسافرين ايضا ، وخصوصــا صحفيين اجانب ٠

مدينة الجزائر : لاتقلقوا من هذه الناحية ٠٠٠

الطائرة : « واذا كان الثائرون مسلحين ؟ »

مدينة الجزائر « اطمئنوا من هذه الجهة ايضا كل الاطمئنان»

وتظاهرت مضيفة الجو بتصفيف الاوراق في جيوب المقاعد ، ولمحت مدافع سوداء ومن جانب بن بلا رشيشة ٠

وسألت الطائرة لاميزون بلانش ٠

« ما عسى ان نصنع اذا احسوا باننا وصلنا فوق مدينة الجزائر واذا وضعوا اسلحتهم في ظهر الربان ؟

مدينة الجزائر « بوجود الطائرات المطاردة تستطيعون التحجج بضرورة الهبوط »

وشرع الليل يرخي سدوله على البحر الابيض المتوسـط ، ومضت طائرة من شركة اير فرانس الى عرض البحر واطقت رسالة:

« مرحى : ايها الفتيان لا ترددوا ! واصلوا · اننا بقلوبنا معكم » ·

« امر باطلاق النار على المحرك الايمن اذا ··· »

القصة لم تنته بعد ·

رادارات الجزائر تعتقد ان الطائرة تحاول الوصـول الى مراكش ·

تنطلق ميسترال وطائرة بي ٢٦ من وهران ،

اجراء لمحض التخويف ، علما بان الطائرة دي س ٣ ستلتقط ايضا الرسالة ··

والقيادة العليا للطيران تطلق أمرها الصريح باطلاق النار على المحرك الايمن اذا حاولت الطائرة الهروب ·

الجنرال فراندون ، والكولونيل دي لاسورس ، ورئيس في القيادة العليا الجنرال دى ماركو ، قائد الطيران في الجزائر يتتبعون جريان العملية ثانية فثانية ، وفي دار الحكومة بمدينـة الجزائر يتقلب شوساد وديكو رنو وبرانيه على جمر الغضى وها هم يندفعـون الى المطار حيث طائرة لاكوست يعلن عنها فى نهاية اليوم · وما ان وضع الوزير قدمه على الارض حتى هتف : عظيم ! رائع يا لها من قصة ، انها نازلة صاعقة من الله ·

ـ ايها السيد الوزير ، يحتمل ان يكون الآمر المضاد قد اعطى·

ـ لقد فات الاوان ان بن بـلا فوق الجزائر · ان قسما كبيرا من الجيش قد اطلع على الامر ، وان الذين يقاتلون فى البلد سيعرفون كل شيء غدا ، ان هـذه القضية ستخلق لي مشاكل ومتاعب كثيرة ، ولكن زعمـاء الثورة موجودون فوق الاقليم الفرنسي انهـم يمضون على تناول يدى ، ونحن في حالة حرب ، وفي الحالة الكائنة فيهـا القضية يملي علي واجبى بتوقيفهم وها اننى موقفهم ·

لاكوست يتلفن للجنرال فراندون :

« ما هو القانون الجوي في مثل هذه الحالة لاجل ارغام طائـرة على الهبوط ؟

« استطيع اعطاء الامر باطلاق النار على المحرك الايمن » ·

اطلقوا النار اذا اقتضت الضرورة ، ولكن كلا ، لا تطلقوا خشية وقوع حادث لا اريـد ان أتحمل تبعة قتل زعمـاء الجبهة الوطنية ، وكذلك الربابنة والمسافرين في الوقت نفسه · فسيعاملنا العالم كله حينئذ معاملة القتلة السفاكين ، ويقول اننا دمرنا طائرة ببرودة دم ، فاذا رفضت الطائرة الامتثال فاحيطوها وحاصروها بالمطاردات الطائرة

دي‌سي ٣ تتهيأ للنزول في لاميزون بلانش · ولكنها متقدمة عن الموعد المضروب لوصولها تونس ، فتدور دورة لاجل عدم تنبيه المسافرين ·

وفي هذه الليلة المقمرة ، كان القمر يظهر طورا من يمين الطائرة، وتارة من شمالها · فهل لاحظ احد الزعماء الجزائريين المناورة البشعة ؟

اسدلت المضيفة الستائر ، وشرعت تلعب بالورق مع الجزائريين·

الطائرة تخبر لاميزون بلانش « بانها تحلق فوق شرشل ، وان كل شيء على ما يرام على ظهر الطائرة ، ولم يشعر احد بالمكيدة ، فهل اتخذت اجراءات الامن على الارض ؟

مدينة الجزائر : « لقد حسب حساب كل شيء »

الساعة ٢١ والدقيقة ١٠ « شدوا احزمتكم ، ايتها السـيدات والسادة فاننا نقترب من مدينة تونس »

الساعة ٢١ والدقيقة ٢٠ الطائرة دي سي ٣ تهبط

وهبطت الطائرة محاصرة من كل الجهات بسـيارات جيب ورشاشات · فاكتشف الزعماء اللعبة بعد فوات الاوان وهم يتبينون وجوه الجنود الفرنسيين في ارض المطار ·

توقفت الطائرة بشدة وانقطع التنوير الـداخلي ، وسـلطت مسلطات الضوء اضواءها على الطائرة وقطع باب الاتصال الداخلي وقفز الربابنة من فتحة النجدة ·

وبرز الكولونيل اندر آمر الطيران مع رجاله وفي يده رشيشة وهو يقول « ارفعوا ايديكم »

حوصر اعضاء جبهة التحرير الوطنية

وفي سيارة المساجين كان افراد شرطة الامن ينادون :

— بن بلا

- حاضر

ثم اردف بثقة واطمئنان . قضي الامر وكانت العملية بارعة متقنة ، وما كنت اعتقد ان الفرنسيين خليقون بهذا العمل ،

« توقيفنا لن يغير شيئا »

استجوب مدير الاستخبارات روزي ، بن بلا استجوابا طويلا واجابه بن بلا باعتزاز بنفسه لديكم تشكيلات على احسن ما يرام وسيكون لنا مثلها نحن ايضا بعد انتصارنا ، سننشيء استخبارات حسنة ،

قال جي موليه بعد علمه بالخبر : هذا غير ممكن ، اذا حدث فانه جنون ، وطلب سافاري مدينة الجزائر دون جدوى ..

من السلطان الى جي موليه الى كوتي : « انها مسألة شرف »

« ألان سافاري » يقابل جي موليه وهو يقيم عشاء على شرف جرونتر . ويبدو رئيس الوزراء منهمكا لانه يدبر حملة السويس ، ويهيء انذار لمصر ، ويصل بورجيس مونوري من لندن مبشرا بقرب وقوع حملة السويس ، ويذهب موليه الى رئيس الجمهورية الذي يقابل الوزراء في ثوب غرفة النوم ويقول « لقد تلطخ شرفنا بالعار »

ويقول ماكس لوجون « نحن في حالة حرب ، وان جنودا فرنسيين يقتلون في كل يوم انني مكلف بالقيام بالحرب » . وانا اقوم بالحرب اليوم كما كنت اقوم بها في الايام الخوالي » . كان هذا جوابه الى كوتي وموليه فيسانده بورجيس مودوري ويعارض باطلاق سراح الاسرى الذي يطالب به سافاري .

ويأخذ رئيس الوزراء ماكس لوجون على انفراد ويقول له :

- انك حرضت على حملة السويس ، ولكن هل وزنت عواقب التوقيف ؟

علاوة على ذلك فان ما سنقوم به من السويس سيثير مشاعر العرب . انك تزيد صعوبتنا في احرج لحظة .

في تونس هياج ، وفي مراكش يقطع الملك محمد الخامس عشاءه ويصعد الى غرفته ويعرب عن حزنه واسفه ، واخيرا يتلفن الى كوتي قائلا :

- ان الجزائريين كانوا موضوعين تحت حمايتي ، لقد انتهكت ضيافتي ، انت تعرف الروح الاسلامية ، انها قضية شرف ، انني مستعد لاعطاء ولدي رهينة بدلهم ،

خلف تلاحق هذه المشاهد حيث المفجع والمضحك يسيران جنبا الى جنب ما هو مع ذلك اساس القضية ؟

ان الواقعة الخطرة ليست توقيف الزعماء ، ولكن اجهاض مؤتمر تونس ، الذي كان على وشك اعلان الوحدة المغربية ، ومن وجهة النظر هذه نستطيع ان نقرر ، ان اسر الجزائريين قد غير مجرى الحوادث ، وان الوثائق لا تدع اي شك حول هذا الموضوع ،

ولنعد عودة قصيرة الى الوراء • ان بن بلا ومحمد خيضر واحمد حسين ، ومحمد بوضياف ومصطفى الاشرف ، قد ذهبوا الى تونس للاشتراك على قدم المساواة مع الزعماء التونسيين والمراكشيين • لوضع اتحاد افريقيا الشمالية لغرض انشاء وضع لا يمكن الرجوع عنه في اتجاه اعلان استقلال الدولة الجزائرية ، وذلك يقتضي اعلان تاريخ رسمي امام العالم اجمع بحضور السلطان ورئيس الجمهورية التونسية لاجل حمل فرنسا على الانحناء تدريجيا امام الامر الواقع ، وعلاوة على ذلك فان عدة اعضاء من القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني ينتظرون في القاهرة ،

– جي موليه : « الشخص باق بايدينا »

مرة اخرى ، ما هو جوهر القضية ؟

لقد اقام الامير مولاي الحسن[1] اقامة طويلة في باريس حيث رأى كثيرا من الشخصيات زعماء الاحزاب ، كونت باريس ،الجنرال دي غول ، وتحدث احاديث عديدة مع رؤساء سياسيين ، واستخلص الامير انطباعا ان الوضع الفرنسى مستعد لتقبل حركة تتفجر لصالح الاستقلال الجزائري •

وقد راوغ جي موليه ، فاظهر انه مستعد لمفاوضة الجزائريين

ويعود وارث العرش الى مراكش ، وقد عزم على المضى قدما في مساعيه ، ولكنه ادرك بعدئذ المعنى الدقيق لجملة خفية نطق بها امامه بورجيس مونوري وهي : « ان تسوية القضية الجزائرية ستصل الى نقطة تشرين الاول او بداية تشرين الثاني ،

---

(١) ولي عهد المملكة المغربية الشريفية يوم ذاك •

وكان يعني بها السويس التي كانت في دور الاعداد[٣] ٠

هاجت تونس ، وانفجرت مكانس ، وفي القصر الجمهوري رجع رنيه كوتي عن استنكاره لهذه القرصنة ، الجوية ، ووعد بحماية مدبريها ومنفذيها ٠

فاجابه موليه : نعم احميهم لمصحة الدولة العليا ٠

واستقال سافاري لان العملية كما يقول انتهاك لسلطة الدولة واخطار على وجود مواطنين في مراكش وتونس ، وضربة على كرامة السلطان أمام شعبه ، وأزمة في التعاون الاداري ٠٠٠ وابتعاد عن حل المشكلة الجزائرية ٠

اما لاكوست فيحمل الرأي المضاد ، «اصابة الثورة المضادة اصابة عنيفة ، وثائق خطيرة للغاية قد قبض عليها ، من بينها رسالة مخطوطة تشير الى ان الامير مولاي الحسن يقترح التنازل عن اسلحة الى الثوار الجزائريين ، تقرير عام عن جبهة التحرير الوطنية في فرنسا محاضر اجتماعات ، كافة شيفرات جبهة التحرير الوطنية » ٠

---

(٣) لم يرتكب رئيس وزارة حماقة في حق امته كحماقة جي موليه في ارتكابه حماقتين لا حماقة واحدة ادتا الى ضياع سمعة الحكومة الفرنسية ومرغت كرامتها وانزلتها الى الحضيض ٠

الحماقة الاولى ، القرصنة السافلة في اجبار طائرة الزعماء على الهبوط في مطار الجزائر واعتقال الزعماء ٠

والحماقة الثانية الغزو الثلاثي على الجمهورية العربية المتحدة ذلك الغزو الذي استنكره العالم وسخط له الشعب الفرنسي نفسه كما استنكره احرار العالم باسره ، وأدى الى ضياع جي موليه نهائيا كما ادى ذلك الغزو الى انهيار اعصاب المستر ايدن واختفائه عن العالم في جزيرة نائية ٠

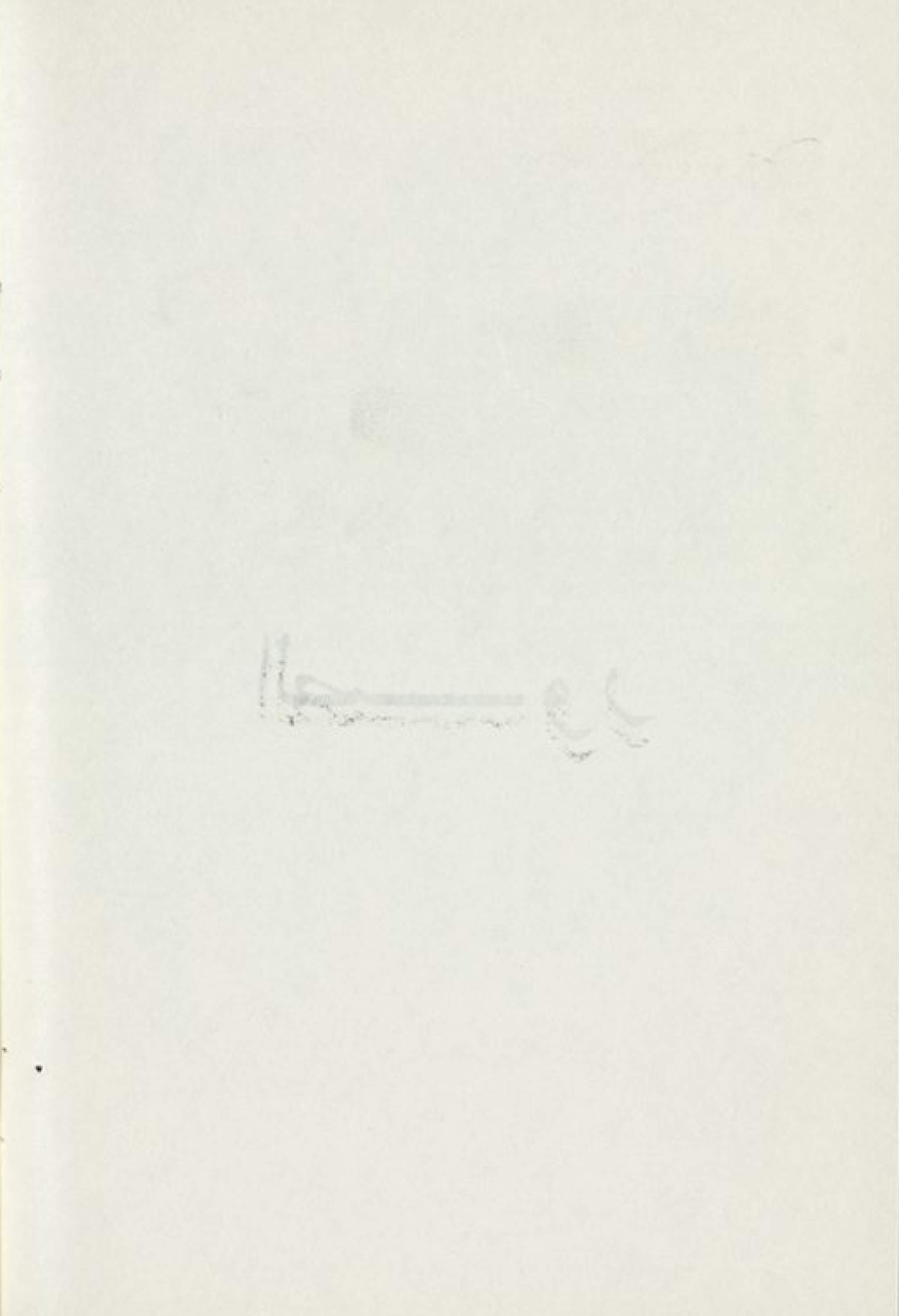
مراجع الكتاب

١ ـ تأريخ بن خلدون الموسوم ـ بديوان المبتدأ والخبر ـ الجزء الرابع ـ الخاصة بالاندلس والشمال الافريقي ·
٢ ـ تأريخ الجزائر للاستاذ احمد توفيق المدني
٣ ـ المجمعيون للاستاذ مهدي علام
٤ ـ تحفة الزائر في تاريخ الامير عبدالقادر الجزائري ·للامير محمد باشا الجزائري
٥ ـ تطور السياسة الفرنسية في الجزائر للدكتور صلاح العقاد
٦ ـ المغرب العربي لعلال الفاسي
٧ ـ المغرب في بداية العصور الحديثة للدكتور صلاح العقاد
٨ ـ الحركة الادبية والفكرية في تونس ،
٩ ـ عيون البصائر للشيخ البشير الابراهيمي ،
١٠ـ مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الحادي والعشرون
١١ـ حاضر المغرب العربي لعلال الفاسي
١٢ـ جوانب من الحياة العقلية والفكرية في الجزائر لطه الحاجري
١٣ـ ثورة الجزائر لعلي الشلقاني
١٤ـ الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة· للاستاذين حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي
١٥ـ أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر · لمسعود مجاهدي الجزائري
١٦ـ هذه هي الجزائر بقلم حسين تركي (من كتب اخترنا لـك الكتاب الخامس والخمسون)
١٧ـ السياسة العربية المعاصرة تأليف جورج كيرك ترجمة عبد الواحد الامبابي ومحمد الخول
١٨ـ ادباء من الجزائر ابراهيم الكيلاني ـ سلسلة اقرأ ـ ١٩٢

١٩ـ مجلة المجلة ـ العدد ٦٢ سنة ١٩٦٢
٢٠ـ الشقاء في خطر ديوان مالك حداد ترجمة ملك العيسى
٢١ـ ديوان صالح الخرفي
٢٢ـ القلقون لآسيا الجبار ـ الجزائرية ترجمة منذر الجابرى حلب
٢٣ـ٢٤ النصوص الادبية ، الجزء الثالث والجزء الرابع تأليف علي صالح رمضان الجزائرى وتوفيق محمد شاهين ٠
٢٥ـ محاضرت في الشعر العراقي عبدالكريم الدجيلي في معهد الدراسات فى القاهرة ٠
٢٦ـ نقد وتعريف للاستاذ عبدالله الجبوري ـ بغداد
٢٧ـ تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير دار الكتاب الجزائري
٢٩ـ منشورات المحافظة السياسية وطنك العربي الجزائر
٣٠ـ المغرب العربي ، الجزائر ،
٣١ـ هذه هى الجزائر المسلمة وزارة الاوقاف الجزائرية سنة ١٩٦٧
٣٢ـ مجلة الجيش الجزائرى عدد خاص بالذكرى الثالثة عشرة للجيش الجزائرى ٠
٣٣ـ مجلة المجاهد بمناسبة ذكرى الثورة الخامسة عشرة ٢٤تشرين الثانى ١٩٦٨
٣٤ـ ديوان الاستاذ بهجة الاثري مخطوط بجزئين
٣٥ـ ديوان حافظ جميل اللهب المقفى ـ وزارة الثقافة والارشاد بغداد
٣٦ـ لهيب الكفاح خالد الشواف
٣٧ـ حداء وغناء خالد الشواف
٣٨ـ ديوان الجواهري بيروت
٣٩ـ ديوان محمد علي اليعقوبي النجف
٤٠ـ ديوان أشباح وظلال ٠ عبدالله الجبورى بغداد
٤١ـ ديوان طالب الحيدري
٤٢ـ ديوان نازك الملائكة
٣٤ـ ديوان عاتكة الخزرجي انفاس السحر
٤٤ـ مجلة « العربي » العدد ١٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٨ الكويت

٤٥ـ الاعلام للزركلي « ترجمة عبدالحميد بن باديس »
٤٦ـ الاعلام للزركلي
٤٧ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة
٤٨ـ الرحلة المغربية تاليف العبدري البلنسي تحقيق احمد جدو
٤٩ـ ديوان محمد العيد
٥٠ـ ديوان اللهب المقدس مفدي زكريا
٥١ـ ثم مات الليل للاستاذ شاذل طاقه .
٥٢ـ ماساة الشعب الجزائري . السلسلة الثقافية الشعبية وزارة الثقافة والارشاد
٥٣ـ القضية الجزائرية في عامها السابع السلسلة الثقافية الشعبية عدد ٢٥
٥٤ـ جريدة الحرية البغدادية ٥٩ـ١٩٦١
٥٥ـ جريدة الزمان من ٥٩ـ١٩٦١
٥٦ـ الوقائع العراقية ٥٩ـ١٩٦١
٥٧ـ جريدة البلاد ٥٩ـ١٩٦٠
٥٨ـ مجلة المجلة العدد ٤٨
٥٩ـ من شعري للاستاذ نعمان الكنعاني
٦٠ـ معجزة العروبة مصطفى نعمان البدري
٦١ـ أدباء من الجزائر الدكتور ابراهيم الكيلاني سلسلة اقرأ الرقم ١٩٢
٦٢ـ الفجر آت يا عراق ، للاستاذ هلال ناجي .
٦٣ـ عشت مع الجزائر لسعد زغلول
٦٤ـ تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية للاستاذ محمد رفعة
٦٥ـ تاريخ العالم العربي الحديث الدكتور جلال يحى
٦٦ـ شعراء من الجزائر الحلقة الاولى لصالح الخرفي ١٩٦٩
٦٧ـ الحركة الوطنية مطبعة دار الآداب .
٦٨ـ ديوان ابي القاسم سعدالله دار الآداب .
٦٩ـ الجزائر من ١٩٠٠ـ١٩٣٢ اطروحة ابي القاسم سعد الله ، القسم السياسي ، دار الملايين بيروت .
٧٠ـ ديوان همسات وصرخات لمحمد الاخضر السائحي

الصـــــور

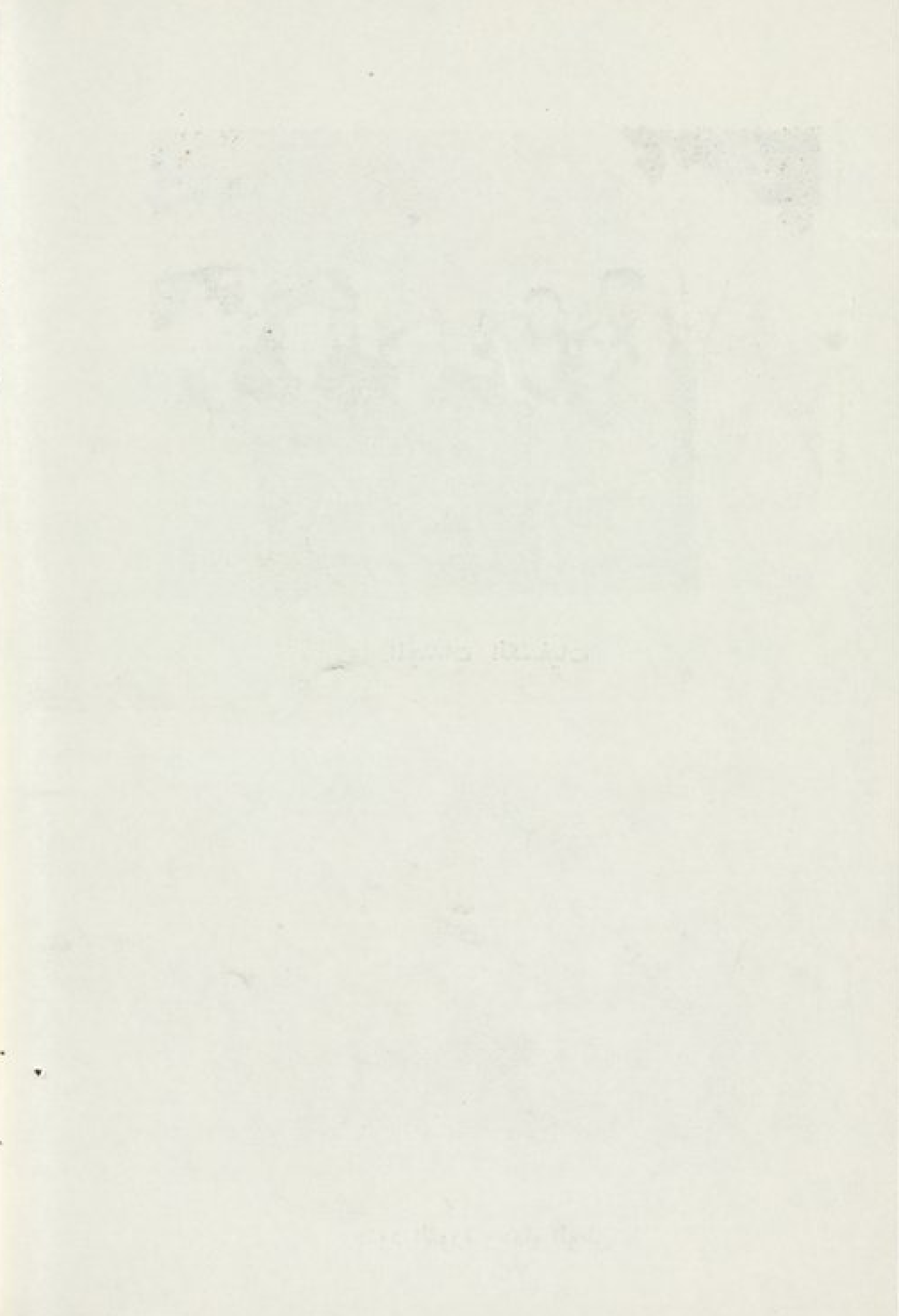


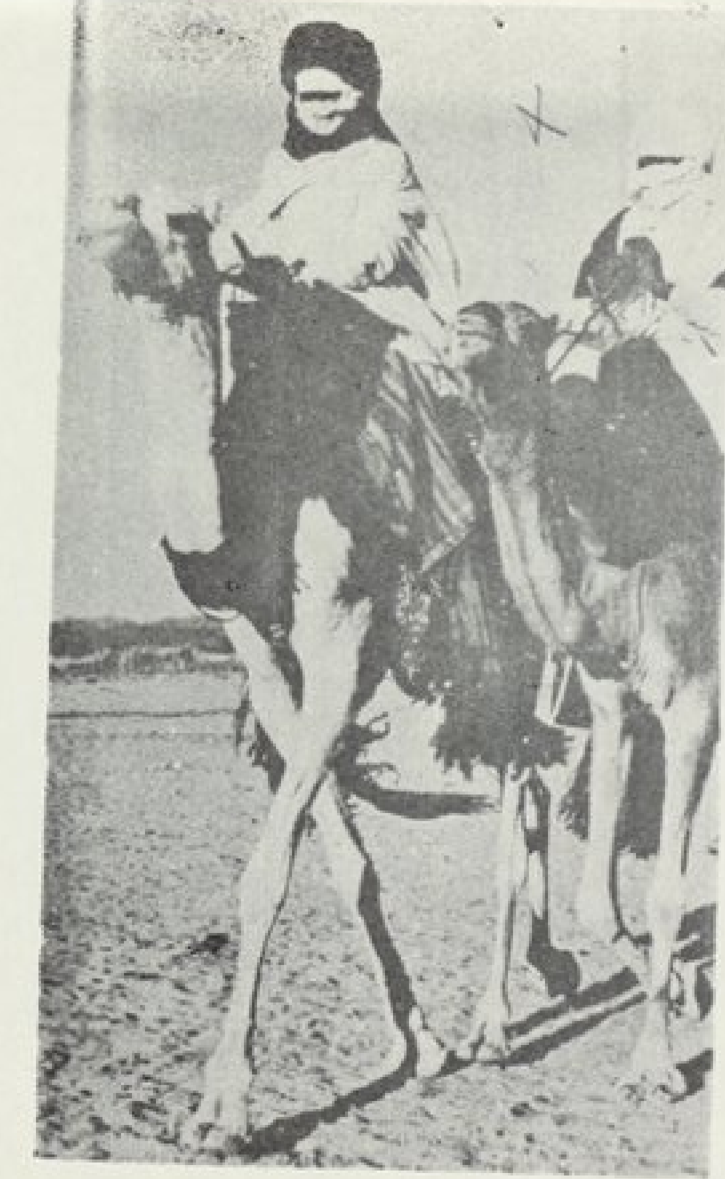


المجندات الكشفيات



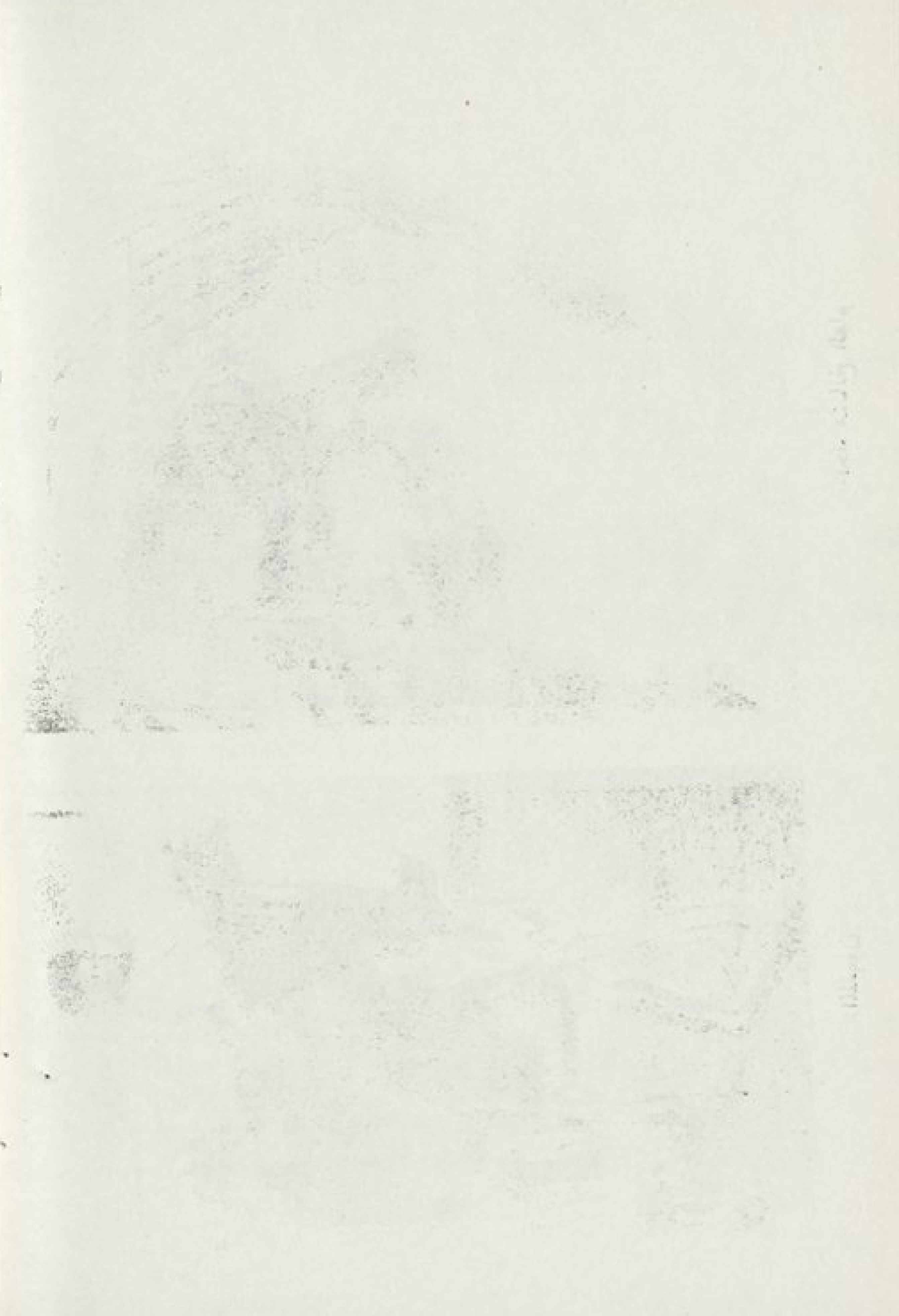
جنود الثورة وحماة الوطن

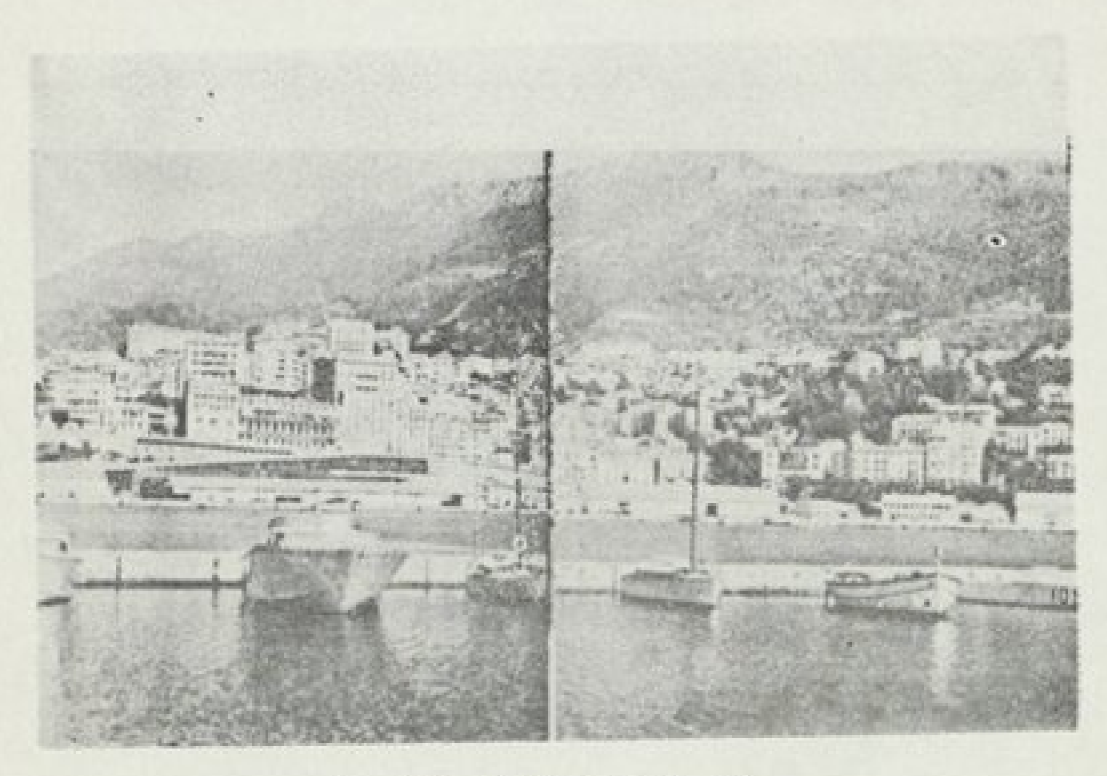




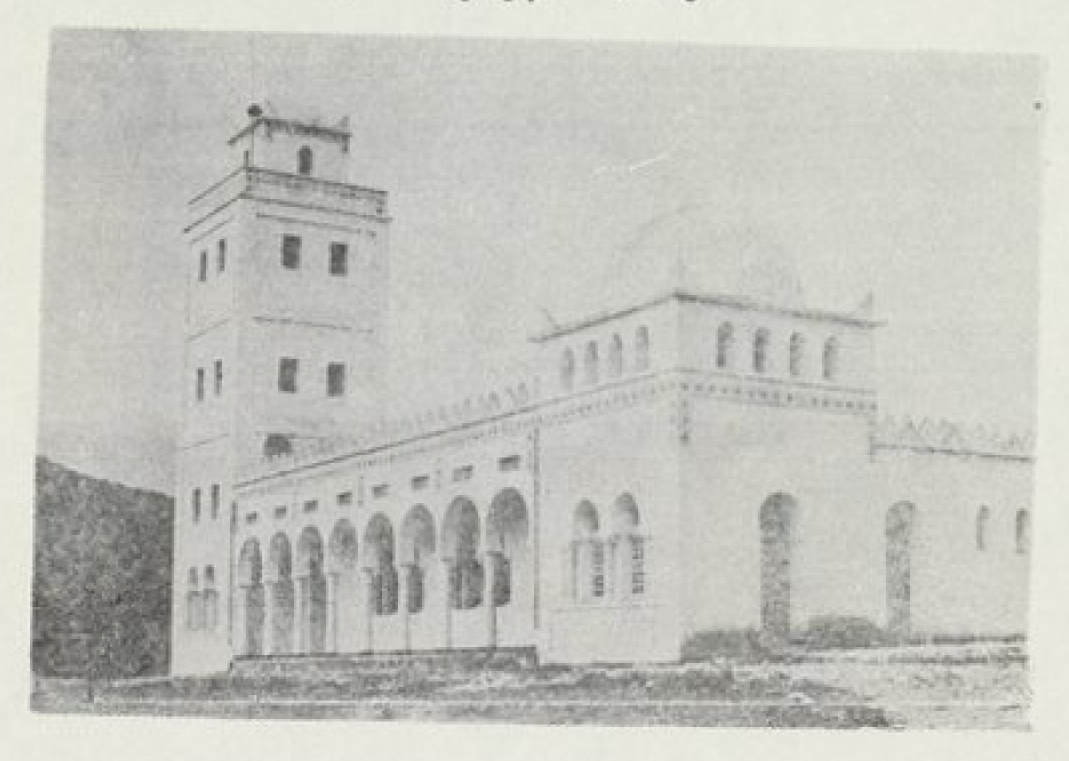
الملثمون

احد مشائخ العلم

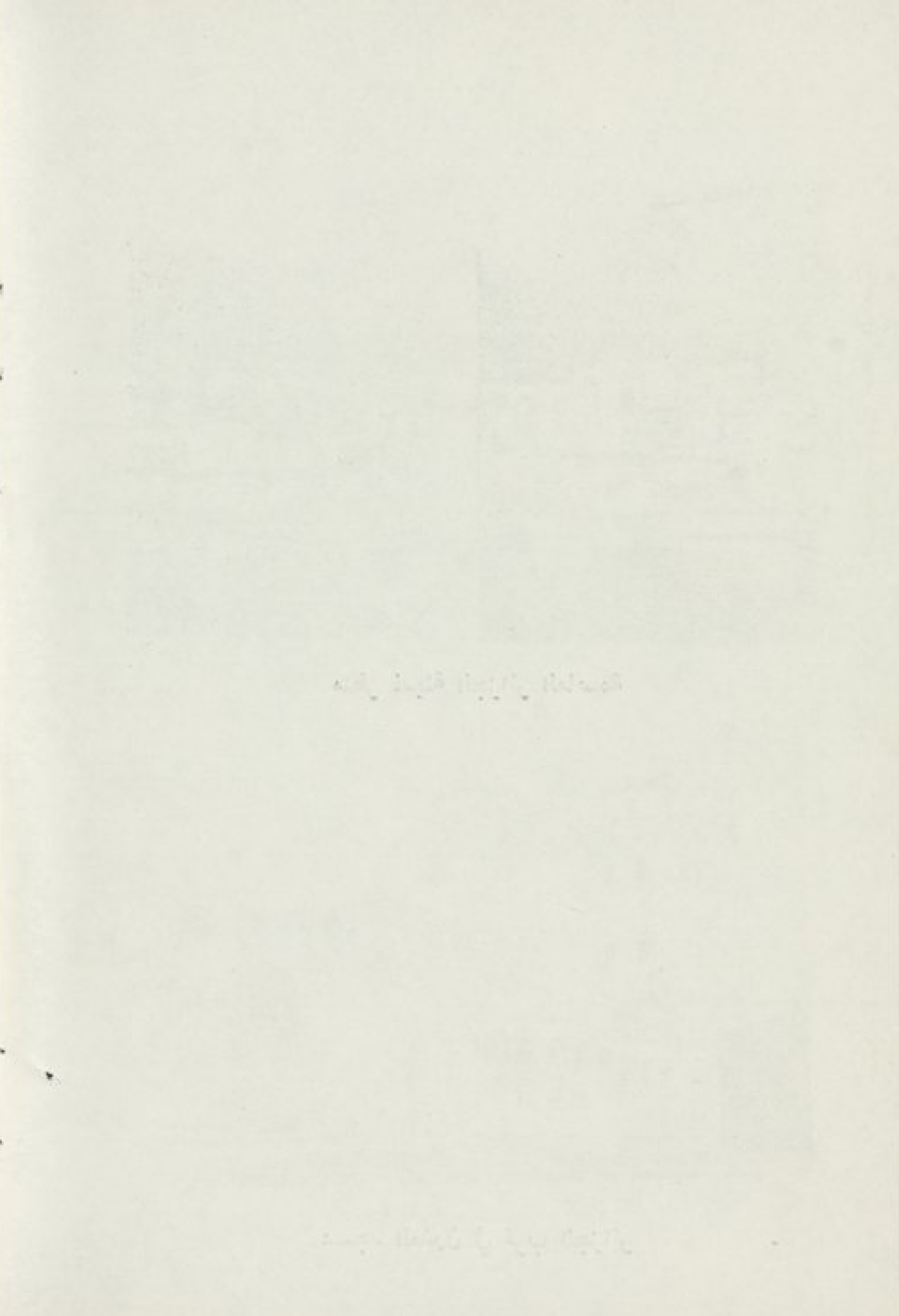




منظر لمدينة الجزائر العاصمة



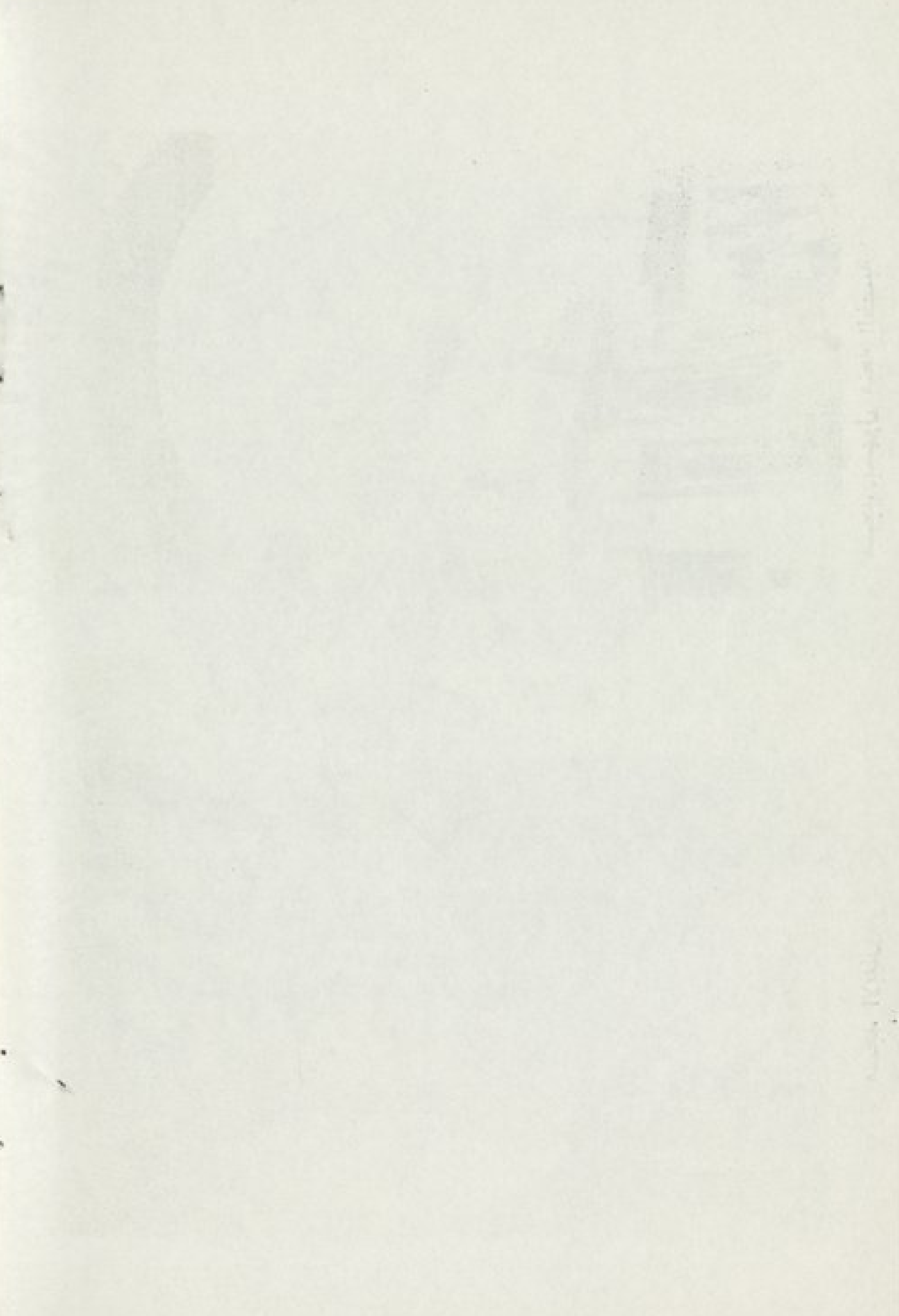
مسجد العذرن في غرب الجزائر



مسجد الابيار

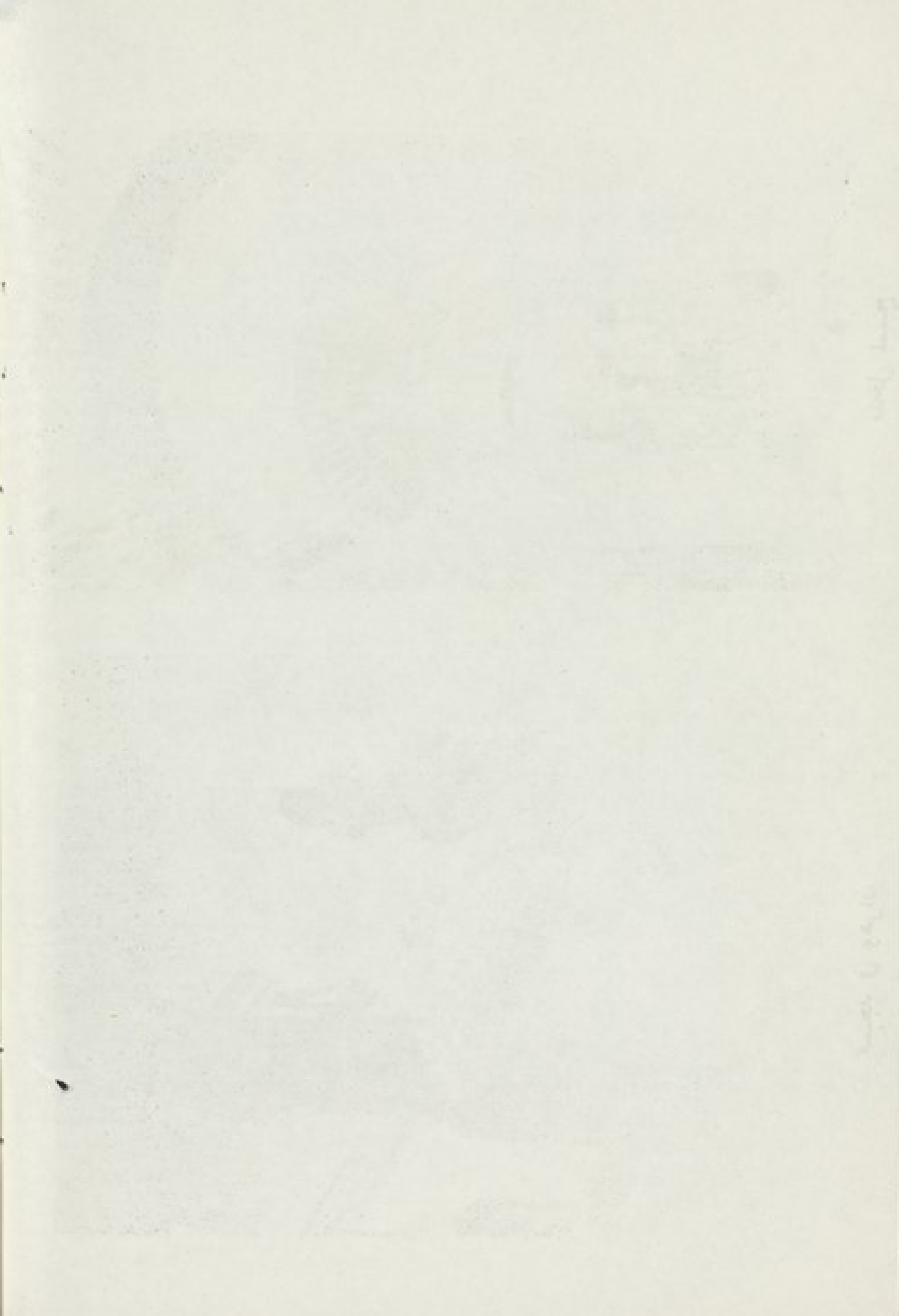


مسجد بسهول متجة الخصبة



مسجد في وهران

مدخل لمسبح



التصويبات

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٣	١٦	الصفهاجي	الصنهاجي
٨	١٣	المصابين	المصلين
١٢	١٠	عينا	علينا
١٧	٢٧	لفرنسيون	الفرنسيون
٢٤	٢٥	واختيار	أو اختيار
٢٨	٨	يطالبانكم	يطالبونكم
٣٤	٢٥	وسا	وما
٣٥	١١	سحقيق	تحقيق
٣٩	٣٠	صر	مصر
٤٠	١٧	حفنة	حفلة
٤٧	٨	لفاوضات	المفاوضات
٥١	٨	يدعو	يدعوا
٦١	٢٤	لمجال	المجال
٦٢	٧	تعلق	تتعلق
٦٣	٢٩	العبية	العربية
٦٤	١٩	مربط	مرتبط
٦٤	٢١	لاساسية	الاساسية
٦٥	٩	دفع	دفعنا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٩	٧	ابونه	بونة
٦٩	٢٠	وكاو	وكان
٦٩	٢١	الدر	الدرار
٧٠	١	مكرر	
٨٥	٣٠	معلمنا	فعلمنا
٨٦	٩	بن	اين
٨٧	١٧	تيزي دزو	تيزي وزو
٩١	١٢	الزيتنة	الزيتونة
٩٢	١	ومهذا	ولهذا
٩٩	٢٦	والعتاة	والعتاد
١٠٣	١٢	الحسيني	الحسني
١٠٧	٣	ابي	ابو
١٠٧	١٩	الاطار	الاقطار
١١٣	١٧	انقاذ	انفاذ
١٢١	٧	لميها	عليها
١٢٢	٢٥	ولا سيمان	ولا سيما
١٣٥	١١	باريس	باديس
١٣٦	١٨	باريس	باديس
١٣٦	٢٤	من الكثيرة	من الكثرة
١٣٧	١	واجتماعي	والاجتماعي
١٣٨	٦	ومبعث	ومبعثا
١٣٨	٢٧	ولكنا	ولكنها
١٤٢	٢٥	ون	وان
١٤٩	٢٧	يزرني	يزورني
١٥٢	١٢	مركز	مركزا

الصفحة	السطر	الخطـا	الصواب
١٦٣	٦	تحبهم	تجهم
١٧٤	٢٨	غلا	خلا
١٩٣	٢٠	يا لعز	يا لغز
٢٠١	١٣	اهامة	هامة
٢١٠		يكتب الرقم على الصفحة البيضاء .	

٢١١ ـ ٢٢٤ الغلط فى تسلسل الصفحات المبتدئة ب ٢٠٧ الى ٢٢٠ يصلح فيكون التسلسل من ٢١١ الى ٢٢٤ رجاء

الصفحة	السطر	الخطـا	الصواب
٢١٧	١٢	خشيت	خشية
٢٣٣	٩	في	من
٢٣٣	٩	في	دفعه
٢٣٦	٦	المدرس	المدارس
٢٣٦	١١	فوس	نفوس
٢٣٨	٤	البريح	الشهيد
٢٣٩	٥	بربوس	بربروس
٢٤٤	١١	دمشا	دمشقا
٢٦٤	١١	بحيص	بخيط
٢٩٦	٥	شكري	شكوى

فهرست الموضوعات

ص	الموضــوع
٣	ـ مقدمة تاريخية
٤	ـ الجزائر ولاية عثمانية
٦	ـ غزو فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ م
٧	ـ المقاومة الشعبية
٨	ـ مظالم الفرنسيين بعد الاحتلال
١٠	ـ معركة المقاومة
١١	ـ الامير عبدالقادر الجزائري
١٣	ـ تجدد الحرب بين الامير عبدالقادر الجزائري وفرنسا
١٥	ـ صدور قوانين نزع الملكية
١٦	ـ تجدد المقاومة بعد الامير عبدالقادر
١٧	ـ صور من فضائع الفرنسيين
١٨	ـ مذبحة ٨ مايس سنة ١٩٤٥
٢١	ـ معركة الاستقلال
٢٣	ـ منهج جبهة التحرير
٢٦	ـ جيش التحرير
٢٧	ـ نداء جبهة التحرير الى الشبان الفرنسيين
٢٩	ـ الكولون وراء حرب الجزائر
٣٢	ـ ساعة الصفر قد دنت
٣٣	ـ تباشير النصر

ص	الموضــوع

٣٥ ـ فشل برامج الجنرالات في انهاء حرب الجزائر
٣٩ ـ صدى ثورة الجزائر في الاقطار العربية
٤٠ ـ معونات العراق الادبية والمادية للجزائر
٤٢ ـ في اروقة منظمة الامم
٤٤ ـ مؤتمر خارجية الدول العربية في بغداد لدعم حرب الجزائر
٤٦ ـ تصريحات ديغول والاستعدادات لانهاء الحرب
٤٨ ـ المفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير
٤٩ ـ شروط اتفاقية ايفيان
٥٠ ـ نداء الحكومة الموقتة الى الجزئريين
٥١ ـ بيان اللجنة السياسية لميثاق الدار البيضاء
٥٣ ـ نهاية حرب الاستقلال
٥٧ ـ معركة البناء
٥٨ ـ اعادة تنظيم الحزب
٦٠ ـ تاميم وسائل الانتاج
٦١ ـ محاربة الكتاب والضرائب والرسوم
التسيير الذاتي ، التعريب
٦٤ ـ الاعتماد على النفس
٦٥ ـ الخدمة الوطنية (التجنيد الاجباري)
٦٦ ـ مشكلات السكن ، اعادة المغتربين ، بناء دولة قوية تعتمد
على الاكتفاء الذاتي ٠
٦٩ ـ انطباعاتي عن الجزائر الاحتفالات بافتتاح جامع ابـــي
مروان البوني في عنابة ٠
٧٠ ـ الاحتفال باحتضان رفاة الشهداء المغتربين
٧٣ ـ في عمالة عنابة ، نص كلمة وزير الاوقاف باحتفالات العيد
الالفي لبناء مسجد ابي عبدالملك مروان البوني ٠

ص　　　　　　الموضــوع

٧٨ ـ عمالة عنابة ، محاضرة الاستاذ محمد بهجة الاثرى
٨١ ـ عودة الوفود الى العاصمة (الجزائر)
٨١ ـ وصف الجزائر وعمرانها
٨٤ ـ وزارة المجاهدين ، ذكرى الثورة ، انتقال الحكومة الـــى العمـــالات ٠
٨٨ ـ التربية والتعليم
٨٩ ـ طابع الجزائر العام
٩٢ ـ منهج الجزائر السياسى
٩٤ ـ التاميم
٩٥ ـ المرأة الجزائرية
٩٧ ـ الزراعة والمعادن
٩٩ ـ استقلال الجزائر الاقتصادى
١٠١ـ تقسيمات الجزائر الادارية ، والموقع والمساحة ٠
١٠٣ـ اعلام الجهاد ، الامير عبدالقادر الجزائرى وحروبه
١١٣ـ غدر فرنسا بالامير عبدالقادر واعتقاله في امبواز ٠
١١٩ـ اطلاق سراح الامير وسفره الى بورسة في تركيا
١٢٣ـ الامير عبدالقادر الاديب
١٢٧ـ الجزائر تحتفل باسقبال رفاة الامير عبدالقادر الجزائرى
١٢٩ـ الامام الشيخ عبدالحميد بن باديس
١٣٤ـ قيام جمعية العلماء المسلمين ، اهداف الجمعية ، اثرها في توعية الجماهير دينيا ، وسياسيا ، واجتماعيا ٠
١٣٨ـ مقاومة ابن باديس للاندماج
١٣٩ـ خصائص تفسير ابن باديس ، نماذج من تفسيره
١٤٦ـ الامام البشير الابراهيمي ٠ أثر جهاده في حرب الاستقلال وفي توعية الجزائريين ٠

ص	الموضــوع

١٥٥ــ الذكرى الاولى لوفاة البشير الابراهيمي

١٦٣ــ كلمة الابراهيمي في المجمع اللغوى

١٦٧ــ مقتبسات من اقواله

١٧١ــ رثاء ابنة الشاطىء للامام الابراهيمي

١٧٥ــ صدى الثورة في الشعر العراقي

١٧٦ــ الشاعر الكبير محمد بهجة الاثرى يحيي ثورة الجزائر

١٧٩ــ قصيدة الشاعر حافظ جميل

١٨٣ــ قصيدة خالد الشواف

١٨٦ــ قصيدة محمد مهدى الجواهرى

١٨٩ــ الدكتورة عاتكة الخزرجي تشيد بثورة الجزائر

١٩١ــ قصيدة شاذل طاقة

١٩٥ــ قصيدة الشيخ محمد على اليعقوبي

١٩٨ــ نازك الملائكة ـ نحن وجميلة ـ ٠

٢٠٠ــ صرخة الجزائر للشاعر نعمان ماهر الكنعانى

٢٠٢ــ قصيدة الشاعر عبدالله الجبورى

٢٠٤ــ الجزائر قصيدة الشاعر طالب الجبورى

٢٠٦ــ نشيد الجزائر للدكتور احمد مطلوب

٢٠٩ــ مولود فرعون للشاعر هلال ناجي

٢١١ــ من ملحمة (معجزة العروبة) للشاعر مصطفى نعمـــان البـــدرى ٠

٢١٤ــ الى جميلة بوحيرد للشاعر عبدالصاحب ياسين

٢١٧ــ صرخة الجزائر للشاعر محمد جميل شلش

٢١٩ــ الحياة الفكرية والادبية في الجزائر

٢٢٦ــ تطور الشعر الجزائرى

٢٢٨ــ الشاعر محمد العيد رائد الشعر الحديث في الجـــزائر

ص الموضـوع

٢٣٦ـ الشاعر ابن تومرت (مفدي زكريا)

٢٤٦ـ الشاعر صالح الخرفي

٢٥٢ـ ابو القاسم سعدالله

٢٥٨ـ الشاعر محمد الاخضر العلمي السائحي

٢٦٢ـ ادباء جزائريون يكتبون وينظمون بالفرنسية

٢٦٣ـ ادريس الشرايبي

٢٦٥ـ محمد ديب

٢٦٧ـ مالك حداد

٢٧١ـ مولود فرعون

٢٧٢ـ كاتب ياسين

٢٧٩ـ الملحق تلخيص من كتاب (مأساة الجزائر) ترجمـة الدكتور اكرم فاضل ٠

٢٨١ـ مأساة جميلة بوحيرد

٢٨٥ـ رسالة عميد الحقوق الى وزير الدفاع فظائع بالجملة

٢٩١ـ انتحارات بالجملة

٢٩٤ـ رسالة احمد بومنجل الى رئيس الجمهورية الفرنسية

٢٩٨ـ قصة اختطاف الزعماء الخمسة ترجمة اكرم فاضل

٣٠٨ـ مراجع الكتاب

٣١٠ـ الصور

٣٢٦ـ وصف الصور

٣٢٧ـ فهرست

وصف الصور

ص

٣١٣ أ ـ المجندات الكشفيات

ب ـ جنود الثورة وحماة الوطن

٣١٥ أ ـ الملثمون

ب ـ احد مشايخ العلم

٣١٧ أ ـ منظر لمدينة الجزائر العاصمة

ب ـ مسجد العذرن فى غرب الجزائر

٣١٩ أ ـ مسجد الابيار

ب ـ مسجد بسهول متجة الخصبة

٣٢١ أ ـ مسجد فى وهران

ب ـ مدخل لمسبح عصرى

وزارة الثقافة والاعلام

سلسلة الكتب الاعلامية

صدرت باشراف مديرية الثقافة العامة (التاليف والترجمة والنشر) ، عن هذه السلسلة المطبوعات التالية :

	الثمن فلس
١ ـ مدخل في الاعلام : تاليف ـ نعمان ماهر الكنعاني	١٢٥
٢ ـ بطلان الاسس التى أقيم عليها وجود اسرائيل : تاليف ـ حسين جميل	١٥٠
٣ ـ الدعاية العربية أمام التحديات الصهيونية : تاليف ـ الدكتور فاضل زكي محمد	١٠٠
٤ ـ ابعاد الصراع العربي ـ الاسرائيلي : تاليف ـ جميل كاظم المناف	٢٠٠
٥ ـ بطلان الاسس التى أقيم عليها وجود اسرائيل : طبعة ثانية تاليف ـ حسين جميل	١٥٠
٦ ـ نظرة في تطبيقات الاعلام الاسرائيلي : تاليف ـ زكي الجابر	٦٥
٧ ـ الاعلام العربي والدعاية الصهيونية : تاليف ـ هادي نعمان الهيتي	٢٠٠
٨ ـ في الاعلام والمعركة : تأليف ـ شاذل طاقة ..	٣٥
٩ ـ آراء احرار العالم في قضية فلسطين : ترجمة ـ الدكتور اكرم فاضل	١٤٠
١٠ـ نظريات الاعلام وقضية فلسطين : تأليف ـ الدكتور احمد كامل	٢٥٠
١١ـ في السياسة العربية الثورية : تأليف ـ الدكتور الياس فرح	٣٠٠
١٣ـ الجزائر ـ بلد المليون شهيد : تأليف ـ جمال الدين الآلوسي	٤٠٠

